النظرات الإلهية

في المدائح المحمدية

العلامة الحجة المقدس

الشيخ منصور بن الحاج عبدالله البيات القطيفي

(رضوان الله تعالى عليه)

(الجزء الثالث)

صححه وخرج مصادره

أحمد بن حسين الغبيدان

دار الكرامة - قم المقدسة

النظرات الإلهية

في المدائح المحمدية

العلامة الحجة المقدس

الشيخ منصور بن الحاج عبد الله البَيَات القطيفي

(رضوان الله تعالى عليه)

الجزء الثالث

صححه وخرّج مصادره

أحمد بن حسين العبيدان الأحسائي

النظرات الإلهية

في المدائح المحمدية

(الجزء الثالث)

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ ـ ٢٠٢١ م

دار الكرامة

دار الكرامة للطباعة والنشر

قم المقدسة

تقريض السيد محمد جمال الهاشمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العلامة الجليل والثقة الثبت، الشيخ الزكي، الشيخ منصور، رجلٌ تجاوز عهد الشباب وفقد بصره وابتلاه الله بأنواع من المرض يقاسيها ويقاومها بجهد جهيد، وقد أثر المرض وحرمانه من البصر في أعصابه فكان صبره على الحوادث ضعيفاً، لكنَّ العجز عن مقاومتها وإيمانه بهذا العجز جعله يتحمل الأحداث بصمت رهيب.

وهذا الشيخ منذ أن عرف نفسه عشق المعرفة، فراح يتزود بها من عهد الطفولة ولا تمنعه المتاعب الجسمية والنفسية عن متابعة دروسه ومطالعاته، ومنذ مدة ليست بالقصيرة انتقل إلى النجف الأشرف بعدما ترك القطيف وما له فيها من المكانة الدينية والاجتماعية، قانعاً بحياة الزهد والتقشف في الحوزة العلمية، متزوداً من علومها ومعارفها في حلقاتها الدراسية، حتى بلغ منزلة محترمة في الفضل والكمال مصحوبة بالتقوى والعمل الصالح، ولازال هذا الشيخ المحترم يسكن النجف في داره التي هي أشبه بالكوخ منها بالدار بالمعنى المفهوم، قانعاً من الحياة بأقل ما يقنع به الزاهد العفيف.

والنظرات الإلهية هي سلسلة مقالات تعبّر عن إيمان الشيخ منصور وثقافته الدينية، وقد حاول أن يشحن فيها معارفه التي استفادها من أدوار

دراساته مطعّمة بإيمانه العميق بالنبي ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام ، وربما يكون الكتاب في نظر البعض شاذاً في أفكاره ومحاولاته؛ لأنه يتوخّى مواضع لا تلائم الثقافة العصرية، ولكن الذي يؤمن بالنبي ﷺ ومكانته من العالم الإلهي، وبآله الأطهار عليهم السلام ومقامهم من النبي ﷺ يعرف بأن الشيخ لم يتجازو الحد الذي خططه الإيمان الصحيح للنبوة والولاية.

إن الكتاب يعرض عليك مقامات الولاية الإلهية مؤيداً بالأدلة والبراهين العقلية والنقلية، بل وحتى الشواهد الأدبية التي توضح مراده وتبين الغامض من كلامه.

وفي الحق، إن الشيخ ـ دامت أيامه ـ قد أتعب نفسه وجاء بما لا مزيد عليه في موضوع الولاية، حتى أصبح القارئ له شاعراً بمكانة النبي وآله الأئمة الأطهار (صلوات الله عليهم) من العالم الإلهي.

أيده الله وأطال في عمره ومتّع المؤمنين بآثاره وفيوضاته الفكرية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في ٢٠ محرم الحرام ١٣٩٦ هـ

السيد محمد جمال الهاشمي

تقريض الخطيب الشيخ عبد الحسين الخراساني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمية، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين، وبعد...

فإنَّ هذا الكتاب ـ وهو كتاب النظرات الإلهية في الممادح المحمدية، الذي ألفه شيخنا العلامة الثقة الثبت، خادم الإسلام والمسلمين، الشيخ منصور البيات (دامت بركاته) حسب ما استفدت من بياناته المختلفة ـ كتاب جدير بكل أحد اقتناؤه والاستضاءة بأنواره؛ فإنه مشحون بما ينوّر القلوب ويزيد في الإيمان من الآيات والأخبار وكلمات الأكابر من كل فريق، من الخاصة والعامة، والنصارى وغيرهم، إيماناً للحجة مع ما فيه من بياناته المنورة للقلب، وقد أتعب المؤلف (دامت توفيقاته) نفسه الشريفة على ما به من الآلام في ذلك.

وأنا شخصياً استفدت منه كثيراً ولا أجدني قابلاً لتعريف ذلك، فجزاه الله عن الإسلام وعن نبيه وأهل بيته خير الجزاء، فالحري بالمؤمنين تقدير ذلك جداً. والسلام على من اتّبع الهدى.

الأحقر: عبد الحسين محمد علي الخراساني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الإنسن بقدرته، وميّزه عن سائر الحيوانات بحكمته، بما أودع فيه من العقل الموصل إلى معرفته (جلّ وعلا) وجعله مستعداً للاستنارة بنبراس العلم؛ لتمام حجته. فالعقل حجة الله الباطنة، الساعي بمتّبعه إلى سعادته، والعلم مصباحه لإنارة محجته، ثم قفّى (جلّ وعلا) ـ لطفاً منه ـ برُسوله المعصومين؛ لإنقاذ بريّته بإرشادهم لمصالحهم في دعواهم لعبادته، فجعلهم الذرائع إليه والوسيلة إلى رضوانه، وأثنى عليهم الثناء الجلي، وجعل لهم الذكر العلي، وخصّ حبيبه وسيدهم رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم بخصائص جليلة، منها: أمره (سبحانه وتعالى) في كتابه المقدس للصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[1]. وختم به أنبياءه فأنقذ به الخليقة، وحفظ به الأموال، وأحرز به من الأحوال، وكسر به الأصنام، ورحم به الأنسام، فبعثه بخير الأديان، وأعزّ به الإيمان، وتبّر به الأوثان، وعظّم به البيت الحرام، كيف لا! وهو منتهى الإنسانية المتكاملة،

---

١) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

والواصل إلى الرتبة العالية، ﴿ **ثُمَّ دَنَا** (العقل) **فَتَدَلَّى * فَكَانَ** (من ربه) **قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾[١]، وكيف لا يكون ختماً وهو العقل الكلي ﷺ، الشامل روحانيته لكل العقول، فلا غرو أن أرسله للثقلين، ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ**﴾، فجعله مبدأً لأشرف ما يتكمل به الإنسان ألا وهو العلم المحيي لجميع الإنس والجان، فأفاض عليه (تبارك وتعالى) من ألطافه ما جعل نفسه الزكية عالمة بكل العلوم الشرعية والتكوينية.

وقد أسلفنا في الجز الثاني نظرةً واسعة بما ترشّح علينا من فضله ﷺ في علمه، وأنه أودع ﷺ جميعَ علومهِ أوصياءه الطاهرين: علياً أمير المؤمنين ووُلده الأحد عشر المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين).

وحيث انتهى الجزء الثاني وأشرنا في آخره في النظرة الرابعة عشرة إلى أن علمهم عليهم السلام لدنّي أي تعليماً من ذي علم، إفاضة من ربهم على النبي ﷺ سيدهم، ويتصل ذلك الفيض لهم عليهم السلام به ﷺ؛ إذ لا خير إلا منه ﷺ فبذلك الفيض الذي ترشّح علينا من ربنا وربهم بسببهم (صلى الله عليهم)، توفقنا لأن نبدأ في الجزء الثالث من (النظرات الإلهية في المدائح[٢] المحمدية) في الكلام ذلك بالأدلة.. وهو يشتمل على نظرات...

---

١) سورة النجم، الآيتان ٨ ـ ٩.

٢) هذا هو الصحيح، وما وقع من لفظ (الممادح) في [طبعات] الجزئين الأول والثاني فهو غلط في التطبيق العربي على القواعد. (منه رحمه الله).

والفرق: أن الممادح جمع ممدحة وهي المحاسن مقابل القبائح. والمدائح جمع مديح وهي الثناء والإطراء مقابل الذم. انظر: تهذيب اللغة وأساس البلاغة ولسان العرب. [المصحح].

النظرة الأولى

في أن علمهم ﷺ لدنّي لا كسبي

ولكن ينبغي أن نحرر مقدمة وفيها تمهيد في صراطٍ مُوصِلٍ إلى إذعان طالبي الحقائق للحق اليقين.

والتمهيد مشتمل على ثلاثة أمور:

الأمر الأول: تحقيق إمكان ذلك بدليل العقل ، فنقول: لا شك أن العقل يقرر تقريراً صحيحاً ناتجاً من القضايا الأولية أن المخلوقات بأجمعها متفاوتة في الكمالات إمكاناً ووقوعاً، أي قوةً وفعلاً، وقد جعل (جلّ وعلا) بحكمته أعلى الكمالات للإنسان. وكفانا دليلاً كون سيد الكائنات إنساناً، ألا وهو أبو القاسم حبيب الله وسيد رسله محمد بن عبد الله ﷺ .

ثم إن القادر المختار (جلّ وعلا) لابد وأن يخلق في الممكنات ما هو بالغ أقصى رتب الكمالات بحيث لا يُتوهم كمالٌ فوقه، فلا فرق بينه وبين خالقه إلا الوجوب والإمكان، وكفى الممكن فرقاً بينه وبين الواجب فقره إليه، إذ الممكن فقر بحت في كل شيء، ذاتاً وعرَضاً، و [أما] الواجب (عزّ وجل) بجميع صفات الكمال بذاته فهو الغني المطلق بذاته، والممكن هو

الفقير المطلق للواجب (سبحانه وتعالى) بناءً على لزوم قاعدة الأشرف[1] فلابدَّ للحكيم أن يوجد ذلك الممكن الأشرف في كل شيء؛ لكونه أقوى دلالة على صانعه. ولو فُرض عدم لزوم تلك القاعدة حكمة لإطلاق قدرته

---

١ ـ أفادها المعلم الأول أرسطاطاليس ـ كما ذكر صدر المتألهين ـ بأن ذات الباري لا يقتضي الأخس ويترك الأشرف بل يلزم من فيض جوده الأشرف فالأشرف، وهي مبتنية على أساس امتناع صدور الكثرة من الواحد. والقاعدة تقضي بوجوب وجود الأعلى دائماً ليكون مجرى للفيض وواسطة في بلوغ نعمه إلى من هو دون الوجود الأعلى من موجودات عالم خلقه، أو لأن الوجود الأعلى هو الغاية لخلق الوجود الأدنى للزوم كون الغاية لفعل الخالق العالي هو الوجود الأعلى من خلقه.

ومفاد القاعدة: أن الممكن الأشرف يجب أن يكون أقدم في مراتب الوجود من الممكن الأخس، وأنه إذا وُجد الممكن الأخس فلا بد أن يكون الممكن الأشرف منه قد وُجد قبله، وهذا أصل شريف برهاني عظيم جدواه، كريم مؤداه، كثير فوائده، متوفر منافعه، جليل خيراته وبركاته، وقد نفعنا الله سبحانه به نفعاً كثيراً بحمد الله وحسن توفيقه، وقد استعمله معلم المشائين ومفيدهم صناعة الفلسفة في كتاب (أثولوجيا) كثيراً وفي كتاب (السماء والعالم) حيث قال ـ كما هو المنقول عنه ـ: يجب أن يعتقد في العلويات ما هو أكرم. وكذا الشيخ الرئيس في (الشفاء) و(التعليقات) وعليه بنى في سائر كتبه ورسائله ترتيب نظام الوجود وبيان سلسلتي البدو والعود، وأمعن في تأسيسه الشيخ الإشراقي إمعاناً شديداً في جميع كتبه كـ(المطارحات) و(التلويحات) وكتابه المسمى بـ(حكمة الإشراق) ، حتى في مختصراته كـ(الألواح العمادية) و(الهياكل النورية) والفارسي المسمى بـ(پرتو نامه) والآخر المسمى بـ(يزدان بخش) قد استعمل هذه القاعدة في إثبات العقول وإثبات المثل النورية أرباب الأنواع، وغير ذلك.

وقد فصّل الملاّ صدرا الشيرازي الكلام فيها في (الحكمة المتعالية: ج٣ ص ٢٤٤) فراجع.

واختياره (جلّ وعلا) فيفعل ما يشاء فيخلق ما هو كافٍ في الدلالة بأن يعطيه من مراتب الكمال، ما لا يوجد في غيره من الممكنات.

الأمر الثاني: هل عَرَّفَنَا (سبحانه وتعالى) بذلك الممكن المخلوق الخارج من القوة إلى الفعل البالغ أقصى رتب الكمال للممكن؟

بلى، قد عَرَّفَنَا، وهو نبينا حبيبه وصفيه الذي اصطفاه في عالم الأنوار وخلقه قبل المخلوقات، فهو ﷺ أول صادر من المبدأ الفيّاض كما صرّحت به الأخبار عنه ﷺ وعن آله الأبرار عليهم السلام، وقد ذكرنا منها طُرفاً في (النظرة الأولى) من (الجزء الثاني) نقلاً عن كتب الفريقين، وذكرنا من ذلك شيئاً في (النظرة الخامسة)[١]، ومنها: قوله ﷺ: «**إن الله خلقني من نور وخلق ذلك النور قبل آدم بألف ألف سنة**»[٢].

وبالجملة، إن سبق نوره ﷺ على جميع المخلوقات من المسلمات عند الشيعة، وقد قال به كثير من إخواننا المسلمين كما صرّح به القندوزي في (الينابيع)[٣] في باب سبق نور رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن بعض كتبهم، وفي بعض الأخبار: «**أول ما خلق الله نوري**»[٤]، وفي بعضها:

---

١) انظر: ج ٢ ص ٨١.

٢) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٢٦٦، بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٤٠٢ ب ١٢.

٣) ينابيع المودة: ج ١ ص ٤٥ ـ ٤٨.

٤) مشارق أنوار اليقين: ص ٤١، عوالي اللئالي: ج ٤ ص ٩٩ ح ١٤٠، ينابيع المودة: ج ١ ص ٤٥ وأيضاً ج ٣ ص ٢١٣.

«أول ما خلق الله روحي»(١)، وفي آخر: «أول ما خلق نور نبيك يا جابر»(٢)...

فالأخبار بذلك متكاثرة، ودونك كلمة السيد نعمة الله الجزائري (قدس الله نفسه) في (الأنوار) شاهداً على مدّعانا... قال (قدس سره) في النور النبوي: وأما الأخبار الواردة بأولوية النور (نوري) و(روحي) فهي واحدة، وهي عبارة عن نوره صلى الله عليه وآله وسلم وهو أول مخلوق على الأولية الحقيقية، ليس فيه للإضافة مدخل بوجه من الوجوه؛ لأنه استفاض بالأخبار أن نوره صلى الله عليه وآله وسلم أفرزه الله (سبحانه وتعالى) من نوره، وأفرز من ذلك النور أنوار الأئمة الطاهرين... الخ(٣).

وإنه لَحَقٌ، والأخبار في ذلك متنوعة، فمنها ما فيه التصريح بأنوار الخمسة أهل العبا المذكور فيه قضية القناديل المخترعة من نور الزهراء عليها السلام وفيه صرّح صلى الله عليه وآله وسلم بأنه صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه وسبطيه أفضل المخلوقين(٤).

---

١) جامع الأسرار: ص ١٤٤، الوافي: ج ٣ ص ٦٣٢، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٢٠٩.

٢) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٤ ح ٤٣، وأيضاً ج ٢٥ ص ٢١.

٣) الأنوار النعمانية: ج ١ ص ١٤.

٤) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ١٦ ـ ١٧ ح ٣٠ وفيه: «ثم إن الله خلق الظلمة بالقدرة فأرسلها في سحائب البصر، فقالت الملائكة: سبوح قدوس ربنا، مذ عرفنا هذه الأشباح ما رأينا سوءاً، فبحرمتهم إلا كشفت ما نزل بنا. فهنالك خلق الله تعالى قناديل الرحمة وعلّقها على سرادق العرش، فقالت: إلهنا، لمن هذه الفضيلة وهذه الأنوار؟ فقال: (هذا نور أَمَتي فاطمة الزهراء)، فلذلك سميت أَمَتي "الزهراء" لأن السماوات والأرضين بنورها ظهرت

وفي بعضها: نوره ﷺ ونور وصيه علي عليه السلام واحد، ثم شقّه (سبحانه وتعالى) نصفين: نصفاً في عبد الله أبي النبي ونصفاً في أبي طالب أبي الوصي[١]، وقد تعرّض لذلك في شعره أحد الأجلاء العلويين المتقدمين كما رواه الشيخ الجليل المفيد قدس سره في (الفصول المختارة). قال العلوي:

كانا كشمس نهارٍ في الوجود كما أدارها ثم إحكام وتجويد

تفرّقا عند عبد الله واقترنا بعد النبوة توفيق وتسديد[٢]

يشير بذلك إلى اقتران الوصي علي عليه السلام بفاطمة الزهراء عليها السلام ، وقد أشار بذلك النبي ﷺ فيما ورد عنه من شق النور نصفين، قال ﷺ ما مضمونه: «**ثم أعاد العمود إلي فأخرج مني فاطمة، ثم أعاد العمود لعلي فأخرج منه الحسنين**»[٣].

وهي ابنة نبيي وزوجة وصيي وحجتي على خلقي، أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثواب تسبيحكم وتقديسكم لهذه المرأة وشيعتها إلى يوم القيامة».

١) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٣١ ح ٢٨ وفيه: عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كنت أنا وعلي على يمين العرش نسبح الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما خلق آدم جعلنا في صلبه، ثم نقلنا من صلب إلى صلب في أصلاب الطاهرين وأرحام المطهرات، حتى انتهينا إلى صلب عبد المطلب، فقسمنا قسمين، فجعل في عبد الله نصفاً وفي أبي طالب نصفاً، وجعل النبوة والرسالة في، وجعل الوصية والقضية في علي**».

٢) الفصول المختارة: ص ٤٠.

٣) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٣٤ ح ٣٢ وفيه: عن أنس بن مالك، عن معاذ بن جبل: أن رسول الله قال : **إن الله (عز وجل) خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن**

ومنها: ما ورد من أنّ آدم عليه السلام لما عرف الأنوار الخمسة على ساق العرش رأى أنواراً تسعة، فسأل ربه بحق الأنوار الخمسة أن يعرّفه الأنوار التسعة، فعرّفه التسعة المعصومين الأئمة من ذرية الحسين عليهم السلام ، روى ذلك الشيخ الأورع ضياء الدين أبو العلاء الأزدي(١) .

ودلالة الأخبار على أفضليته صلى الله عليه وآله وسلم هو وآله عليهم السلام على المخلوقين قاطبة، متنوعة. فمنها مطابقية ومنها التزامية، كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «**سبّحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، وقدسنا فقدست الملائكة بتقديسنا**»، كما في (الأنوار)، وفيه: تعليم أمير المؤمنين عليه السلام جبرئيل ردَّ الجواب لسؤال ربه (جلّ وعلا) في عالم الأظلّة، فراجع النور النبوي(٢) .

يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام... حتى إذا أراد الله (عز وجل) أن يخلق صورنا صيّرنا عمود نور، ثم قذفنا في صلب آدم، ثم أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات... فلما صيّرنا إلى صلب عبد المطلب أخرج ذلك النور فشقه نصفين، فجعل نصفه في عبد الله ونصفه في أبى طالب، ثم أخرج النصف الذي لي إلى آمنة والنصف إلى فاطمة بنت أسد، فأخرجتني آمنةُ، وأخرجتْ فاطمةُ علياً، ثم أعاد (عز وجل) العمود إليّ، فخرجتْ منّي فاطمةُ، ثم أعاد (عز وجل) العمود إلى عليّ فخرج منه الحسن والحسين...».

١) كما في كتابه (مولد الأمير عليه السلام) ص١٢. (منه رحمه الله).

٢) الأنوار النعمانية: ج ١ ص ١٥ وفيه: روى صاحب (بستان الكرامة) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً وعنده جبرائيل عليه السلام فدخل علي عليه السلام فقام له جبرائيل عليه السلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «أتقوم لهذا الفتى؟» فقال له عليه السلام : «نعم، إن له علي حق التعليم. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كيف ذلك التعليم يا جبرائيل؟» فقال: «لما خلقني الله تعالى سألني: من أنت؟ وما

ومثل ذلك عدة أخبار في كتاب الإمامة من (البحار)، ففي (باب أنهم الصافُّون المسبِّحون) حديث جليل، بسند متصل بشهاب بن عبد ربه قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: «**يا شهاب، نحن شجرة النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، ونحن عهد الله وذمته، ونحن وُد الله وحجته. كنا أنواراً صفوفاً حول العرش، نسبح فيسبح أهل السماء بتسبيحنا...**»[(١)].

فراجعه كي تقرّ عينك.

وفيه بسند متصل بأمير المؤمنين علي عليه السلام، ومحل شاهدنا منه قوله عليه السلام : «**كنا أنواراً حول العرش فأمرنا الله بالتسبيح فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا...الخ**»[(٢)].

فراجعه لتزداد نوراً في بصيرتك.

وفيه بسند متصل بابن عباس سأله ابن مهران عن تفسير قوله تعالى ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ**﴾[(٣)]، فقال ابن عباس: إنا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

اسمك؟ ومن أنا؟ وما اسمي؟ فتحيرت في الجواب، وبقيت ساكتاً، ثم حضر هذا الشاب في عالم الأنوار وعلّمني الجواب، فقال: (قل: أنت ربي الجليل، واسمك الجليل، وأنا العبد الذليل، واسمي جبرائيل) ، ولهذا قمت له وعظّمته».

١) بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٨٧ ب ٣٣ ح ٢، وانظر: تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٢٨.

٢) ن، م، ح ٣، وانظر: تأويل الآيات الظاهرة: ج ٢ ص ٥٠١ ح ١٩.

٣) سورة الصافات، الآيتان ١٦٦ ـ ١٦٧.

تبسم في وجهه وقال: «**مرحباً بمن خلقه الله قبل آدم بأربعين ألف عام**» فقلت: يا رسول الله، أكان الابن قبل الأب؟ قال: «**نعم، إن الله تعالى خلقني وخلق علياً قبل أن يخلق آدم بهذه المدة، خلق نوراً فقسمه نصفين، فخلقني من نصفه وخلق علياً من النصف الآخر قبل الأشياء كلها، ثم خلق الأشياء فكانت مظلمة فنورها من نوري ونور علي، ثم جعلنا عن يمين العرش، ثم خلق الملائكة فسبحنا فسبحت الملائكة وهللنا فهللت الملائكة، وكبرنا فكبرت الملائكة، فكان ذلك من تعليمي وتعليم علي...**»[١].

فراجعه ترى فيه شفاء قلب الشيعة ونجاتهم.

وفي هذا القدر كفاية، أخبار تسعة بعدد التسعة الأئمة المعصومين عليهم السلام، وفي هذا العدد بركة نافعة، فليس القصد إلا إثبات أفضليته صلى الله عليه وآله وسلم هو وآله (صلوات الله عليهم) وهي ثابتة عند كل ذي بصيرة منصف، بالدلالات المطابقية والالتزامية. فالتلازم واضح جلي كالشمس الصاحية لكل ذي بصيرة صافية. فالأولوية في الصدور ملازمة للعلّية، والعلّية ملازمة للأفضلية.

كما أن التلازم بين تسبيح المسبحين وتقديس المقدسين بتسبيحهم وتقديسهم (سلام الله عليهم) منير في العقول السليمة، ناتج من القضايا الأولية البديهية مع ما هو محرّر فيما ورد عنهم عليهم السلام على كلٍ من الأولية والأفضلية والعلية، أخبار كثيرة بالدلالة المطابقية، كما عرَفت بعضها.

---

١) بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٨٧ ب ٣٣ ح ٤، تأويل الآيات الظاهرة: ج ٢ ص ٥٠١ ح ٢٠.

ومما يدل على العلة الغائية المسلَّمة عند الشيعة الإمامية: خطاب الله (جلّت عظمته) لحبيبه ﷺ : «**خلقت الأشياء لأجلك، وخلقتك لأجلي**»[١]، فهو ﷺ الغاية القصوى.

أيّ خلقٍ لله أعظم منه وهو الغاية التي استقصاها[٢]

فلا فضل لمخلوق إلا به ﷺ ؛ إذ هو ﷺ العبد الحقيقي المراد لربه (جلّ وعلا) فهو ﷺ مفاض الخيرات؛ لأن رتبته من خالقه في أعلى رتب الكمالات الممكنة للممكنات، ومن ثم كان فضله ﷺ العظيم الشامل لكل الفضائل والسعادات دليلاً على أشرفية الإنسان؛ لكونه ﷺ منتهى الكمال الإنساني.

فالإنسان الكامل هو المنتهي به كماله إلى أعلى رتب السعادات. وأعظمها الإشراقات الإلهية والفيوضات الربانية، ودونك كلمة من الحكماء دليلاً على ما ادّعيناه، ذكره الشيخ الجليل النراقي في الكلام عن (السعادة والخير)، وبعد أن ذكر خمسة من أصول السعادة قال رحمه الله ما نصه: "وقالوا: كمال السعادة لا يحصل بدون هذه الخمسة، وبقدر النقصان فيها تنقص.

---

١) مشارق أنوار اليقين (البرسي): ٢٨٢، علم اليقين (الكشاني): ج ١ ص ٣٨١.

٢) من أبيات للشيخ محمد كاظم الأزري رحمه الله في قصيدة طويلة تقع في ٥٧٩ بيت، أولها:

لمن الشمس في قباب قباها شفَّ جسمُ الدجى بروح ضياها

وآخر أبياتها:

كم له من مواهب مردفات هي كالشمس لا يحول ضياها

قالوا: وفوق ذلك سعادة محضة لا تدانيها سعادة، وهو ما يفيض الله (سبحانه) على بعض عباده من المواهب العالية والإشراقات العلمية والابتهاجات العقلية بدون سبب ظاهر"[١]. انتهى.

ثم حرر فصلاً ذكر فيه شرط (السعادة بإصلاح جميع الصفات والقوى دائماً). ثم تكلم في تحقيق ذلك، وفي أثنائه ذكر نكتة لطيفة جاذبتني نفسي بتكهربها بحب حبيب الله ﷺ تحريرها لمناسبتها للمقام، فبعد أن ذكر فناء السعادة في سعدهم المطلق وتجردهم عن كل ما يضاده، قال ما نصه: "وربما بلغ تجردهم وقوة نفوسهم مرتبة تحصل لهم ملكة الاقتدار على التصرف في مواد الكائنات ولو في الأفلاك وما فيها، كما حصل لفحل الأنبياء وسيد الأوصياء (صلوات الله عليهما وآلهما) من شق القمر ورد الشمس"[٢]. انتهى.

وبعد الفصل المذكور، ذكر فصلاً في (غاية السعادة)، وقال ما نصه: "صرح الحكماء بأن غاية السعادة أن يتشبه الإنسان في صفاته بالمبدأ بأن يصدر عنه الجميل لكونه جميلاً لا لغرض آخر...".

ثم أخذ في تحقيق ذلك بما نقله عنهم حتى قال ما نصه: "قالوا: وإذا بلغ الإنسان هذه المرتبة فقد فاز بالبهجة الإلهية واللذة الحقيقية الذاتية، فيشمئز طبعه من اللذات الحسية الحيوانية؛ لأن من أدرك اللذة الحقيقية علم

---

١) جامع السعادات: ج ١ ص ٥٨ (الأقوال في الخير والسعادة والتوفيق بينها).

٢) ن، م، ص ٦٠.

أنها لذة ذاتية، والحسية ليست لذة بالحقيقة؛ لتصرمها ودثورها، وكونها دفع ألم"[١].

فبهذا وسابقه نعرف إمكان حصول أعلى الكمالات لنوع الإنسان، لكنها في الحقيقة لا تتحقق الرتبة الكبرى منها إلا لفرد مخصوص بالعناية الإلهية بهذا الفرد، فلابد للحكيم الكريم (جلت عظمته) الفيّاض الوهاب أن ينوّه به لخلقه كما نوه بحبيبه المصطفى ﷺ، فالرتبة العالية من الكمالات الممكنة لم تتحقق إلا له ﷺ وغيره من الكاملين من النبيين والوصيين شرّفهم أن كانوا شعاعاً من نوره ﷺ، فهو نور الله مبدأ كل نور.

ولانحصار أعلى الرتب فيه ﷺ أشار المصلح الأكبر كاشف الغطاء بكلمته الجليلة في دعوته، ودونكها من كلامه في مبحث "السعادة والشقاوة"، قال قُدِّسَ سِرُّه في الهامش ما نصه: "ومن هنا يبدو لك نحوُ تقسيم للسعادة، أما تقسيمنا السابق حيث نقول: السعادة إما نوعية أو فردية، والأولى هي مجتمَعُ أقصى ما يمكن من الكمالات لذلك النوع في فرد منه، وهذه المرتبة خاصة تحت امتياز أشرف الموجودات وأكمل الممكنات وأفضل الكائنات، وهو روح القطب الحقيقي المطلق والمرتبة الختمية والنفس المحمدية (صلوات الله عليها) لا القطب الإضافي، بحسب كل وقت كسائر الأنبياء، ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾"،[٢]. انتهى.

---

١) ن، م، ص ٦١.

٢) الدين والإسلام: ج ١، الأمر التاسع من مبحث القضاء والقدر، ص ٤٦١ في الهامش.

وهذه الكلمة منه قُدِّسَ سِرُّه حررتها في كتابنا (النظرات الروحانية) المخطوطة[١]، ثم ضممتها إلى كلمة أخرى منه قُدِّسَ سِرُّه ذكرها في مبحث "البداء"، وخلاصتها: "أن الله خلق جوهراً قدسياً في غاية النور والضياء والعلم والإحاطة سمّاه بالقلم تارة وبالكلمة أخرى، ومفتاحاً من جهة وخزانة من جهة، وذلك بحسب الاعتبارات الغيبية"... ثم ذكر في كتابة ذلك القلم في لوح النفس الناطقة الكلية كما جرى أو سيجري بصورة كلية، إلى أن قال: "وهي اللوح المحفوظ؛ باعتبار حفظها...الخ"[٢].

وقد استنتجتُ من ضمن كلمتيه وهما (أفضلية نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على الكائنات) و (أن اللوح المحفوظ والقلم من الكائنات) : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا بد أن يكون أفضل منهما؛ لأنهما من الكائنات ولازم ذلك علمه صلى الله عليه وآله وسلم بما في اللوح مما كتبه القلم، وهو صلى الله عليه وآله وسلم بمقتضى أولية صدوره تكون نفسه مرآة للعالم الملكوتي ولا يتوهم أن هذا الاستنتاج خاص بكلام هذا العالم الجليل، بل هو عام لكلام كل عالم يقول بأفضليته صلى الله عليه وآله وسلم على الكائنات، فقد عرفت أن ذلك من المسلمات عند علماء الشيعة، وإنما ذكرت هذا الاستنتاج من الكلام المذكور لكون صاحبه من أعالي افراد العلماء، وإلاّ فأي شيعي يتوقف في أفضليته صلى الله عليه وآله وسلم وفي كونه صلى الله عليه وآله وسلم العلة الغائية للمخلوقات؟ فإنَّها من المسلَّمات عند الشيعة.

---

١) هذه مما فُقد في العراق بسبب التهجير القسري أيام الحكم البعثي البائد.

٢) الدين والإسلام: ج ١، الأمر الخامس من مبحث القضاء والقدر، ص ٤٠٤.

أفبعد هذا يتطرق الشك إلى أنه ﷺ محيط بما في اللوح؟ كيف لا وهو المخاطب بقوله (عزّ وجل) في حديث طويل، ومحل الشاهد قوله تبارك وتعالى: «**يا عبدي، أنت المراد والمريد، وأنت خيرتي من خلقي، وعزتي وجلالي، لولاك ما خلقت الأفلاك، من أحبك أحببته، ومن أبغضك أبغضته...**»[1]. ومن هذا كثير في الأخبار، ولقد وقفت على خمسين خبراً في أفضليته وآله (صلوات الله وسلامه عليهم) وكونهم العلة الغائية.

وربما ينتبه المتفطن إلى أفضلية آدم على الملائكة كما هو الحق من أفضلية الانبياء فيشكل بأن الملائكة خلقوا قبل آدم، فالأولوية ليست ملازمة للأفضلية.

وجوابه: أن خلق الملائكة سابق على خلق جسم آدم عليه السلام ، أما سبق خلقهم على روحه فليس بثابت، فالأرواح خلقت قبل الأجسام بآلاف السنين مع أنه قد ورد: «لمّا سجد نور النبي ﷺ في عالمه بين يدي ربه (عزّ وجل) خلق الله من شعاع قبسات نوره مئة وأربعة وعشرين ألف نبي».

ثم لو تسلم الملازمة المذكورة، فثبوت أفضليته ﷺ مع آله عليهم السلام على الكائنات من المسلّمات عند علمائنا، بتصريح الأخبار المتضافرة في كونهم العلة الغائية، وأن لهم الأفضلية مطلقاً بمنَّه (جلّ وعلا) عليهم عليهم السلام بخلق نفوسهم مستعدة للكمالات وبفيضه (جلت قدرته) عليهم عليهم السلام أنواع الخيرات من عالم الأنوار.

---

١) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٨.

لم يكن أكرم النبيين حتى   علم الله أنه أزكاها[1]

وقد تكرَّر منا مراراً أن الفيض الألهي على آله عليهم السلام وغيرهم ببركته مع جامعيته لفضائل الأخلاق في التكوين الخارجي المحسوس من العلم والعقل والإيمان، والمعرفة والتقوى والسكينة والوقار والرضا والعدالة والصبر والسعادة والحلم والهداية والحياء والحكمة والشجاعة والاستغفار والسخاء والدعاء والرحمة والخضوع والشفقة والخشوع والعفة والصدق والرجاء والرهبة والفهم والرأفة والزهد والقناعة والرفق والمودة والتواضع والشهامة والتسليم والأمانة والصمت والطاعة والحب والعطف والصفح والمواساة والوفاء والمداراة والإنصاف والإيثار والإخلاص والكتمان والصلاة والصوم والعبادة وبر الوالدين، وغير ذلك من الصفات الحميدة .

وغير خفي أن مظاهر هذه الصفات إنما هي للسواد الأعظم كي يعرفوه صلى الله عليه وآله وسلم ؛ تنفيذاً لإرادة ربه (جلّ وعلا) حيث قضت حكمته تعريف خلقه حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم وإلا فنفسه الزكية صلى الله عليه وآله وسلم مجبولة منطبعة بكل الأوصاف الجليلة، فهو صلى الله عليه وآله وسلم في حد ذاته منتهى الكمال، كما أشرنا آنفاً.

فلو لم تظهر تلك الصفات في الخارج عند السواد أو لم يميّزها عمومهم؛ لقصور أفكارهم وعمى بصائرهم، لم ينقص من كماله شيء، بل كل خير هو صلى الله عليه وآله وسلم علته؛ لما ثبت بالأدلة القطعية أنه صلى الله عليه وآله وسلم العلة في خلق الأشياء المشار إليها في الحديث القدسي المتقدم: «**خلقت الأشياء لأجلك**

---

١) من قصيدة للشيخ كاظم الأزري رحمه الله ، وقد تقدم ذكرها في هامش صفحة ١٦.

وخلقتك لأجلي»[١]. والمقصود من ذكره ثانياً هو بيان بعض ما يراد منه، فالله تبارك وتعالى خلق حبيبه ﷺ وغيره من المخلوقات لعبادته (جلّ وعلا) طبقاً للآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾، ولكن لا تتحقق العبادة الكاملة إلا من حبيبه ﷺ ثم من آله المعصومين عليهم السلام، فحيث إن المراد عبادته سبحانه وهي موقوفة على معرفته، إذ لا عبادة إلا بمعرفةٍ، فالتعريف منه (عزّ وجل) لعموم عبادة الثقلين منحصر في طريق حبيبه ﷺ ثم في آله عليهم السلام.

وبهذا يندفع التنافي المتوهم بين تعليل خلق الثقلين لعبادته (عزّ وجل) وأن الأكوان خُلقت لحبيبه ﷺ ، فبانحصار الطريق بمعرفته عِظَمِ شأنه عند حبيبه ﷺ ثم عند آله عليهم السلام يتضح مراده (جلّت قدرته) ، وتندفع المعارضة بين الأخبار والآية.

والخلاصة: أن مراده (جلّ وعلا) عبادته الكاملة، ولا تتحقق مرتبتها العليا إلا عند حبيبه ﷺ .

ومنها: هداية الخلق وإرشادهم، فصدرُ الحديث يشير إلى العبادة الحقيقية المتفرعة عن غاية المعرفة الممكنة من المخلوق للخالق، وذيل الحديث يشير إلى أن مظاهرها العليا إنقاذ الثقلين من هوّة الضلال، والسلوك بهم في محجّة الرشاد بنور الهدى والإرشاد... وليس لأحد أن يُشكل على ما قرَر بإرشاد الأنبياء (صلى الله عليهم) من قبله لعبادة ربهم، فالأمر بيد

---

١) مشارق أنوار اليقين: ٢٨٢، علم اليقين (للكاشاني): ج ١ ص ٣٨١.

خالقنا القادر الحكيم، وهو العليم بالذوات والصفات، ولا جزاف عنده (جلّ وعلا) ولا يعطي الفضل لأحد إلا باستحقاقه، فلا يبخس أحداً حقه ولكنه الجواد الفياض يعطي الفضل لأهله بقدر استعداده، ولم ينوّه (سبحانه وتعالى) لغير حبيبه وآله عليهم السلام بتعليل الخلق لأجلهم، كيف لا! وهو المخاطب لصفيه آدم وحواء عليهما السلام: **«ولولاهم ما خلقتكما»**[(١)].

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **«لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعي»**[(٢)]، ويقول أمير المؤمنين عليه السلام كما في الكافي: **«ما برأ الله نسمة أفضل من محمد»**[(٣)]، ومن هذا كثير، ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾ فهو (تعالى وتقدس) يذكر حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم للأنبياء بأنحاء مختلفة حسب الاقتضاءات.

فمن ذلك: ما قاله لكليمه موسى عليه السلام في مناجاته حينما ذكر موسى عليه السلام آباءه، قال تعالى: **«هم كذلك يا موسى إلا أني أردت مَن مِن أجله خلقتُ آدم وحواء ومن أجله خلقتُ الجنة والنار.** قال موسى عليه السلام: **ومن هو يا رب ؟ قال: محمد أحمد صلى الله عليه وآله وسلم»**[(٤)].

وقد نص (تبارك وتعالى) في كتابه المجيد بأخد الميثاق له صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ**

---

١) معاني الأخبار: ص ١٠٩ باب (معنى الأمانة التي عُرضت) ح ١.

٢) بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ٣٦١.

٣) الكافي: ج ١ ص ٤٤٠ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ح ١.

٤) معاني الأخبار: ص ٥٤ (معاني أسماء محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين) ح ١.

مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1]، وقد ذكرناها مع تفسيرها في آخر النظرة الأولى من (الجزء الأول)، كما أنًا ذكرنا في (الجزء الثاني) من النظرات الثالثة والرابعة فضلَه وشرفه ﷺ على الأنبياء عليهم السلام، فهم عليهم السلام يعتقدون أنه ﷺ سيدهم وفخرهم، ويتقربون لربهم بحبهم له وتنويههم به.

وسرُ تفضيله ﷺ عليهم واضح جلي عندهم.

والظاهر أن الله (تبارك وتعالى) تقتضي حكمته بتعريف خلقه خالقهم (تعالى وتقدّس) بآثار صنعه، وأكمل صنائعه تكون دلالته أقوى على صانعه، وليس منتهى الكمال في الصنع إلا حبيبه وصفيه محمد ﷺ، ومن أجل ذلك عرّف به ملائكته في عالم الأنوار فسبّحوا وهللوا بتسبيحه وتهليله ﷺ، وما زال (تبارك وتعالى) ينوّه به في عالم اللاهوت وعالم الملكوت حتى عالم الناسوت. فكل نبي بعثه بشّر به أمته، فأمم الأنبياء السابقين يعرفونه على ألسنة أنبيائهم، وفي كتبهم المنزلة عليهم، كصحف آدم وشيت وإبراهيم والتوراة والإنجيل والزبور، فهم يعرفونه ويعرفون آلَه بنعتهم وصفتهم في كتبهم.

ولقد ذكرنا من ذلك طرفاً جليلةً في أوائل (الجزء الثاني) وفي (النظرة الأولى) من (الجزء الأول)، وفي (النظرة الثانية) منه في مقابلة معاجزه

---

١) سورة آل عمران، الآية ٨١.

بمعاجز الأنبياء عليهم السلام ومنحه بما منحهم من المعاجز مع ما خصه (تبارك وتعالى) من المِنَح والميزات. فلا غرو أن جعله الخاتم لهم، وجعل شريعته الناسخة لجميع الشرائع القائمة إلى يوم القيامة، وجعل من وُلده القائم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي «يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، و﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾».

أو ليس هذا كله دليلاً جلياً على تمامية مصالح الخلق في عباداتهم ومعاملاتهم واجتماعيَّاتهم وأخلاقهم، وكمالها بكمال شريعته صلى الله عليه وآله وسلم المشار إليها بقوله تعالى ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾[1] وذلك عند نزولها يوم خمٍّ بعد نصه صلى الله عليه وآله وسلم بالولاية لأخيه أمير المؤمنين وولده الأحد عشر المعصومين عليهم السلام.

أليس هو صلى الله عليه وآله وسلم المخاطب من جبرئيل عند عروجه ووصوله إلى المقام الخاص به صلى الله عليه وآله وسلم فيقول له: «**تقدم يا محمد فقد وطأت موطئاً لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل**»[2].

ولولا أن روحه ونفسه صلى الله عليه وآله وسلم كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه وكان من الله تعالى كما قال: ﴿**قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾.

فمن ذا يقدر على الاحاطة بكنه فضله صلى الله عليه وآله وسلم وإحصاء عُشر العُشر، بل ولا نقطة من بحر نعوته وأوصافه صلى الله عليه وآله وسلم.

---

١) سورة المائدة، الآية ٣.

٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٤٦، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٣٦.

فلتصفه بكل وصف عظيم　　　إن فيه تعظيم من أولاه

هذا البيت للعلامة الجليل [الشيخ علي] الجشي رحمه الله ، وفيه أشارة لما قررنا من أنّ أكملية المصنوع أدلُ على كمال الصانع، فمعرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقرونة بمعرفة ربه (عزّ وجل) فهي باعتبارٍ العلة لمعرفة خالقه، وباعتبارٍ هي متفرعة من معرفته (سبحانه وتعالى)، وذلك أن العقول بفطرتها تعرف أن للأكوان صانعاً فتفرض طلب معرفته؛ دفعاً لضرر تركها، وتستدل على المؤثر بالآثار، وأقوى الآثار أكملها، فبمعرفة الأكمل ـ وهو حبيب الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ تحصل السببية لمعرفة الصانع ووحدانيته وصفاته الذاتيه، ويكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم طريقاً لذلك ـ بالدليل العقلي والحسي ـ ولكيفية عبادته، وبعد معرفة النبي معرفة الإمام، فمعرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم متفرعة عن معرفة الإله الإجمالية، وسببٌ إلى معرفته بما يريد من خلقه (عظُم شأنه) ، ومعرفة الإمام متفرعة على معرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وباعتبارٍ هي سببٌ موصل لأحوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشريعته، فبهذه الاعتبارات يصح أن يقال: معرفة الله معرفة النبي، ومعرفة النبي معرفة الله، ولو بنحو من العناية والتجوّز؛ لعلاقة التسبيب، وكذلك يقال: معرفة النبي معرفة الإمام، ومعرفة الإمام معرفة النبي، ولو بالتجوز كسابقه، فالتلازم بين معرفة المعبود (عزّ وجل) وحججه المرشدين لمعرفته وعبادته واضح جلي لذوى العقول السليمة. والنسبة بين المحمول والموضوع ليست مخصوصة بحمل (هو هو)، بل قد تكون بحمل ذي (هو)

حقيقة أو مجازاً؛ لشدة العلاقات، فالتقارن بين المعارف بعد حصولها متحقق بلا إشكال.

ودونك سنداً لما قررنا: ما رواه الجليل الفيض المحسن الكاشاني في (الصافي) عن الصادق عليه السلام قال: «**خرج الحسين بن علي عليه السلام على أصحابه فقال: أيها الناس، إن الله (جلّ ذكره) ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه.** فقال له رجل: يا ابن رسول الله ـ بأبي أنت وأمي ـ فما معرفة الله؟ فقال: **معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي تجب عليهم طاعته**»(١). انتهى.

فحقق النظر بعين البصيرة ترى صريح الخبر يبين ما ادّعيناه بأجلى بيان، فليست معرفة الإمام واجبة إلاّ بما هي سبب موصل لمعرفة النبي ومعرفة الله. فالنبوة والإمامة متلازمتان، وهما مشتركتان في السببية لمعرفة الله (تقدست اسماؤه)، فمعرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي السبب القوي، ومعرفة الإمام بعدها، وليس المراد إلا معرفة الخالق.

فاتضح التوافق بين الأخبار المصرحة بعلتهم عليهم السلام لخلق الأشياء وبين خلق الثقلين لعبادة ربهم.

ولا عبادة كاملة ـ على التحقيق ـ إلاّ للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم لآله عليهم السلام وباقي الأنبياء في كمال العبادة على مراتبهم في الفضل، وكل فضلٍ هو ببركته صلى الله عليه وآله وسلم، فهو ينبوع كل خير، بل هو الخير كله، فلا خير إلا بسببه صلى الله عليه وآله وسلم

---

١) تفسير الصافي: ج ٥ ص ٧٥ أيضاً ج ٦ ص ٥٥٩، عن علل الشرائع: ص ٩ ب ٩ ح ١.

ولا شك أن أشرف الخير وأكمله هو العلم، وأن مفاضه منه ﷺ بإمداد ربه (عزّ وجل). يقول أحد المحبين لهم عليهم السلام:

ما عسى أن أقول في ذي معال علة الكون كله إحداها[1]

ويقول العلامة الجشي في حقه ﷺ من قصيدة طويلة[2]:

وهـو العـالم بالأشـياء عـن علـم كشـف لا بإخبـار وظـن

كشَفَ الأستار عنه ذو المنن فـأراه ظـاهراً مـا حجبـا

وتجلى السر من أنبائها

بالعبوديـة لله ظهـر وبكنـه الفقـر لله افتخـر

فهـو العبـد الحقيقـي وذرَ فاصـطفاه وإليـه قرّبـا

وحباه الذات معْ أسمائها

ولعمري إنه لحق اليقين، فاستضئ أيها القاريء الفطن بما شعّ في هذه الأبيات من لُمع من قبسات من أنوار سيد السادات، فقد جمع هذا العالم الجليل الشيعي الحقيقي بين الإشادة بعلو قدر سيد الأكوان ﷺ وبين الاعتراف بانقطاعه ﷺ لربه وكمال عبوديته له، فهو ﷺ لايزال يُظهر الافتقار لربه وينوّه مستأنساً بإظهار العبودية ويقول بما أمره الله: إني ﴿لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرّاً﴾.

---

١) من قصيدة الشيخ كاظم الأزري رحمه الله ، وقد تقدم ذكرها في هامش صفحة ١٦.

٢) ديوان العلامة الجشي: ص ٣٢.

وهذه المقامات له صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة، فهو صلى الله عليه وآله وسلم أطوع الخلق للخالق، والله (تبارك وتعالى) كثيراً ما يأمره باظهار التواضع والإنقطاع، ومن ثم يقول صلى الله عليه وآله وسلم : «**أنا أديب الله وعلي أديبي**»[١]. فهذا صريح باعترافه صلى الله عليه وآله وسلم لأن ما له من الخير ليس إلا من الله، ونفسه الزكية مستعدة غاية الاستعداد لاتباع الأوامر والنواهي من الله، فلم يسبقه سابق إلى الخير، فقد ورد عن الصادق عليه السلام : «أنَ أول من قال (بَلَى) هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جواب قوله تعالى: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**﴾»[٢].

ومما ورد من أوامر الله له في ذلك قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾[٣]. قال ابن عباس في تفسيرها كما في (المجمع) : علَّم اللهُ نبيَه التواضع. ثم قال: فأمره أن يقرّ على نفسه بأنه آدمي كغيره إلا أنه أكرمَ بالوحي، وهو قوله تعالى: ﴿**يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾[٤] لا شريك له أي لا فضل لي عليكم إلا بالدين والنبوة، ولا علم لي إلا ما علمنيه الله تعالى[٤]. انتهى.

وبهذا الإعتراف الأخير يندفع ما يشكل به الجاهلون بمقامات حجج الله، كيف أنهم يعلمون بالمغيبات وما كان وما يكون، ويحتجون بمثل قوله

---

١) مكارم الأخلاق: ص ١٧.

٢) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٣٩، بحار الأنوار: ج ١٥ ص ١٧.

٣) سورة الكهف، الآية ١١٠ . سورة فصلت، الآية ٦.

٤) مجمع البيان: ج٦ ص ١٢٨.

تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[١]، وأمثالها من القرآن المقدس؛ وذلك لقصور الأفكار المتلوثة بِظُلَمِ الجهل عن العلم الذاتي والعرضي. فكُل ما للحجج المعصومين عليهم السلام من العلم بالمغيبات وغيرها إنما هو موهبة من الجواد الفياض، وإلى ذلك أشار المرحوم الجشي في قوله

كشف الأستار عنه ذو المنن فأراه ظاهراً ما حجبا[٢]

هذا ولكن لعله يُتوهم من الأبيات المذكورة في العلم أنه حضوري، ولعل ناظمها قائل به تبعاً لجماعة من المتقدمين، وفاقاً لبعض المتأخرين، ومنهم الحجة الشيخ محمد حسين المظفر النجفي (قدس الله تربته)[٣].

والعلم الحضوري وإن كان ممكناً في ذاته إلا أني لا أقول به، لعدم ثبوته عندي، فإن التدين به وبأمثاله من العقائد لا يجوز إلا بالأدلة القطعية كما ثبتت في أفضليتهم عليهم السلام وكونهم العلة الغائية. أما كونهم عالمون بالمغيبات وغيرها من الموضوعات والأحكام، كلية وجزئية، فلا ريب في ثبوت ذلك ووقوعه، والقدّر المتيقّن منه هو العلم الإشائي الإرادي.

نعم، إن أرادوا بالحضور انكشاف بعض ما علموه بتعليم ربهم بحيث يعلمون به كما يعلم أحدنا بأنامله وراحة كفته، فهذا شيء لا محذور فيه،

---

١) سورة الأنعام، الآية ٥٩.

٢) ديوان العلامة الجشي: ص ٣٢.

٣) علم الإمام: ص ٢٣ إلى ٣٢.

وهو واقع لهم عليه السلام ، وقد أخبروا بالشيء الكثير منه. أما علمهم عليهم السلام بكل ما كان وما يكون وما هو كائن بنحو الحضور فهو وإن كان أكمل العالم به إلا أنه لم يثبت على القطع والجزم مع ما يعارضه من كثير من الأخبار الصريحة الصحيحة أو الحسنة الصالحة للحجية، كقولهم عليهم السلام : «**لو لم نزد لنفد ما عندنا**»، وأنهم يزدادون في كل جمعة فيستفيدون علماً جديداً[(١)]، وقول السجاد عليه السلام : «**لولا آية في كتاب الله لحدثتكم بما يكون إلى يوم القيامة**»، فسُئل عنها فقال: «قوله تعالى: ﴿**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[(٢)]»[(٣)].

وبالجملة، إنا نقول: ما ظهر من الله من علم فقد وصل إليهم عليهم السلام ، ولسيدهم الأكبر الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الخصوصية والفضل، فقد سبق منا الإشارة آنفاً إلى أن نفسه المقدسة صلى الله عليه وآله وسلم هي مرآة عالم الملكوت، وهو المحيط صلى الله عليه وآله وسلم بما كتب في اللوح بصورة كلية، كما أن ما في اللوح إنما هو صور كلية. والتفاصيل تجيء من الحضرة الإلهية الأزلية إلى النفس المحمدية حسب الظروف والمصالح الحكمية، فربما وصل إليه صلى الله عليه وآله وسلم من الإشراقات الإلهية ما لم يكن في اللوح، كما يرشد إليه الحديث المروي عن الصادق عليه السلام، وشاهدنا منه قوله: «**وعلماً استأثر به، فإذا بدا لله في شيء منه**

---

١) بصائر الدرجات: ص ٢٥٢ ح ٥، بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٨٦.

٢) سورة الرعد، الآية ٣٩.

٣) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢١٥، بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٨.

أعلمنا...»[١]. فتدبره بعين بصيرة، ففيه قوة قرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ربه تجد بأنه لا شك أنّ علم الآل عليهم السلام وغيرهم من المعصومين ومن سواهم من العلماء إنما هو من فضله صلى الله عليه وآله وسلم . فلا شك أنه أول العالمين بما يفيض من العلم بخلق كل شيء (تعالى وتقدس)، فقلبه صلى الله عليه وآله وسلم خزانة علومه (جلّ وعلا) وهو المصباح المشار إليه في آية النور[٢]، ذكره غير واحد من المفسرين، ومنهم الشيخ فخر الدين الطريحي (عليه الرحمة)، قال في (مجمع البحرين) في مادة (نور) ما نصه:

قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ.. الآية﴾ : ذهب أكر المفسرين إلى أنه نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فكأنه قال: مثل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو المشكاة، والمصباح قلبه، والزجاجة صدره، شبّهه بالكوكب الدري. ثم رجع إلى قلبه المشبّه بالمصباح فقال: ﴿يُوقَدُ﴾ هذا المصباح ﴿مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ يعني إبراهيم عليه السلام ؛ لأن أكثر الأنبياء من صلبه، أو شجرة الوحي، ﴿لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي لا نصرانية ولا يهودية؛ لأن النصارى يصلون إلى المشرق واليهود إلى المغرب، يكاد أعلام النبوة تشهد له قبل أن يدعوا إليها. وعن الباقر عليه السلام : ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ : **«هو نور العلم في صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والزجاجة صدر علي عليه السلام علّمه النبي... الخ»**[٣].

---

١) بصاءر الدرجات: ص ٤١٤، الكافي: ج ١ ص ٢٥٥، بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٩٣.

٢) سورة النور، الآية ٣٥.

٣) مجمع البحرين: ج ٣ ص ٥٠٤، وله أيضاً: تفسير غريب القرآن: ص ٢٨٢.

فمن يستكثر هذا فليقرأ آية المباهلة، وليتدبر فيها ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، وليقرأ من سورة يس: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عن آبائه ـ كما في (المناقب) ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سُئل عن الإمام فأشار إلى أمير المؤمنين عليه السلام[1].

وغير خفي على كل عارف بقدرهما (صلوات الله عليهما وآلهما) أن انطباق الآية على النبي قبل الوصي، فإن النبي هو المعلّم للوصي، فليس له فضل إلاّ بفضله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد ذكر هذا التفسير السيد عبد الله شبّر[2] والميرزا السيد علي الحائري في تفسيره (مقتنى الدرر)[3]، كما أنهما ذكرا في تفسير آية النور ما ذكرناه من أن المراد هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك ذكره أمين الإسلام في (المجمع)[4] وشيخ الطائفة في (التبيان)[5] والظاهر أن الحجة العظمى الشيخ محمد حسين الأصفهاني النجفي يشير لهذا في كلامه في صفاته صلى الله عليه وآله وسلم:

ولوح ألواح مجامع الحكم   أو قلم الأقلام أو أعلى القلم[6]

وأخد في صفاته صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن قال:

---

١) انظر: مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص٣١٢.

٢) تفسير القرآن الكريم: ص ٣٤٢.

٣) تفسير مقتنيات الدرر: ج ٧ ص ٤٣٦ ـ ٤٤٦.

٤) مجمع البيان: ج ٧ ص ٢٤٩.

٥) التبيان في تفسير القرآن: ج ٤ ص ٤٣٧.

٦) الأنوار القدسية: ص ١٤ البيت رقم ١٣.

وقلبه مجلى التجلي الذاتي وصـدره خـزانة الحـياة
خـزانة الأسـرار والمـعارف وما به حياة كل عارف[١]

انتهى شاهدنا من القصيدة، وهي جليلة، فراجعها ففيها سرور الأفئدة، وتأمّل في هذه الأبيات كي ترى فيها خلاصة ما حررناه، وتستقرب ما حققناه، وتطمئن اطمئنان مُسلّم لما استنتجناه من كون النبي ﷺ عالماً بما في اللوح على وجه كلّي إجمالي، والفيوضات الإلهية بالإشراقات الربّانية لا تنقطع عن نفسه المقدسة، فبسببها تتجدد له ﷺ العلوم في كل أوقات حياته؛ لما عرفت مما أشرنا إليه من أخبار الاستمداد من ربه (عزّ وجل) والاستفادة منه (جلّ وعلا) ، على أنه ﷺ ممكن لا يزال مفتقراً للواجب فاسمع قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٢]، فعلومه ﷺ قد كشفت له الواقع، فلا حجاب ولا مانع، وبهذا نصحح قول البوصيري في قصيدته المعروفة بالبردة:

فإن جودك الدنيا وضرّتها ومن علومك علم اللوح والقلم[٣]

وبهذا نختتم الأمر الثاني من التمهيد المقصود به التحقيق في أن علمهم عليهم السلام لدنّي إشراقي إلهي ليس بكسبي بطريق التعليمات العادية والتقريرات الصناعية.

---

١) الأنوار القدسية: ص ١٧ البيتان ٣٩ و ٤٠.

٢) سورة طه، الآية ١١٤.

٣) البيت الثالث من الفصل العاشر من القصيدة.

وما حققناه في هذا الأمر فيه كفاية لما اتّضح فيه من الحجج القائمة والبراهين الجلية لمن كان له أذن واعية، وبصيرة عن شوائب التقليد صافية.

وقد كنا رسمنا في التمهيد ثلاثة أمور، فلنفِ بوعدنا ونستمد العون منه ربنا (جلَ وعلا)...

الأمر الثالث: لا شك ولا ريب في أن تزكية النفس وتحليتها بالأخلاق الفاضلة وتنزيهها وتطهيرها عن الأخلاق الرذيلة من أقوى الأسباب في الفيوضات الإلهية التي هي علة في تحصيل العلوم الروحانية، وتزكية النفس قوامها الاستقامة على الأوامر والنواهي الإلهية بالتمسك بأنوار العلوم القرآنية والسنة النبوية الحاصلة من كلامه وتقريراته وفعله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك من عترته الهادية الزكية، أمير المؤمنين وولده الأحد عشر المعصومين عليهم السلام، وفضل تحلي النفس الإنسانية بالأخلاق الفاضلة وتخلّيها من الأخلاق الرديئة مما تكفّل به القرآن الكريم ونصوص النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك أمير المؤمنين وأبناؤة الطاهرين عليهم السلام .

فاقرأ قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[1]. فقد فسرها غير واحد من المفسرين بأن المراد بالتزكية: التقوى الجامعة، وهي المواظبة على الواجبات وترك المحرمات. والتدسيس: ضد التقوى، وقد ذكر أمين الإسلام في (المجمع) أقاويل أُخَر مؤداها واحد، وهو المواظبة على الخير من الصدقات وغيرها من الطاعات، وضدها عكسها، وذكر رواية

---

١) سورة الشمس، الآيتان ٩ ـ ١٠.

نبوية أحبُ تحريرها؛ لما فيها من الإشعار بانقطاعه ﷺ لربه (تعالى وتقدس) : عن سعيد بن أبي هلال قال: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآي ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، وقف ثم قال: «**اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليَها ومولاها**»[1]، انتهى.

فينبغي أن نستنير بما شع من أنوار هذه الرواية بما يفيدنا من تصرفات آنات أزمنة نبينا ﷺ في سعيه بقوله وفعله وحركاته وسكناته ﷺ في العروج على معارج الكمال، والوصول إلى بساط الكبير المتعال، فهو ﷺ لم يزل يتعبد ويتقرب لربه (جلّ وعلا) إلى آخر حياته، فهو ﷺ يزداد في كل آن من حياته قرباً وافتقاراً، ويرى نفسه ﷺ في غاية التقصير لما عرف ما لم يعرفه غيره من هيبة الجبار، فبذلك لم يزل ﷺ يرقى في رتب القرب لذي الجلال ولولا ذلك لكان دعاؤه ﷺ وطلبه من ربه (سبحانه وتعالى) بأن يلهمه التقوى تحصيل حاصل؛ إذ هو ﷺ في القمة العليا منها منذ تكوينه ﷺ، كيف وقد صرح في حديث سبق نوره بتعليمه الملائكة كما مر عليك آنفاً، ولكنه ﷺ كلما دنا في قربه من ربه (تبارك وتعالى) استشعر شدة الخشية منه تعالى، فهو ﷺ أظهر المصاديق وأعلاها لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[2].

---

١) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٣٧٠.

٢) سورة فاطر، الآية ٢٨.

فاسمع كلمة من الشيخ المحقق الطوسي بنقل الشيخ فخر الدين من (مجمع البحرين) في مادة (خشي).

قال الشيخ فخر الدين ما نصه:

وفي بعض مؤلفات المحقق الطوسي ما حاصله: إن الخشية والخوف وإن كانا في اللغة بمعنى واحد إلا أن بين خوف الله وخشيته ـ في عرف أرباب القلوب ـ فرقاً، وهو أن الخوف تألّم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيّات والتقصير في الطاعات، وهو يحصل لأكثر الخلق، وإن كانت مراتبه متفاوتة جداً، والمرتبة العليا منه لا تحصل إلا للقليل. والخشية حالة تحصل عند الشعور بعظمة الحق وهيبته وخوف الحَجْب عنه، وهذه حالة لا تحصل إلا لمن اطّلع على حال الكبرياء وذاق لذة القرب، ولذا قال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ ، فالخشية خوف خاص، وقد يطلقون عليها الخوف أيضاً[١]. انتهى.

فبحق الإيمان تبصّر فيما شعّ من قبس هذه الكلمة الجليلة وتدبر قوله: "والخشية حالة تحصل عند الشعور بعظمة الحق... الخ" ترى فيها جليّاً ما حققّناه من أن ذلك خاص بالمقربين، وسيّدهم سيد المرسلين ﷺ له النور الأكمل في ذلك البساط الأقدس.

فقوله ﷺ : «**اللهم آت نفسي تقواها**» مع أنه النبي ﷺ ما اصطفاه ربه لنفسه إلا لما علم بأن نفسه الزكية أزكى البرية.

---

١) مجمع البحرين: ج ١ ص ٦٣١.

إذن فلابد أن يُستشعر من هذا الدعاء ما قدّمناه من الانقطاع وإظهار الافتقار، والإشارة إلى أن التقوى هي الجامعة لمكارم الأخلاق، فإذا تحلّت النفس بها فمن الضروري تخلّيها عن ضدها وهي رذائل الأخلاق...

والكمال بالتحلي الكامل هو الاستقامة على النقطة الوسطى.

والوسط الأكمل منها ليس بمتحقق إلا للنبي ﷺ وآله عليهم السلام، ثم الأمثل فالأمثل من الأنبياء والصلحاء. فالمستقيمين على النقطة الوسطى هم المتقون؛ لأن التقوى هي الجامعة لمكارم الأخلاق، ومكارم الأخلاق هي الوجه السادس من الوجوه المذكورة في (المجمع).

قال أمين الإسلام: ويعضده ما روي عنه، قال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[١].

وقد ذكرنا تفسير الآية في (الجزء الأول)، وإنما المقصود هنا: تزكية النفس بفضائل الأخلاق وخلّوها من ضدها؛ لأن لكل فضيلة ضد، والوسط بين طرفي الفضيلة والرذيلة هو مركز الاستقامة على الحق والتقوى كما حُقق في علم الأخلاق، فراجع (جامع السعادات) و (طهارة الأعراق)[٢].

ثم إن التقوى لمّا كان أول مراتبها المواظبة على الواجبات واجتناب المحرمات من الكبائر والإصرار على الصغائر، وهي أول رتب العدالة

---

١) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٨٦.

٢) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لأبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي المعروف بـ(ابن مسكويه) عاش في القرن الرابع والخامس الهجري.

وأعلاها، وأول درجة العصمة، وما بين ذلك رتب كثيرة، فالراقي فيها يصل إلى الدرجة الكبيرة عند الله (تعالى وتقدس) . فزكاة النفس عمدتها العمل بأوامره والانتهاء عن نواهيه.

وإلى ذلك أشار سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام : «**وخَلقَ الإنسانَ ذا نفسٍ ناطقة، إنْ زكَّاها بالعلمِ والعملِ فقد شابهتْ جواهر أوائلَ عللِها**»[١].

ذكر ذلك الحجة العظمى الشيخ العلي الخنيزي القطيفي في (روضة المسائل) ، ثم قال قدس سره بعد كلمات: والمراد بـ«**أوائل العلل**» إما الإشارة إلى الحديث القدسي: «**أطعني يا عبدي تكن مثلي**»... إلى آخر كلامه قدس سره[٢].

ولكنه لم يذكر آخر الحديث، وآخره: «**أنا أقول للشيء كن فيكون وأنت تقول للشيء كن فيكون**». فآخر الحديث يفسر أوله؛ لأن الله (تبارك وتقدس) لا مثل له عقلاً ونقلاً، قال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ فلابد وأن تكون المماثلة للعبد المطيع في بعض الوجوه من وجوه قدرته (جلّ وعلا) التي أمدّ بها سفراءه من الأنبياء والأوصياء؛ للتصرف في الكائنات كفعل موسى عليه السلام ، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام، وقد جرى ذلك لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، وذكرنا جملة من معاجزه صلى الله عليه وآله وسلم في (الجزء الأول)[٣]، منها: انشقاق القمر، وحنين الجذع.

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٤ رقم ٧٥.

٢) روضة المسائل: ص ٢٧.

٣) صفحة ١٠٠ النظر الثانية، و صفحة ١٢١ النظرة الثالثة.

وكلّم الحصى وظبياً واشتهر   أمثال تلك وله انشق القمر

وأعظمها القرآن وهي المعجزة الخالدة، ومن ذلك رد الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام مرتين، في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرة وبعدها مرة، وذلك محقق في كلمات كثير من إخواننا أهل السنة، وقد ذكرناها في الشعاع الرابع عشر من (النظرة النفسية)[1] مفصلاً، وقد حاز رد الشمس وصي موسى يوشع بن نون عند حرب الجبارين، وقد أشار لذلك ابن أبي الحديد بنظمه:

يا من له ردت ذكاء ولم يفز   بنظيرها من قبلُ إلا يوشع[2]

فتصرفاتهم عليهم السلام في الأكوان بإمداد ربهم (سبحانه وتعالى) من أظهر المشابهات في بعض وجوه قدرته (جلّ وعلا).

فهم عبيدٌ والعبيدُ فقرا   أفضلهم أتى به مفتخراً

فمشابهة النفس القدسية التي تزكت بالعلم والعمل بأوائل العلل متحققة، ألا وهو الخالق القادر الكريم الوهاب (جلّ وعلا) الذي لا يبخل بفيضه على من استعد له، كيف ومن أعدهم (جلّ وعلا) من بدء تكوينهم في عالم الأنوار، وسيدهم وأقربهم النبي المصطفى المختار صلى الله عليه وآله وسلم، فهو صلى الله عليه وآله وسلم منذ سبق إلى قول (بلى) ـ كما سبق منا آنفاً ـ لم يزل يَؤُمُّ السالكين في سبيل رب العالمين، فإنه أول المخاطبين لربه في فاتحة الكتاب بقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فهو ـ لَعَمرُ الله ـ أول المجابين.

---

١) النظرة النفسية: ص ٩٩.

٢) الروضة المختارة (شرح القصائد العلويات السبع): ١٤٠.

فالصراط المستقيم في الآية هو كتاب الله ـ كما رواه أمين الإسلام[١] عن النبي وعلي (صلوات الله عليهما آلهما) ـ وهو المراد بقوله ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي ذلك الكتاب الذي وعدتك به في الكتب السالفة. كذا ذكره أمين الإسلام.

ثم ذكر فيه أقوالاً وروايات، تعجبني فيه رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إنما سمي المتقون متقين: لتركهم ما لا بأس به؛ حذراً للوقوع فيما به البأس**»[٢]. انتهى.

ولَعَمْري إن حصول ذلك لغير المعصومين عليهم السلام عزيز جداً، أمّا هم عليهم السلام ـ خصوصاً السيد الأكبر والمنقد الأعظم نبي الهدى صلى الله عليه وآله وسلم ـ فهم فناء في ذات الحق لا يشتغلون في غير ما يقربهم إليه (عظم شأنه)، كيف! والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ مع ما هو فيه من فناء حركاته وسكناته في هداية الأمة ـ كان في عبادة ربه في قيام الليل على ساق، حتى تورّمت قدماه، فنودي من الحق بالآية الكريمة: ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾، ولما قيل له في ذلك، قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»[٣]. وهو صلى الله عليه وآله وسلم أول المتزودين والممتثلين لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى * وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[٤]، وخص

---

١) مجمع البيان: ج ١ ص ٦٦.

٢) ن، م، ص ٨٢ ـ ٨٣.

٣) الكافي: ج ٢ ص ٩٥ ح ٦، بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٦٤.

٤) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

أولي الألباب بالنداء؛ لأنهم العارفون ـ بمقتضى عقولهم ـ هيبة الله، فهم يستشعرون خشيته على الدوام. ولا شك أن كل ذي لب يستمد عقله من العقل الروحاني، وهو العقل الأول، عقل نبينا ﷺ، فهو إمام الخير وقائده، فإنه ﷺ علة إيجاد المتقين، ولولاه لم يكن تقوىً ولا متقون، ولم يكن إسلام ومسلمون.

ولا بد أن نعلم أنَّ سرَّ التقوى الإخلاص، بل هو قوامه وقلبه، فينتفي بانتفائه في الواجبات والمندوبات، أما المكروهات والمحرمات الصريحات أو المتشابهات. فيخصّه الورع، وهو أحد مصاديق التقوى، وربما كان في بعض المقامات أقوى تأثيراً في انقياد النفس للقوة العاقلة الملكوتية؛ لكونه أشد امتحاناً لها في انطباعها على التقوى، ولأجل ذلك ورد عن النبي ﷺ ما يحث عليه حينما سأله أخوه (صلوات الله عليهما وآلهما) في خطبته ﷺ عند دخول شهر رمضان المبارك، قال أمير المؤمنين عليه السلام ما نصه: «**فقمت وقلت: يا رسول الله، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن، أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله (عز وجل)...**»[1]، انتهى.

وهكذا في المحرمات وترك المكروهات تدخل الرواية النبوية السابقة في تعريف التقوى، فترك الجائز مانع عن فعل ما ليس بجائز منعاً روحانياً، أي استضاءة النفس بالأنوار القدسية، فتتأثر بحبها الخدمات الإلهية فيتسبب عن ذلك تطهرها عن الرذائل الأخلاقية، فالأخلاق المذمومة حاجبة

---

١) عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢٦٦، بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ١٩.

عن الاتصال بالعوالم الملكوتية، وبذلك يتحقق ما صرح به النبي ﷺ من أفضلية الورع، فبه ينتهي الإنسان عن المحرمات الشرعية، ومنها: الكبر والحسد والعجب وغيرها من رذائل الأخلاق.

وقد عقد المولى الشيخ النراقي في (جامع السعادات) فصلاً في "حاجبية الأخلاق الذميمة عن المعارف"، فيا حبذا نلتقط منه كلمات جليلة من كلمه الطيّب توضيحاً لمرادنا، قال قُدِّسَ سِرُّهُ ما نصه:

"وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله: «**لولا أن الشياطين يحومون إلى قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات والأرض**» فبقدر ما تتطهر القلوب عن هذه الخبائث تتحاذى شطر الحق الأول، وتلألأ فيها حقائقه كما أشار إليه النبي ﷺ: «**إن لربكم في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها**» فإن التعرض لها إنما هو بتطهير القلوب عن الكدورات الحاصلة عن الأخلاق الرديّة، فكل إقبال على طاعة وإعراض عن سيئة يوجب جلاءً ونوراً للقلب يستعدّ به لإفاضة علم يقيني، ولذ قال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾، وقال النبي ﷺ : «**من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم**»، فالقلب إذا صفى عن الكدورات الطبيعية بالكلّية يظهر له من المزايا الإلهية والإفاضات الرحمانية ما لا يمكن لأعظم العلماء، كما قال سيد الرسل: «**إن لي مع الله حالات لا يحتملها ملك مقرب ولا نبي مرسل**»"[1]، انتهى.

---

١) جامع السعادات: ج ١ ص ٣٧ ـ ٣٨.

فيا أيها المتبصر ببصيرته وإنصافه تأمل فيما حرره قُدِّسَ سِرُّهُ ترى فيه نور ما حققناه جلياً كالشمس، ولا تغفل عن النبوي الأخير ففيه الصراحة بفضل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الأنبياء والملائكة، وهي مهمتنا الكبرى وبغيتنا العليا، التي تشرفنا بالتصدي بالكلام عنها تعبّداً لربه تعالى وطلباً لشرف خدمته صلى الله عليه وآله وسلم ، وإلا ففضله أجلى من الشمس.

وإذا استطال الشيء قام بنفسه   وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً[1]

---

١) البيت لأبي الطيب المتنبي، ذكرهما ابن نباتة المصري (٧٦٨ هـ) في كتابه (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) ويوسف بن يحيى الحسني الصنعاني الزيدي في (نسمة السحَر فيمن تشيّع وشعَر) ، وفيه: ورأيت في بعض أخباره أنَّه آخر شعر قاله، وقد عُوتب في ترك مديح أهل البيت سيما أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال:

وتركت مدحي للوصي تعمّداً   إذ كان نوراً مستطيلاً شاملا

وإذا استطال الشيء قام بنفسه   وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

ذكرهما إبراهيم اليازجي في كتاب أبيه ناصيف اليازجي (١٨٧١ م) (العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، طبعة دار صادر، بيروت) الذي هذّبه وأكمله، وأوردهما عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهندي (١٩٧٨ م) في كتيّب له بعنوان (زيادات ديوان شعر المتنبي) نقلاً عن كتاب (سرح العيون) وأشار إلى أنه استخرجها من نسخ خطيّة في حيدرآباد. ومما يؤسف له أن البيتين حُذفا من أكثر الطبعات المتداولة اليوم، حتى إن عبد الرحمن البرقوقي ذكرهما في شرحه للديوان في الطبعة الأولى ذات الجزئين (ج ٢ ص ٥٤٦) ثم حذفهما في الطبعة الأخرى ذات الأربعة أجزاء، كما حُذفا أيضاً من شرح اليازجي في طبعة (دار الأرقم بن الأرقم، بيروت).

ومن ذا يقوى على إحصاء فضائله وبلوغ نقطة من أبحر فضله صلى الله عليه وآله وسلم، كيف لا، وهو أعلى كلمات الله العليا التي لا تنفذ، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[1].

هذا، ولا يخفى أن للمتأمل أن يشكل على شيخنا النراقي رحمه الله باستشهاده بالنبوي الأخير كما أشكل به بعض الألمعيين ممن حضر مجلسنا، فيقال: إن هذه الحالات التي ذكرها رحمه الله هي من خصائصه مع ربه (تبارك وتعالى) ولا يشاركه فيها أحد، فكيف يقول الشيخ رحمه الله بأن ما ذكره من الفيوضات لا يحصل إلا لأعاظم العلماء، ثم يستشهد بالآية والنبوي الشريف؟

فيقال في الجواب: إن لفظة الأعاظم سهو من قلمه رحمه الله وإنما مقصودة: أعظم العلماء الكاملين البالغين أعلى مراتب الكمال، وهذا النوع الخاص لا يتحقق إلا به صلى الله عليه وآله وسلم فقط. أو أن مقصوده رحمه الله أن تلك الرتبة العالية الخاصة بأعاظم العلماء التي لا تنحصر في رتبته صلى الله عليه وآله وسلم بل هي دون رتبته بمراتب كثيرة، فحينئذ يكون استشهاده بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخاص به تنويهاً منه رحمه الله بفضل نبيه الذي لا يشاركه به أحد، والرتبة الأدنى المشتركة بين أعاظم العلماء تعم من سواه صلى الله عليه وآله وسلم من العلماء، وأفضلهم الأنبياء والأوصياء (عليهم الصلاة والسلام)؛ لأنهم عليهم السلام علماء معصومون مطهرون بالبلوغ إلى أعلى رتب التقوى، وهي ما دون رتبته صلى الله عليه وآله وسلم.

١) سورة الكهف، الآية ١٠٩.

وأحسن من هذا: وجهاً ثالثاً: وهو أنه رضي الله عنه ربما يشير باستشهاده بالنبوي المقدس بعد الآية الشريفة إلى أن الله تعالى أعطى نبيه وحبيبه صلى الله عليه وآله وسلم أعلى رتب الهداية إلى سبله (جلّ وعلا) وهي الرتبة التي لم يشارك النبيَ صلى الله عليه وآله وسلم فيها مخلوق كما هو الحق والمسلم عند قاطبة الشيعة وعند جل المسلمين.

والهداية متفاوتة الرتب بسبب تفاوت استعداد القابليات بانقياد النفوس ضعفاً وقوة إلى القوة الملكوتية، فبقدر الانقياد من النفس إلى العقل يحصل الصفاء فيها والنورية. ولما كان هذا القول وأمثاله حاكياً للواقع كما يشهد به الوجدان عند الروحانيين ممن صفا قلبه وفنى في خدمة ربه (جلّت قدرته) لا جَرَم كانت الشواهد بأقواله أقوى للحجة. فمن ساداتهم وهو أفضلهم: أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإليك بعضاً من خطبته في (نهج البلاغة) في صفات العبد المحبوب إلى ربه، وقد استشهد بها في (جامع السعادات) :

قال عليه السلام : «**إن من أحب عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه... إلى أن قال: قد خلع سرابيل الشهوات، وتخلّى من الهموم إلا همّاً واحداً انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره، وقطع غماره، استمسك**

من العرى بأوثقها، ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس»[١].

وفي كلام آخر له عليه السلام : «قد أحيا عقله وأمات نفسه، حتى دق جليله ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق فأبان له الطريق وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربه»[٢].

وقال عليه السلام في وصف الراسخين من العلماء: «هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى»[٣]،[٤]. انتهى .

أقول: هذا الكلام الجليل الذي هو تحت كلام الخالق وفوق كلام المخلوق كما اعترف به غير واحدٍ من كبراء علماء المسلمين وغيرهم فقالوا: إن (نهج البلاغة) في أعلى درجاتها. وهذا مما لا يشك فيه بليغٌ منصف، وقد صرّح بعض علماء المسيحيين بالعجز عن مثله وأنه بعد القرآن.

---

١) نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

٢) ن، م، الخطبة ٢٢٠.

٣) ن، م، قصار الكلمات، رقم ١٤٧.

٤) جامع السعادات: ج ١ ص ٣٩.

والجمل الثلاث التي ذكرها شيخنا النراقي متفرقة من خطب (النهج)، أما الأولى المنتهية إلى قوله: «**فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس**»، فقد أخذ منها ما له شاهد على مراده وهي طويلة، ولنا فيها كلمات تحقق مرادنا، فدونكها حرفياً:

"يقول عليه السلام في صفة من أحبه الله: «**قد أخلص لله فاستخلصه فهو من معادن دينه وأوتاد أرضه**»". انتهى.

ومهمتنا من ذلك ما أشرنا إليه آنفاً من أن الإخلاص لله سر التقوى وقوامه، وقد استنتجناه من هذه الكلمات العلوية وأمثالها من النبويات، فتبصّر في أثر الإخلاص كيف ترقّى بصاحبه حتى كان ممن استخلصه الله فجعله من «**معادن دينه وأوتاد أرضه**» ويا لها رتبة من رتب العُلى تُوصل صاحبها إلى الجنان العالية ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾[1]، ويفيض على قلبه من الفيوضات الإلهية والعلوم الربانية ما ترقَى به نفسه إلى العوالم الروحانية، وأكبر من ذلك دلالة: كلام الله في كتابه المقدس، فإنه قطعي الصدور، فمنه قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[2]، فتبصّر في هذا الحصر ترى فيه بالنص انحصار عبادته في الإخلاص له سبحانه، وأن الدين قوامه الإخلاص. ومن ذلك قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ (٣)**﴾ أي من الشراك والأغراض

---

١) سورة التوبة، الآية ٧٢.

٢) سورة البينة، الآية ٥.

الدنيوية، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢)﴾ أي بتوحيده، أي وأمرت لأجل أن أكون أول المسلمين، أي أسبقهم في الدارين. ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤)﴾.

ومن أدلة شرف الإخلاص: مدح الله أنبياءه به، يقول تعالى في مدح يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾، ويقول في حق موسى عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾[1]، ويقول بعد ذكر جملة من الأنبياء: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾[2] أي جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة لا شوب فيها هي ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [أي] تذكّرهم للدار الحقيقية وهي الآخرة والعمل لها.

فتدبره، فبه تعلم أن ليس بين الله وبين أحد قرابة إلا بالعمل الصالح، ﴿وَأَنْ لَيْسَ للإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾[3]. فالأنبياء والأوصياء مع كمال ذواتهم إلاّ أنّ طرقهم إلى الله الموصلة إليه [هي] منه (جلّ وعلا)، فهو المُفيض بأسباب الأعمال التي فرضها وسنّها، وأعظمها الإخلاص له تعالى، فإنه شرطها.

قال الشيخ النراقي في تعريف المخلص ما نصه:

---

١) سورة مريم، الآية ٥١.

٢) سورة ص، الآيتان ٤٥ ـ ٤٦.

٣) سورة النجم، الآية ٣٩.

والمخلص من يكون عمله المحض التقرب إلى الله سبحانه من دون قصد شيء آخر أصلاً، ثم أعلى مراتب الإخلاص ـ وهو الإخلاص المطلق وإخلاص الصديقين ـ إرادة محض وجه الله سبحانه من العمل دون توقّع غرضٍ في الدارين، ولا يتحقق إلا لمحبٍ لله تعالى... مستغرقُ الهم بعظمته وجلاله بحيث لم يكن ملتفتاً إلى الدنيا مطلقاً، وأدناها ـ وهو الإخلاص الإضافي ـ قصد الثواب والإستخلاص من العذاب، وقد أشار سيد الرسل ﷺ إلى حقيقة الإخلاص بقوله: «**هو أن تقول: ربي الله، ثم تستقيم كما أمرت، تعمل لله، لا تُحب أن تُحمدَ عليه**»[١]، أي لا تعبد هواك ونفسك، ولا تعبد إلا ربك، وتستقيم في عبادتك كما أمرت[٢]، انتهى.

وقد ذكر رحمه الله في أول الفصل تعريف الإخلاص وأنه ضد الرياء، وذكر للإخلاص المشوب أمثلة: كالغسل للتقرب إلى الله، والنظافة، والصوم له تعالى مع ضمية الحمية للصحة، فهذا ليس بإخلاص مفيد؛ لكونه غير خالص...[٣]. وتمثيله بالصوم ينبيء عن تعلق الإخلاص بالترك، فيصيب الله العبد لتركه المعصية خالصاً لربه تعالى وهو الحق كما عليه أهله، **وقد سألت المرجع الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي عمن ترك المعصية رياء...**

---

١) المحجّة البيضاء: ج ٨ ص ١٣٣.

٢) جامع السعادات: ج ٢ ص ٣١١.

٣) ن، م، ج ٢ ص ٣١٤ ـ ٣١٥.

فأفاد (دام ظله) : "إن المرائي معاقب على الرياء ولا يثاب على ترك المعصية إلا بالإخلاص لربه". هذا خلاصة ما استفدته منه.

ومما يدل على تعلق الإخلاص بالتروك ـ كتعلقه بالأفعال ـ : اعتبار الإخلاص فيه نية الصوم ـ كما صرح به غير واحد من علمائنا ـ فإنه من العبادات، ولا بد فيه من شرط القربة لله (عز وجل).

وما الصوم إلاّ كف النفس عن المفطرات أو الإمساك عنها، أو توطين النفس على تركها، على اختلاف عبائر العلماء (قدس الله أسرارهم) كما ذكره الشيخ العظيم الجليل الشيخ يوسف في (الحدائق)[1]. وذكر ذلك مرجعنا الأكبر وفقيدنا الأعظم في الشهر الثالث في سنة ١٣٩٠هـ وهو الأجل السيد محسن الحكيم قُدِّسَ سِرُّهُ [2].

وكيف كان، فالإخلاص الحقيقي عزيز الحصول عند غير المعصومين عليهم السلام ، وإنّ من تلبّس به لمن أعظم المقربين عند رب العالمين. وكفاك في فضله وعظمته ما أشرنا إليه آنفاً من مدح الله (عزّ وجل) في كتابه الكريم.

وقد عقد الشيخ النراقي فصلاً مخصوصاً في مدحه، وذكر أنه من مقامات الموقنين، وأنه كالكبريت الأحمر، وذكر في فضله آيات وأخباراً، فلنشرّف كتابنا بما فيه بغيتنا. فمن ذلك: الحديث القدسي: «**الإخلاص سر من أسراري، استودعته قلب من أحببت من عبادي**».

---

١) الحدائق الناضرة: ج ١٣ ص ٢٩ في النية.

٢) مستمسك العروة الوثقى: ج ٨ ص ١٩٢.

ومن ذلك: النبوي الشريف وهو قوله ﷺ : **«ما من عبد يخلص العمل لله تعالى أربعين يوماً إلاّ ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»**[١]، انتهى.

وهذا المضمون قد ذكره الشيخ جعفر النقدي في كتاب (زينب الكبرى عليها السلام) بلفظة : **«من أخلص... الخ»**[٢].

وكذلك ذكره الحجة العلي أبو الحسن الخنيزي القطيفي في (روضة المسائل) بلفظة: **«من أخلص...»** وذكر قبله نبوياً آخراً، فلنتشرف به فإنه قدس سره ذكر الحديث النبوي في صفة فضائل العلم، وأنها كثيرة: **«فرأسه التواضع...»** وأخذ النبي ﷺ في عد الفضائل إلى أن قال: **«ودليله الهدى ورفيقه الأخيار...»** وبعده قال الشيخ: وعنه ﷺ : **«ما أخلص عبد الإيمان بالله أربعين يوماً ـ أو قال ما أجمل عبد ذِكرَ الله أربعين يوماً ـ إلاّ زهّده الله في الدنيا وبصّره داءها ودواءها، وأثبت الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه»**[٣]. انتهى.

ثم ذكر الخبر المشار إليه: «من أخلص...» . ومؤدى الجميع واحد، ولعل الترديد بقوله: (أو قال) منشأه سهو الراوي أو المحرر. والمقصود من (الجميع) معنى واحد وهو: اقتضاء الإخلاص لله إفاضة العلم والحكمة على

---

١) جامع السعادات: ج ٢ ص ٣١٣.

٢) زينب الكبرى: ص ٣٤.

٣) روضة المسائل: ص ٢٦.

قلب المخلص من المفيض الوهاب ما لم يمنع المانع، وهو في حق غير المعصومين عليهم السلام مشروط بعدم الخلل الرافع لتأثير المقتضى، ولكنه في المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين) متحقق التأثير؛ لانتفاء الموانع.

فالسببية في الإخلاص قد بلغت العلّية في حقهم عليهم السلام؛ لأن الله طهرهم مذ كوّنهم، واصطفاهم من بدء خلقهم، خصوصاً سيدهم الأكبر حبيبه وصفيه صلى الله عليه وآله وسلم ، فهم عليهم السلام معلّموا الملائكة التسبيح والتقديس لله تعالى ـ كما ذكرناه عنه صلى الله عليه وآله وسلم آنفاً[1] ـ وذكرنا علّية الأخلاص لإفاضة العلوم في حقه صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام من باب التنزّل والإغماض عن الأمر الثاني، فقد أثبتنا فيه أفضليته صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام على جميع من خلق الله، وسبقهم عليهم في التكوين وعليتهم لجميع المكونات. وكل ذلك مستلزم لاتصالهم بالفيوضات الإلهية والعلوم الربانية التي خصها بهم ربهم تعالى باصطفائه لحبيبه وآله عليهم السلام ، مع أنه صلى الله عليه وآله وسلم مع آله عليهم السلام لم تنقطع عنهم الفيوضات المتسببة عن عبادتهم الخالصة وانقطاعهم إليه (جلّ وعلا) ، فهم لم يزالو منغمرين بفيضه، مستمدين لفضله تعالى؛ لاستعداد أنفسهم الزكية، وفنائهم في ذاته (تقدست أسماؤه) بأفعالهم العليَّة ـ النفسية والبدنية ـ في كل حركاتهم وسكناتهم، وأعظمها: إنقاذهم الخلق من حبائل الشيطان، وإرشادهم إلى طاعة الرحمن، فنبي الهدى سيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم هو المنقذ الأكبر، فقد حرر من أطاعه بالتمسك بكتاب ربه وعترته الهادية عليهم السلام عن

---

١) انظر: صفحة ١٣ ـ ١٤.

عبودية الشهوات، ولم ينتقل من الدنيا إلى الرفيق الأعلى حتى أكمل الله به دينه بقوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾، ولم يهمل ﷺ أمّته سدىً، بل نصَب لهم من يقوم مقامه في كل دقيق وجليل، وكل خطير وعظيم من الأمور الدينية والدنيوية، ألا وهو نفسه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ثم ولده المعصومين الأحد عشر واحداً بعد واحد (صلوات الله وسلامه عليهم، وعجل فرج قائمهم، روحي فداه) .

فهم عليهم السلام ورثته ﷺ، وما علّمه الله من علم إلا وعلّمه علياً وولده الأحد عشر المعصومين عليهم السلام . فعندهم كل ما تحتاج إليه الخلق «**حتى أرش الخدش والجَلدة ونصف الجَلدة**»[1]، حسب نصوصه ﷺ بذلك.

ولم تزل الفيوضات الإلهية تمدهم، والإشراقات الربانية تشع عليهم، وذلك لما منحهم الله من كمال أنفسهم الزكية، وتفانيهم في خدمة الحضرة الأزلية، فعلمُهم عليهم السلام إشراقي إلهي نبوي إلهامي بغير تعليم على طريق الكسب والتكسب، بل منحة ربانية بفضل الحضرة المحمدية، ولا أظن يُنكر مَن نظر بعين بصيرته ذلك فيما حررناه من الآثار المعصومة، وما حررنا إلا نقطة من تلك الأبحر المحمدية وشعاع من أضواء تلك الشموس القدسية.

وكون علومهم إشراقية من الإلهامات الإلهية والطرق النبوية ما اختصصنا به معشر الشيعة فقط، بل اعترف به غيرنا، ومنهم: عبد العزيز سيد

---

١) الإرشاد: ج ٢ ص ١٨٦، بحار الأنوار: ج ١٦ ص ١٨.

الأهل المصري في كتابه (جعفر الصادق)[١]، وقد قرب ذلك في حق الصادق وغيره من العترة الهادية بأقوى تقريب، وبيّنه بأجلى بيان، مستدلاً عليه بتقرير علماء النفس في إمكان ذلك، وقرب وقوعه للمعصومين بمقتضى الأخبار النبوية في مصافحة الملائكة لأهل العلم العاملين. وقد روى تبشير الصادق عليه السلام المنصور بالخلافة قبل حصولها بمدة[٢].

وكيف كان لا يَستبعد الإمدادات الإلهية بإفاضة العلوم على العترة الهادية المهدية إلاّ مَن عَميت بصيرته بسوء سريرته وانطوائه على المعصية.

وهذا آخر الأمر الثالث من التمهيد... فليتبصر فيه المتبصر ولينظر إلى (ما قال) لا إلى (مَن قال).

وقد صح القول بأمتن دليل على اتصال علومهم بعلوم السيد الأعلى صلى الله عليه وآله وسلم، فإن منبع العلم واحد منه صلى الله عليه وآله وسلم ، (فأولهم محمد وآخرهم محمد وأوسطهم محمد وكلهم محمد) ، ومعنى هذا وارد عنهم عليهم السلام[٣]، فهم أضواء شمس النبوة، فحديثهم واحد على حد تعبير الإمام الصادق عليه السلام بما مضمونه:

---

١) ستأتي ترجمته في هامش ١ من صفحة ١٦٤ في النظرة الثامن.

٢) ستأتي الرواية في هامش ٢ من صفحة ١٦٤ في النظرة الثامنة.

٣) روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال لسلمان وأبي ذر رضي الله عنهما في حديث طويل: «**كلنا واحد، أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد، فلا تفرّقوا بيننا**». بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٦ ـ ٧ (باب نادر في معرفتهم بالنورانية) ح ١.

«حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي...»[١]، فكل حديث منهم متصل بالحديث الإلهي، فهم لايزالون يستمدون ربهم وهو تعالى يمدهم[٢]، انتهى.

استدراك لما تقدم، وفيه:

وهمٌ ودفعٌ:

فقد يَتوهم بعض المتنبهين فيشكل علينا فيما ذكرناه من الملازمة في أوليته صلى الله عليه وآله وسلم في الصدور وعلّيته صلى الله عليه وآله وسلم للأكوان وأفضليته صلى الله عليه وآله وسلم عليها، وبين علمه صلى الله عليه وآله وسلم بكل ما في اللوح المحفوظ، فيدفع الملازمة بأنا لا نسلم إلا إذا كان اللوح والقلم من ذوات الشعور، بحيث يتحقق له الاستعداد للعلم فيتصف اللوح والقلم بذلك، فإذا كان كذلك ولم يعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكل ما جرى به القلم وفي اللوح ـ ولو إجمالاً، كما سبق ـ تنافى ذلك مع أفضليته وعلّيته صلى الله عليه وآله وسلم لكل الأكوان التي منها القلم واللوح، أما إذا كان اللوح من

---

١) عن هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيره قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحديث رسول الله قول الله (عزّ وجل) ». الكافي: ج ١ ص ٥٣ ح ١٤.

٢) وقد وقع الفراغ من تصحيحه في يوم الاربعاء المصادف الثامن عشر من شعبان المعظم بدارنا في النجف الأشرف سنة ١٣٩٥هـ. (منه رحمه الله).

الجمادات ـ كما قيل إنه من درة بيضاء، كما نقله أمين الإسلام في (المجمع) عن أبن عباس[١] ـ أو هو من زبرجدة خضراء ـ كما قيل[٢] ـ فلا تتم الملازمة القطعية؛ لأن الجماد لا يتصف بالعلم، فيجوز على ذلك أنّ في اللوح علماً لم يشأ الحكيم (جلّ وعلا) أن يعلّمه حبيبه ﷺ، لحكمة لا تُعلم، ولا يستلزم خللاً في أفضليته ﷺ ، فإن الوعاء الجامد لا أفضلية له بما فيه من العلم، حيث إنه لا يعلم.

والجواب:

١ـ كفاية أعلميته ﷺ على كل ذي علم بالملازمة القطعية بينها وبين ما ذكر من الأولوية والأفضلية والعلية والأعلمية.

٢ ـ أن اللوح من درةٍ أو غيرها أو كونه جسماً مطلقاً، غير معلوم كما أشار إليه المفيد (عليه الرحمة) بقوله: اللوح كتاب الله... إلى أن قال ـ فاللوح هو الذكر والقلم هو الشيء الذي أحدث الله به الكتابة[٣].

وقد ذكر هذا رحمه الله في رده على الصدوق (عليه الرحمة) باعتقاده أن اللوح والقلم مَلَكان[٤].

---

١) مجمع البيان: ج ٩ ص ٣٣٨ تفسير سورة الرحمن، الآية ٢٩ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

٢) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٢٩٦ تفسير سورة المطففين، الآية ١٨ ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾.

٣) تصحيح اعتقاد الإمامية: ٧٤.

٤) الاعتقادات في دين الإمامية: ٤٤.

فعلى هذا الترديد ـ غير الثابت شيء منه على سبيل القطع ـ لا تنتفي الملازمة القطعية إلا على نحو التجويز، فإن لم يقطع بها من يجوِّز هذه الأمور، فنقول له: ألا تستبعد ـ بحسب عقلك وإنصافك ـ سَتر ما في اللوح على النبي ﷺ بعد تسليمك بأفضلية النبي ﷺ وأوّليته وعليته وكونه ﷺ أحب المخلوقين إلى ربه (جلّ وعلا) ؟ ألا ينتج من هذا أن لا ممكن أقرب إلى ربه منه ﷺ ؟ فكيف مع هذا يُخفي عليه علوماً في اللوح كتبها مُوجِدُها فبرزت إلى حيز الوجود؟

ثم أليس العلم حادث مخلوق؟ فهو شيء خلقه ربه، فعليه يعمّه قوله تعالى مخاطباً لحبيبه ﷺ: «**خلقت الأشياء لأجلك، وخلقتك لأجلي**»[1]، إذن فالعلم مخلوق لأجله لأنه شيء من الأشياء.

فاندفع الإشكال من أساسه إلا عند المنكر المكابر... والحمد لله.

بقيت شبهة

ولعلها تقابل البديهة، ومع ذلك يلزم تحريرها، والاستمداد من الله للجواب عنها، ونسأله أن يهدينا صراطه المستقيم، وهي:

أن ظاهر قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا**

---

١) مشارق أنوار اليقين (البرسي): ٢٨٢، علم اليقين (الكشاني): ج ١ ص ٣٨١.

وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]، يقضي بأنه ﷺ لا يعلم بشيء قبل الوحي!!

والجواب:

أن ظاهرها كونه ﷺ ليس بمؤمن قبل الوحي البتةَ!! وهذا لا يلتزم به أحد من العدلية من الشيعة والمعتزلة، كيف؟ وهم جميعاً يلتزمون بعصمة الأنبياء من بدو خلقهم عليهم السلام إلى آخر عمرهم؟ فكيف بسيدهم ﷺ ؟ وأي ذنب أكبر من عدم الإيمان؟ فأي عصمة عن الذنوب لمن ليس بمؤمن؟

ثم إن إجماعنا ـ معشر الشيعه ـ منعقد على طهارة أباء النبي ﷺ وتنزيههم عن الكفر، فكيف به ﷺ؟

وإجماعنا أيضاً منعقد على أنه مؤمن بالله (عزّ وجل) متعبّد له تعالى قبل بعثته وإن لم نعلم تفصيلاً بكيفيَّة عبادته، لكن المتيقن أن ما يستقل به الدليل العقلي من تحقق المعارف الخمس ـ وهي التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد ـ قاطع بها ﷺ على يقين من ربه (تبارك وتعالى)[2].

وقد تعرض لهذا الاشكال الزمخشري في (كشافه) في تفسير الآية فأجاب عنه، ومحل شاهدنا من كلامه ما نصه:

فإن قلت... والأنبياء لا يجوز عليهم إذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده، ويجب أن يكونوا معصومين

---

١) سورة الشورى، الآية ٥٢.

٢) الاعتقادات في دين الإمامية: ٤٤.

من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير، قبل المبعث وبعده، فكيف لا يعصمون من الكفر؟

قلت: الإيمان اسم يتناول أشياء بعضها الطريق إليه العقل وبعضها الطريق إليه السمع، فعنى به ما [كان] الطريق إليه السمع دون العقل، وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي(١)، انتهى.

وإرادتنا من هذا إثبات ما ادعينا من رفع اليد عن ظاهر الآية، فلابد من التأويل الموافق للحق.

وغير خفي أن كلمة الزمخشري في كونه ﷺ ليس عنده إلا ما يستقل به العقل، لا تدفع الإشكال عن قضية العصمة؛ لأن العقل لا علم له بما حرّمه الله، وما أوجبه إلا بتعليم منه (جلّ وعلا) ، ولا يتأتى إلا بإلهام في القلب يورث صاحبه اليقين أو الظن القوي البالغ حد الاطمئنان، أو وحي إليه بأحد طرقه، فلازم العصمة علم صاحبها بذلك أو اطمئنانه، فنتيجة ذلك أن نبينا ﷺ وغيره من الأنبياء لابد وأن يكونوا عالمين بما يُسخط الله وما يرضيه؛ لتتمة العصمة المفاضة عليهم بلطفه. فنبينا ﷺ لم يزل في إشراقات ربه وفيوضاته منذ تكوينه ﷺ ، وكونه ﷺ لا يدري بالكتاب ولا الإيمان لابدَّ وأن يكون بنحو التفصيل، فعلمه ﷺ ثابت ولو بنحو الإجمال.

---

١) الكشاف: ج ٣ ص ٤٧٦ في تفسير سورة الشورى، الآية ٥٢.

وقد أشار لعلمه ﷺ إجمالاً الميرزا الحائري رحمه الله في (مقتنى الدرر) في تفسير الآية، وله أجوبه أربعة عن الإشكال أحسنها ثالثها: من أنه ﷺ منفية عنه الدراية حين طفولته وهو في المهد...[١].

وهذا وإن كان حسناً في الجملة لكن لا يكفي؛ لما ثبت من أفضليته ﷺ على جميع المخلوقين حتى الأنبياء، وقد أوتي يحيى ﴿الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾، وكذلك عيسى صرّح عليه السلام بلسان الكتاب المجيد بقوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾ وهو ابن ساعته. إذن فأين أفضليته ﷺ عليهم؟

وقد تعرض أيضا لهذا الإشكال السيد محمد حسين الطباطبائي (أدام الله ظله) في (الميزان) في تفسيره للآية، وقد نفى العلم التفصيلي وأثبت العلم الإجمالي، فإليك كلمة تدرسها بتحليل، قال ما نصه:

"فالمعنى: ما كان عندك قبل وحي الروح الكتاب بما فيه من المعارف والشرائع، ولا كنت متلبساً بما أنت متلبس به بعد الوحي من الالتزام الاعتقادي والعملي بمضامينه. وهذا لا ينافي كونه ﷺ مؤمناً بالله موحداً قبل البعثة، صالحاً في عمله، فإن الذي تنفيه الآية هو العلم بتفاصيل ما في الكتاب والالتزام بها اعتقاداً وعملاً، ونفي العلم والالتزام التفصيليين لا يلازم نفي العلم والالتزام الإجماليين بالايمان بالله والخضوع للحق.

وبذلك يندفع ما استدل بعضهم بالآية على أنه ﷺ كان غير متلبس بالإيمان قبل بعثته. ويندفع أيضاً ما عن بعضهم أنه ﷺ لم يزل كاملاً في

---

١) تفسير مقتنيات الدرر: ج ١٠ ص ٥١.

نفسه علماً وعملاً. وهو ينافي ظاهر الآية أنه ما كان يدري ﴿مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ﴾[١] "، انتهى.

أقول:

هذا حسنٌ جميلٌ غير أن السؤال يرد على ما أشار إليه (دام ظله) من أنه ﷺ منتفٍ عنه الكمال.

وما أدري ماذا يريد بانتفاء الكمال! هل هو افتقار الممكن للواجب في كل نَفس وآن؟ فهو مسلّم عند كل مؤمن بالله عارف به (جلّ وعلا) كما أشرنا إليه آنفاً مكرراً، المصرح به في الكتاب العزيز بقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٢]، فهو ﷺ لم يزل مفتقراً مستمداً من ربه كما كررناه مراراً...

وإن أراد به نقصان الذات المحمدية قبل البعثة عن درجة الكمال، فهو منافٍ لما نعتقده ـ معشر الشيعة، وهو (دام ظله) من أجلّهم ـ من أن المعصومين كاملون منذ صغرهم، وهو ثابت إمكاناً لهم عليهم السلام جميعاً، ووقوعاً للإمام الجواد عليه السلام والإمام الهادي عليه السلام والحجة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كما سيأتي ببيانه. وقد صرح به الكتاب المجيد في حق يحيى عليه السلام وعيسى عليه السلام ، أفَتَقصر درجته ﷺ عمن ذكر من الأنبياء وأولاده (سلام الله عليهم أجمعين) ؟ وهو ﷺ أصل كل خير لهم ولغيرهم... فلابد أن توجّه الآية بتأويل لا ينافي كماله ﷺ .

---

١) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٨ ص ٧٧.

٢) سورة طه، الآية ١١٤.

وإليك كلمة الفصل والحق من ولده الإمام السادس جعفر الصادق بن محمد عليه السلام: قال أبو حمزة: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلم، أهو علم يتعلمه العالم من أفواه الرجال، أم في الكتاب عندكم تقرؤنه فتعلمون منه؟ قال: «**الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول الله (عز وجل)**: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ﴾» ، ثم قال: «**أي شيء يقول أصحابكم في هذه الآية، أيقرّون أنه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟**». فقلت: لا أدري ـ جعلت فداك ـ ما يقولون. فقال لي: «**بلى، قد كان في حال لا يدري ﴿مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ﴾ حتى بعث الله تعالى الروح التي ذكر في الكتاب، فلما أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهي الروح التي يعطيها الله تعالى من شاء، فإذا أعطاها عبداً علمه الفهم**»، انتهى من (البرهان)[1]، فتفطن فيه أيها الألمعي ببصيرتك الصحيحة يرشدك إلى ما ادعيناه من الكمال له صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام .

وفي (البرهان) أيضاً أخبار منها ما عن الصادق عليه السلام برواية أبي بصير ما مضمونه: تؤيد الروح القدسي الذي هو أعظم من جبرئيل وميكائيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام. وهذا المضمون مروي عن أبي بصير في كتاب (الصافي)[2] و(المجمع)[3] و(الميزان)[4].

---

١) البرهان في تفسير القرآن: ج ٤ ص ٨٣٦ ح ٩٥٥٢، وانظر: الكافي: ج ١ ص ٣٧٣ ح ٥.

٢) تفسير الصافي: ج ٤ ص ٣٨١.

٣) مجمع البيان: ج ٩ ص ٦١.

٤) الميزان: ج ١٨ ص ٨٠.

ومما في (الميزان): ما رواه عن الأمير عليه السلام في (النهج): «**ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله وسلم من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره**»(١).

وهذا البيان من السيد يفيدنا أنّ مراده (دام ظله) من نفي الكمال عنه صلى الله عليه وآله وسلم هو كونه مفتقراً إلى الواجب (جلّ وعلا) . وهذا عين ما قررناه . ثم إنّا إذا تدبرنا آخر الخبر الصادقي المروي عن أبي حمزة وهو قوله عليه السلام: «**وهي الروح التي يعطيها الله تعالى من يشاء، فإذا أعطاها عبداً علّمه الفهم**» أمكن توجيه ذلك إلى الروح الخامسة التي ذكرها الإمام الباقر عليه السلام في عدد الأرواح التي في الإنسان، و [فيها] عَدّ أرواح المقربين(٢).

---

١) الميزان: ج ١٨ ص ٨٠، وانظر: نهج البلاغة: الخطبة (القاصعة) رقم ١٩٢.

٢) عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الروح؟ فقال: «**يا جابر، إن الله خلق الخلق على ثلاث طبقات، وأنزلهم ثلاث منازل، وبين ذلك في كتابه حيث قال: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فأما ما ذكر من السابقين فهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين جعل الله فيهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن...**». بصائر الدرجات: ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨ ح ٥.

وعنه قال: سألته عن علم العالم؟ فقال لي: «**يا جابر، إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح الحياة، وروح القوة، وروح الشهوة، فبروح القدس ـ يا جابر ـ عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى...**». انظر: الكافي: ج ١ ص ٢٧٢ ح ٢، بصائر الدرجات: ص ٤٦٧ ح ٤، بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٥٥.

ومضمونه مروي عن الصادق عليه السلام[١]، ولعل الأمير عليه السلام إليه أشار في خبر كميل رضي الله عنه المروي في (النظرة النفسية) عن (مجمع البحرين) وهو قوله عليه السلام: **«والناطقة القدسية والكلمة الإلهية»**[٢].

فبهذا البيان ينتج أن الروح المذكورة ملازمة للنبي وآله المعصومين عليهم السلام منذ خروجهم إلى عالم الوجود.

ومن أحسن ما استنبطتُه مما حُرر وأمثاله: أن المراد بـ(نفي الدراية عنه صلى الله عليه وآله وسلم بالذات) أي لم يدر صلى الله عليه وآله وسلم بشيء بنفسه بل بالتعاليم الإلهية...

فما بعد هذا شبهة تبقى... فالفيض الإلهي لم يزل متصلاً بالقلب النبوي صلى الله عليه وآله وسلم فاستمد منه ـ بالميراث ـ القلب العلوي عليه السلام وتسلسل المدد في الأئمة المعصومين الأحد عشر عليهم السلام، آخرهم قائمهم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

---

١) عن الحسن بن جهم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح البدن، وروح القدس، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح الإيمان، وفى المؤمنين أربعة أرواح... وفى الكفار ثلاثة أرواح...»**. بصائر الدرجات: ص ٤٦٧ ح ٣، بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٥٤ ح ١٤.

٢) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ٨٥، وانظر: تفسير الصافي: ج ٣ ص ١١١.

النظرة الثانية

في أعلمية أهل البيت عليهم السلام
والدليل على ذلك من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في النهج
وفيها تحقيقات أنيقة في أن علمهم عليهم السلام لدنّي لا كسبي

ومنها: إشارة بعض إخواننا السنة لذلك واعتراف بعضهم بأرجحية مذهبنا الجعفري، وأنه متحد، إلا أن مذهبنا جعفري محمدي علوي حسني حسيني إلى آخرهم، فلا فرق بينهم عليهم السلام، وبذلك صرح الشيخ سليم البشري السني المُنصف حيث أشار إلى أرجحية مذهبهم في كتاب (المراجعات) للسيد الجليل شرف الدين، قال الشيخ سليم في مراجعة ١٩ ما نصه:

"لا تحكم محاكم العدل بضلال المعتصمين بحبل أهل البيت والناسجين على منوالهم، ولا قصور في أئمتهم عن سائر الأئمة في شيء من موجبات الأمانة، والعمل بمذاهبهم يجزي المكلفين ويبريء ذممهم كالعمل بأحد المذاهب الأربعة بلا ريب...

بل قد يقال: إن أئمتكم الاثني عشرة أولى بالاتّباع من الأئمة الأربعة وغيرهم؛ لأن الاثني عشرة كلهم على مذهب واحد، قد محّصوه وقرروه بإجماعهم، بخلاف الأربعة، فإن الاختلاف بينهم شائع في أبواب الفقه

كلها، فلا تُحاط موارده ولا تُضبط، ومن المعلوم أن ما يمحّصه الشخص الواحد لا يكافئ في الضبط ما يمحّصه اثنا عشر إماماً، هذا كله مما لم تبق فيه وقفة لمنصف... الخ"[١].

وغرضنا منه ما فيه من الشهادة باتحاد المذهب وأنه قد أجاد وأنصف بشهادته، لكنه غلط في استدلاله، وأنه وإن كان مطابقاً بدعوى لكنه لا يتّجه في حق أئمتنا عليهم السلام، إذ علمهم عليهم السلام ليس بكسبي حتى تحتاج إلى تكسّب وتمحيص، وإنما هو إلهي نبوي قد أودعه صلى الله عليه وآله وسلم قلوبهم خلفاً عن سلف، فقد تلقّوه بالإرث والإشراق مع المدد اللإلهي بالإلهامات القدسية، ألم يعلم الشيخ سليم بمقالة غيره من أهل السنة بأن علومهم عليهم السلام لدنّية؟

ثم إن خفي عليه هذا فلا يخفى عليه بأن علي المرتضى عليه السلام مستودع علوم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الذي من المُسلّم عند المسلمين أنه باب علمه صلى الله عليه وآله وسلم كما أشير إليه[٢]. وإنا نكتفي في محاجّاتنا للشيخ سليم وغيره ممن يدّعي أن علم علي ووُلده المعصومين عليهم السلام كسبي بما جاء عنه عليه السلام، إذ كونه عليه السلام «مع الحق والحق معه» من المسلّمات بنص النبوي الذي لا ينكره مسلم[٣]،

---

١) المراجعات: ص ١٨٦.

٢) «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**» نقله العلامة الأميني في الغدير: ج ٦ ص ٧٨ ـ ٧٩ حيث ذكر قائمة تضم واحداً وعشرين محدّثاً من محدثي العامّة بين محسّن للحديث ومصحح له.

٣) وقد رواه أكثر من عشرين صحابياً، وأكثر من مائة حافظ ومحدّث وعالم من علمائهم. ذكر هذا السيد علي الميلاني في رسالته (مسألة فدك وحديث إنّا معاشر الأنبياء لا نورث) ضمن سلسلة (إعرف الحق تعرف أهله)، الناشر مركز الحقائق الإسلامية، ط الأولى، ١٤٢٩، قم المقدسة.

فعليه نُذكر الشيخ سليم وأمثاله بما مر عليه في المراجعة السادسة من المراجعات المذكورة مما نقله السيد الجليل المذكور من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في (النهج) ، فليتدبر قوله عليه السلام في وصف العترة الهادية: «**هم عيش العلم وموت الجهل ـ إلى أن قال ـ لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه**»(١).

ومنه قوله عليه السلام : «**بهم عاد الحق في نصابه وانزاح الباطل عن مقامه**».

وقال عليه السلام : «**عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية**».

وقال عليه السلام : «**نحن الشعار والأصحاب والخَزَنة والأبواب، ولا تُؤتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً**».

وقال عليه السلام في وصف العترة الطاهرة: «**فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمان**».

ومن ذلك قوله عليه السلام : «**أين الدين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرمهم**».

ومن ذلك قوله عليه السلام : «**فلا يُقاس بآل محمد من هذه الأئمة أحد ولا يساوى بهم من جرت نعمتهم عليه، هم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي... الخ**».

وأقول: أيها المسلم المنصف أنصفنا من نفسك وتبصّر في هذه الكلمات النيّرات فهل تجدها قاضية بالإشراقات الإلهية الخاصة بالعترة النبوية، أم تراها تقضي بتعليمات كسبية؟

---

١) المراجعات: ص ٦٦ ـ ٦٧، وانظر: نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٩.

فتدبر قوله عليه السلام : «**لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه**» وما بمعناه، فهل هذا ونحوه ينطبق على من يستفيد العلم بالتكسب؟ أليس ذلك جائز منه الخطأ في الفكر والرواية؟ ومن كان كذلك أيتحقق منه ألاّ يختلف في الحق؟

وهذه الكلمة مأخوذة من كلمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وصف العترة والكتاب «**ما إن تمسكتم بهما لن تظلوا**»، وقد أشرنا[١] إلى أن نفي الضلال في التمسك يقضي بعصمة العترة، ومن كان كذلك لابد أن يكون علمه بالفيض الإلهي بالتعليم النبوي، فعلمه بالأحكام والمكونات من الحوادث وغيرها ما هو إلا كشف الواقع، فليس عنده إلا ما هو في اللوح المحفوظ من الأمور الواقعية.

ومن البديهي أن هذا لا يتأتّي لمكتسب العلم بالاجتهاد والرواية. فجواز الخطأ في الأفكار والغلط في الأخبار ضروري على من لم يكن علمه بالإلهامات الربانية والمواريث المحمدية.

نعم، إن المجتهد معذور في خطأه إن لم يقصّر في الفحص، فمؤدى نظره حكمٌ شرعي ظاهري في حقه وحق مقلديه، وأحكام الله الواقعية مستودعة في كنوزه وهم الأئمة المعصومون الاثنى عشر عليهم السلام ، ولم يكونوا كنوز الرحمن حتى عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية، فتبصر أيها المنصف فيه كي يشرق على بصيرتك ما تقطع به بأن علمهم

---

١) في الجزء الثاني: ص ١٩٣ ـ ١٩٤ في النظرة الثانية عشرة.

عليه السلام لدني لا كسبي. وإن شئت فلينور بصيرتك بكلمته عليه السلام : **«سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض... الخ»**[١].

فأين هذا من الكسبي؟

وهذا من شعاع نور ما رواه عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في (النهج) قال: **«ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرنة؟ فقال: هذه رنة الشيطان قد آيس من عبادته، إنك تسمع كما أسمع وترى كما أرى إلا أنك لست بنبي، وإنك لوزير وإنك لعلى خير»**[٢]، انتهى.

وهذا مطابق لما رواه ابن المغازلي والموفق [الخوارزمي] أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في آخر الخبر: **«فما علمتُ شيئاً إلا علّمته علياً، فهو باب علمي»**. كما في (الينابيع) الباب الرابع عشر[٣].

وفيه عن الموفق والحمويني عن أبي سعيد الخدري قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«سلوني قبل أن تفقدوني فإنما بين الجوانح منّي علماً جماً، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما رزقني رسول الله زقاً زقاً... الخ»**[٤]. فمن تدبر هذا ونحوه كيف يسوغ له أن يقول : إن علمه عليه السلام كسبي...؟ الم يعلم هذا القائل بما رواه الأصبغ قال : سمعت علياً عليه السلام يقول:

---

١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٨٩.

٢) ن، م، الخطبة القاصعة، رقم ١٩٢.

٣) ينابيع المودة: ج ١ ص ٢١٧.

٤) ن، م، ص ٢٢٤.

إن رسول الله ﷺ علمني ألف باب، وكل باب يفتح منه ألف باب، فذلك ألف ألف باب، حتى علمت ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وعلمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب»[١]. انتهى، كذا في (الينابيع).

فيا أيها المسلم، هل يجوز أن يكون هذا المعنى من التعاليم الكسبية؟ وأي تعليم كسبي يحصل به علم ما كان وما يكون؟

ومضمون صدر الخبر من مشهورات الأخبار، جاء في عدة طرقٍ من طرق المسلمين، وقد بيّنا ذلك في كتاب (النظرات الروحانية)[٢]، وذكرنا فيه شرحه من كلام السيد العلي[٣]. ومن طرقه: ما في كتاب (التهاب النيران)[٤] في ساعة احتضاره ﷺ.

ولا تخفى خصوصية قصر المدة في شدة الدلالة على العلم الإشراقي، إذ ليس من المعقول أن يتحقق تعليم ألف باب في ساعة أو ساعات مع غض النظر عن انفتاح ألف باب منها، فليس لأحد أن يجعل هذا التعليم عن طريق أدلة الاجتهاد والقياس كما توهم بعض الجاهلين من المسلمين كما أفاد الشيخ الجليل المفيد في (الفصول المختارة) ، ونعم ما رده بجوابه الحاسم، فدونكها حرفياً، قال رحمه الله:

---

١) ن، م، ص ٢٣١.

٢) مخطوط، فُقد في العراق كما فُقد غيره إبّان الحكم البعثي البائد.

٣) السيد علي خان المدني الشيرازي، شارح الصحيفة السجادية.

٤) (التهاب نيران الأحزان ومثير الاكتئاب والأشجان) للعلامة الشيخ حسين العصفور رحمه الله .

فيقال لهم: وهل أصول الشريعة كلها ألف أصل وفروعها ألف ألف وذلك نهايتها وهي محصورة بهذا العدد لا أقل ولا أكثر؟ فإن زعموا ذلك قالوا قولاً مرغوباً عنه، وقيل لهم: أرونا أصلاً واحداً له ألف فرع. وقد ظهرت حجتكم. وهذا ما تعجزون عنه. وإن قالوا: ليست الأصول ألفاً على التحرير، وليس فيها مائة ألف فرع، أبطلوا استدلالهم[١]. انتهى .

وهذا الجواب قاطع لشبهه، جارٍ على جميع الروايات، فلا يختص برواية ساعة احتضاره ﷺ ، وقد أفاد في شرحه وجوهاً ثلاثة أشار في ثانيها إلى ما قلناه من قضية الأسرار بقوله: ومثل هذا معنى قول النبي ﷺ : **«من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»**[١]. انتهى.

وهذا بعمومه للأمير عليه السلام ولغيره يؤيد مُدّعانا مع دفعه استبعاد المستبعدين ما أفاء الله على وليه وعلى وُلده المعصومين من الإلهامات الربانية بتوسط الإشراقات النبوية، فلا خير إلا بتوسطه ﷺ .

ومما يقرب ما قلناه: اتصاله عليه السلام من أيام صباه بالنبي حتى قبض ﷺ ورأسه في حجره عليه السلام . وهذا المعنى غير خفي على أحد من المسلمين، وقد صرّح به عليه السلام في غير موضع من (نهج البلاغة) ، ومنها: ما في آخر خطبته القاصعة، قال عليه السلام : **«ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به... الخ»**[٢].

---

١) الفصول المختارة: ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

٢) نهج البلاغة، الخطبة القاصعة رقم ١٩٢.

ومنها: الخبر المذكور آنفاً[١] المصرح بمساواته عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما سوى النبوة.

ولقد أيد ابن أبي الحديد بما رواه عن الصادقين عليهم السلام قال: **«كان علي يرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الرسالة الضوء، ويسمع الصوت، وقال له صلى الله عليه وآله وسلم: لولا أني خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوة، فإن لا تكن نبياً فإنك وصي نبي ووارثه، بل أنت سيد الأوصياء وإمام الاتقياء»**[٢]، انتهى.

فيا أيها المسلمون، هل كان علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطريق التكسب والتمحيص أم بطريق الإشراقات والإفاضات الإلهية؟ فما أرى مسلماً إلا ويقول بالثاني، وإلا فلا إسلام له. فعليه لابد وأن يُقر لعلي أمير المؤمنين بذلك.

ولقد احتج عليه السلام في جوابه للكلبي بما اختصه الله به من علم الغيب بقوله: **«وما سوى ذلك فعلم علّمه الله نبيه فعلّمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتنضمّ عليه جوانحي»**[٣]، انتهى.

فيا أيها المجادل في مدعانا، أليس هذا الخبر العلوي وأمثاله يصرّح بالإشراق النبوي على أمير المؤمنين علي عليه السلام ؟ فإن تبصّرت فيه بإنصاف اتّضحت لك المساواة بين علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلم الوصي عليه السلام، فعلم رسول

---

١) انظر: ص ٧٠ نقلاً عن (نهج البلاغة).

٢) شرح نهج البلاغة: ج ١٣ ص ٢١٠.

٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٨.

الله ﷺ بتعليم ربه (جلّ وعلا)، إفاضةٌ وإلهامٌ بدون طرق التكسب، وقد علّم ﷺ نفسه وابن عمه الإمام علياً عليه السلام ذلك كذلك.

وكفى من الأدلة على ما نقوله: قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[١] فهي مفسّرة في أمير المؤمنين علي عليه السلام كما اعترف به غير واحد من علماء المسلمين، ومنهم: كمال الدين ابن طلحة، فقد روى في (مطالب السؤول) في "الفصل السادس" من "الباب الأول" روايتين، فدونك لفظ الثانية:

عن الواحدي والثعلبي يرفعانه إلى بُريدة الأسلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي : «**إن الله تعالى أمرني أن أدْنيكَ ولا أقصيك، وأن أعلّمك وأن تعي، وحق على الله أن تعي**» قال: فنزلت «﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾»[٢]. انتهى.

وأورد هذا المضمون الشيخ سليمان في (الينابيع) الباب التاسع والثلاثين من تسعة طرق، منهم: الثعلبي وأبو نعيم والموفق، وغيرهم[٣].

ومن نظر في هذه الخاصة التي خص الله بها أميرنا (سلام الله عليه) اتضح له البرهان الجلي على كون علمه عليه السلام إلهامياً لا كسبياً وإلا فلا خصوصيه له من دون الصحابة، ففيهم الأتقياء والعلماء من المهاجرين والأنصار.

---

١) سورة الحاقة، الآية ١٤.

٢) مطالب السؤول: ص ١٢١.

٣) ينابيع المودة: ج ١ ص ٣٦٠.

النظرة الثالثة

في مساواة الوصي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في الفضل إلاّ النبوة ورفع المنافاة بين ذلك وبين سببيته صلى الله عليه وآله وسلم لفضل ابن عمه عليه السلام وأن فضله عليه السلام منوّه به في كثير من الآيات كما اعترف به غيرنا

لقد اعترف أجلاء علماء أهل السنة بميزة علي عليه السلام في كل خير على من سواه، وفيها تحقيقات أنيقة في الإفاضات الإلهيه عليه، وتنويه الله تعالى بخصوصياته عليه السلام في القرآن، وفي إجابته تعالى دعاء نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بمؤازرته عليه السلام ، فيمتاز بذلك على غيره من الأصحاب، فلم يخص الله أحداً منهم بمثل هذا، علماً منه تعالى بامتياز ذات سيدنا علي عليه السلام على غيره، فلذلك نوّه بمساواته في كتابه بحبيبه وصفيه سيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم في آية المباهلة، فهو عِدله صلى الله عليه وآله وسلم في كل فضل ما سوى النبوة، ولذا استثناها صلى الله عليه وآله وسلم فقط، فله الفضل بعده، ففضله عليه السلام في كل خير من فضله صلى الله عليه وآله وسلم إذ هو علة كل خير.

ولهذا ترى أمير المؤمنين عليه السلام ينوّه بذلك في كثير من خطبه وكلماته مثل ما تقدم من الأخبار من كون علمه من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومثل مضمون قوله عليه السلام : «**أنا من رسول الله كالضوء من الضوء**»[1]، فوجه الدلالة

---

١) نهج البلاغة، من كتاب له إلى عثمان بن حنيف، رقم ٤٥.

من الآية المذكورة على المطلوب غير خفي على الفطن المنصف، فليتفطن في قوله ﷺ المتقدم: «**وحق على الله أن تعي...**»[١]، فبه يعرف أن إرادة الله قد تحققت في جعل قلب أمير المؤمنين محلاً لفيوضاته، كيف! وهو الحكيم القدير، وقد سبق في تقديره (جلّ وعلا) أن وليّه علياً مساوياً لحبيبه ونبيه ﷺ في كل خصال الخير سوى النبوة، وعرّف ذلك كثيراً من علماء الإسلام المنصفين، ولا عذر للمنكرين بعد قوله: ﴿**وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾.

فعليه نكرر القول مع المدعين (بأنه علمه عليه السلام من طريق التكسب) فنقول: إما يقرَرَ ذلك في حق النبي ﷺ فيكون لِقَدْرِهِ من الجاهلين المنكرين، أو يسلم بالإلهامات الإلهية والإفاضات الربانية في حقه ﷺ، ولابد له من تسليم ذلك في حق أمير المؤمنين عليه السلام وأن لا يكون في الكتاب والنبويات من المكابرين؛ لما ثبت فيها من عموم المساواة فيما سوى النبوة، فلا منافاة بين مساواته عليه السلام له ﷺ في كل فضل، وكونه ﷺ السبب فيما يتهأ للأمير عليه السلام من الخير لأنه ﷺ العلة في كل خير يفيض في الوجود على أمير المؤمنين عليه السلام ومن دونه، فإن مفيض الخير هو الله القادر المختار يعطي من يشاء كيف يشاء، بتفاضل أو بدون تفاضل، ولا جزاف عنده في السعادة الحقيقية، ولكل حظّه منها بحسب استعداده الذاتي، فإن ساوى (سبحانه وتبارك وتعالى) بين عبدين في الفضيلة مع نقصان أحدهما عن الآخر في إحدى الرتب بسبب ذي الرتبة العالية، لتفانى

---

١) انظر: صفحة ٧٤.

مَن هو دونه له في الانقياد في طاعة الله.. وهذا جار في السيد الأكبر رسول الله ﷺ مع سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام، فلا بدعَ، فالفضل بيد خالق الفضل، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاء﴾.

فسيدنا رسول الله هو سيد علي عليه السلام والحجة عليه، وفضله عليه السلام منه ﷺ كما كررنا تبعاً لتكراره عليه السلام ذلك، وما ساواه في الفضيلة إلا لشدة تبعيته له وتفانيه في طاعته، فطاعته ﷺ طاعة الله، فبذلك عَلَت رتبة علي عليه السلام عند الله تعالى، فعرف به خلقه.

فممن اعترف بذلك من علماء الإسلام: الشيخ عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي، قال في ديباجة (شرح النهج): وصلى الله على رسوله محمد المكنى عنه، شعاع من شمسه، وغصن من غرسه، وقوة من قوى نفسه، ومنسوب إليه نسبة الغد إلى يومه، واليوم إلى أمسه، فما هما إلا سابق ولاحق، وقائد وسائق، وساكت وناطق، ومجلّ ومصلّ، سبَقَا لمحة البارق، وأنارا سدفة الغاسق (صلى الله عليهما)[1]، انتهى.

فبهذا وأمثاله يثبت أن فضل علي عليه السلام في غاية الكمال ليس به نقص.

ومما يشهد بذلك: ما نقله المعتزلي المذكور، عن الإمام أحمد ابن حنبل، قال في شرح خطبة الرضي في (النهج) ما نصه: "قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: ذكر ذلك الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تاريخه المعروف بـ(المنتظم): تذاكروا عند أحمد خلافة أبي

---

١) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٣.

بكر وعلي وقالوا فأكثروا، فرفع رأسه إليهم وقال: قد أكثرتم، إن علياً لم تُزنه الخلافة ولكنه زانها... ثم قال ابن أبي الحديد: وهذا الكلام دال بفحواه ومفهومه على أن غيره ازدان بالخلافة وتممت نقيصته، وأن علياً عليه السلام لم يكن فيه نقص يحتاج إلى أن يتمم بالخلافة، وكانت الخلافة ذات نقص في نفسها فتمم نقصها بولايته إياها[(١)]"، انتهى.

وأنت ـ هداك الله ـ إذا تأملت في هذه الشهادة من هذين العالمين العظيمين وأمثالهما من علماء الإسلام ممن قالوا بهذا المضمون بالصراحة أو بلازم المفهوم، عرفت أنهم قد أنصفونا من أنفسهم، حيث إنهم اتبعوا قول الله ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ فهي الحجة القائمة لنا، فلا بأس بتكرارها فهي مسك ونور، ففيها البرهان الواضح على ما نقول من تساويهما (صلى الله عليهما وآلهما) في الفضل، حتى إن الفخر الرازي ـ مع تشكيكاته ـ خضع لهذه الحجة الدامغة لأباطيل الجاحدين فضل أمير المؤمنين عليه السلام ، فإن الرازي إنما ناقش الشيخ محمود الحمصي في تفضيل علي على الأنبياء؛ لأن الشيخ محمود عندما أثبت المساواة بصريح الآية بعد استثناء أفضلية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأمير بالنبوة، استنتج من ذلك أفضلية الأمير عليه السلام على الأنبياء عليهم السلام ، والرازي لم يناقشه إلا في ذلك، فبقي العموم في المساواة بلا معارض... وأن المعترفين بأفضلية أميرنا على من سوى سيده وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحق لهم أن يتمثلوا بقول بعض المحبين:

---

١) ن، م، ص ٥٢.

يغنيك قول الله عن ذي مقول ومديحُهُ عمّن أطال وأطنبا[١]

وقول الله فيه وفي آله عليه السلام في كتابه المجيد كثير، حتى ورد عن ابن عباس أنه قال: نزل في علي عليه السلام أكثر من ثلاثمائة آية[٢]، وورد عنه: أن ربع القرآن نزل فيه وفي آل بيته المعصومين عليهم السلام ، كما في الباب الثالث والأربعين من (الينابيع)[٣]، ولقد عقد فيه مؤلفه ـ الشيخ سليمان ـ تسعة عشر باباً فيما يزيد على الستين صحيفة، وكل ذلك من طرق جهابذة المسلمين مثل الحمويني والجويني وابن المغازلي وابن حجر وأضرابهم من الأجلاء، فراجع، فلسنا بصدد التفصيل، فبُغيتنا فيما حررناه ثابتة، وفضله عليه السلام غني عن البيان...

---

١) رياض المدح والرثاء: ص ٦٣، أدب الطف: ج ٦ ص ٣١٤، وهو البيت الـ١٥من قصيدة للشيخ حسن بن محمد بن مرهون التاروتي رحمه الله المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ نظمها في رثاء الإمام الحسين عليه السلام قلّ نظيرها، ومطلعها:

لمن القباب الطالعات على قُبا كالشهب إلاً أنها فوق الرُبى

انظر: أنوار البدرين: ص ٢٤٩، منتظم الدُرّين: ج ١ ص ٤١٨ وفيه: (لمن الشموس الطالعات).

٢) تاريخ بغداد: ج ٦ ص ٢٢١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢ ص ٤٣١ رقم ٩٣٤، الصواعق المحرقة: ص ٧٦، تاريخ الخلفاء (السيوطي): ١٧٢، كفاية الطالب (الكنجي): ١٣٤ ب (٦٢) ، ينابيع المودة: ج ١ ص ٣٧٧ ب (٤٢).

٣) ينابيع المودة: ج ١ ص ٣٧٧. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إن القرآن أربعة أرباع: فربع فينا أهل البيت خاصة، وربع في أعدائنا، وربع حلال وحرام، وربع فرائض وأحكام، وإن الله أنزل في عليّ كرائم القرآن**». انظر: شواهد التنزيل: ج ١ ص ٥٧ ح ٥٧، مناقب علي بن أبي طالب (ابن المغازلي): ص ٢٥٨.

وإذا استطال الشيء قام بنفسه فصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً[(١)]

وما من أحد خالٍ من التعصب، سالكاً صراط الإنصاف، مستبصراً بنور العلم، إلا ويعترف بذلك، ومنهم:

ابن أبي الحديد، فدونك قوله في ديباجة (شرح النهج): فأما فضائله عليه السلام فإنها قد بلغت من العظم والجلال والانتشار والاشتهار مبلغاً يَسمُج معه التعرض والتصدي لتفصيلها[(٢)]، انتهى.

وقال أيضاً ما نصه:

وما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله، فقد علمتَ أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريف عليه، ووضع المعايب والمثالب، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعّدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلةً أو يرفع له ذكرىً، حتى حظروا أن يُسمّى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعةً وسموّاً، وكان كالمسك كلما سُتر انتشر عرفه، وكلما كُتم تضوّع نشره، وكالشمس لا تُستر بالرّاح، وضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة، وما أقول في رجل تُعزى إليه كل فضيلة وتنتهي إليه كل فرقة، وتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عُذرها،

---

١) تقدم تخريجه في هامش صفحة ٤٤.

٢) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ١٦.

وسابق مضمارها، ومجلي حَلَبتها، كل من بَزَغْ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى أمثاله احتذى. وقد عَرَفْتَ أنّ أشرف العلوم هو العلم الإلهي؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم، ومن كلامه عليه السلام اقتُبس، وعنه نُقل، وإليه... الخ، انتهى(١).

وفيه قد صرّح أن ذلك العلم هو التوحيد والكلام، ثم ذكر انتهاء علم الفقه إليه من كل المذاهب، وكذلك علم السلوك، وعلم النحو، وغيره من العلوم، حتى قال في الكلام عن النحو: إن وضعه كاد أن يلحق بالمعجز، ثم ذكر أخلاقه الشريفة: من الحلم، وسماحة الأخلاق، والسخاء، واستشهد عليه بآيٍ من ﴿هَلْ أَتَى﴾.

وأقول: إن نزول السورة فيه مسلّم عند جُلّ المسلمين إن لم نقل الكل.

ثم ذكر الشجاعة، واستشهد عليها وعلى غيرها بآثار من السيَر المسلّمة واعترافات الأعداء، حتى قال في كلامه عن الشجاعة: وهذا العمل لا معنى للإطناب فيه؛ لأنه من المعلومات الضرورية، كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما(٢).

ثم تعرض للفصاحة وقال: "وأما الفصاحة، فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيد البلغاء، وعن كلامه قيل: (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين)، ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة. قال عبد الحميد بن يحيى:

---

١) ن، م، ص ١٦ ـ ١٧.

٢) ن، م، ص ٢٠ ـ ٢١.

حفظت سبعين خطبة من خُطب الأصلع ففاضت ثم فاضت. وقال ابن نباته: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب عليه السلام"[١].

ثم ذكر جواب معاوية لمحضن بن أبي محضن، ثم قال:

"ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجارى في الفصاحة ولا يُبارى في البلاغة، وحسبك أنه لم يدوّن في فصحاء الصحابة العُشر ولا نصف العشر مما دون... الخ"[٢]، انتهى.

وأنت ـ هداك الله إلى سواء الصراط ـ إذا تأملت في هذه الكلمات القيّمات عرفت أن دلالتها على غزارة علمه عليه السلام أظهر من الدلالة على فصاحته عليه السلام، بل إن الفطن المنصف يستنتج كون علمه إلهامياً إلهياً من عموم كلمة "أن كلامه فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق"، فهي لا تخصص بالفصاحة، ولا يتصف الكلام بهذه الصفة العالية على العموم، أعني علوّه على كلام كل مخلوق ما سوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لخروج كلامه قطعاً بدليل النبوة، إلا أنه صلى الله عليه وآله وسلم الجامع للكمالات من جميع الجهات، فينحط عن كلامه كل كلام بكل جهة واعتبار، فعليه إن قضية الإشراق الرباني يكون فيه عليه السلام من أظهر الخواص، فيتحقق لصاحبه التقدير الخاص من ربه، الرافع له عن طريقة الاكتساب، وهذا ما أزلف الله به مولانا أمير المؤمنين عليه السلام .

١) ن، م، ص ٢٤.

٢) ن، م، ص ٢٥.

ومِمن أشار لذلك من علماء الإسلام المنصفين: كمال الدين [ابن طلحة] فإنه لما استنتج من حديث الراية[١] والطائر[٢] علو رتبة الأمير عند الله ورسوله، وتخصيصه بالمحبة الخالصة قال ما نصه: وكانت حقيقة هذه المحبة قد ظهرت عليه آثارها وانتشرت لديه أنوارها، فإنه كان قد أزلفه الله تعالى من مقر التقديس، فإنه نَقَل الترمذي في صحيحه أن رسول الله ﷺ دعى علياً يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: "طال نجواه مع ابن عمه. فقال رسول الله ﷺ: «**ما انتجيته ولكن الله انتجاه**»[١]"، انتهى.

١) روى البخاري ومسلم وغيرهما أنه يوم خيبر: «**لأعطينّ الراية غداً رجُلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله وسوله**». وانظر: صحيح البخاري: ج ٥ ص ٢٢ و١٧١ باب غزوة خيبر، التاريخ الكبير: ج ٧ ص ٢٦٣، صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٨٧٢، مسند أحمد: ج ٤ ص ٥٢، ج ٥ ص ٣٣، سنن الترمذي: ج ٥ ص ٦٣٨ رقم ٣٧٢٤، دلائل النبوة (البيهقي): ج ٤ ص ٢٠٥ و٢٠٩ و٢١١، سنن ابن ماجة: ج ١ ص ٤٥ رقم ١٢١، المعجم الكبير (للطبراني): ج ٦ ص ١٥٢ رقم ٥٨١٨، ص ١٦٧ رقم ٥٨٧٧، ص ١٩٨ رقم ٥٩٩١، المناقب (الخوارزمي): ص ١٠٨، حلية الأولياء (أبو نعيم): ج ١ ص ٦٢، الصواعق المحرقة: ص ١٨٧، ينابيع المودة: ج ١ ص ١٦١.

٢) روي عن أنس وسفينة وابن عباس: كان عند النبي ﷺ طير فقال: «**اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير**» فجاء علي فأكل معه. التاريخ الكبير: ج ١ ص ٣٥٨، سنن الترمذي: ج ٥ ص ٣٠٠ رقم ٣٨٠٥، السنن الكبرى (للنسائي): ج ٥ ص ١٠٧ رقم ٨٣٩٨، الرياض النضرة: ج ٣ ص ١١٤ و١١٥، المعجم الكبير: ج ١ ص ٣٥٣، ج ٧ ص ٨٢، ج ١٠ ص ٢٨٢، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢ ص ٢٤٦ رقم ٨٧٦٧ و٨٧٦٥ و٨٧٦٦، المناقب (للخوارزمي): ص ١٠٧.

١) مطالب السؤول: ص ٨٧.

وإنه لصالح للدلالة على مدّعانا، فالسالم من الأهواء والتقاليد لا أراه يدافعه، فتبصّر فيه فلا ترى فيه إلا ما قلناه من قضية الإشراق من الله على نفس مولانا علي عليه السلام، فليس لمناجاة الله معنىً إلا الإفاضات الروحية(١) المشرقة عليه عليه السلام فاستنر بقوله صلى الله عليه وآله وسلم المذكور: «**ولكن الله انتجاه**».

---

١) هذا، ولا يُشكَل علينا بأن ما ستنتجناه إنما يتم على المعنى الباطني من النبوي، فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما انتجيته ولكن الله انتجاه**» معناه الظاهري المتبادر إلى الأفهام من ظاهر اللفظ هو أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بمناجاته فقال: إن هذا مُسْلمٌ.

لكن لابد فيه من المجاز في الإسلام، فالحقيقة لا تتأتى قطعاً، فإن كلمة (انتجاه) على معناها الحقيقي وهو المناجاة، وليس فيها تجاوز بمعنى الأمر، فالتجاوز عقلي متحقق في إسناد المناجاة لله تعالى بعلاقة الأمر، حيث إن المناجات وقعت من النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمولى علي عليه السلام بأمر الله تعالى، فالمقام من قبيل قول القائل: بني السلطان المدينة، مع أن البناء واقع حقيقة ممن بناه بيده مباشرتاً، فالسلطان مسند له البناء تجوّزاً عقلياً، لكونه هو الآمر.

وما قررناه من قضية الإشراق الإلهي على النفس العلَوية لا تجوّز فيه للاسناد قطعاً، فوقوعه من الله تعالى حقيقي، والتجوّز متحقق في الكلمة، أي أن لفظ (انتجاه) استُعملت في الإشراق الذي هو الإلهام الإلهي، فهي استعارة، نظير استعارة الأسد للرجل في قول القائل: "رأيت اسداً يكتب"، فالكتابة مسندة إلى الرجل بطريق الحقيقة، وكلمة الأسد مستعملة في الرجل بطريقة الاستعارة، فهي مجازيةً.

فالنبوي المشار إليه لابد فيه من المجاز إما في الإسناد مع بقاء كلمة (انتجاه) على معناها الحقيقي، وأن الإسناد يبقى على حقيقته، والتجوّز يكون في الكلمة كما أوضحناه، وهذا المعنى ليس بالكثير في مقام علي عليه السلام عند من عرف قدره عند الله تعالى وعند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمعنى الأول ليس بمتعيّن من اللفظ نصّاً، بل ليس هو أولى بالمقام العلَوي

وأنت خبير بأن لفظ "انتجى" لغة معناها: خصصه بنجواه، والله تعالى منزّه عن المباشرة للممكن بالاتصال بالحيّز والآلات، فنفي الجسمية وغيرها من صفاة الممكن عنه تعالى قد قضى بها العقل حتماً، فلا معنى لتخصيص إحبائه بشيء من زلفاه إلا بالإفاضات الملكوتية والإلهامات الربانية، وليس هو إيحاء كما يكون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كما عرفت من الإشارة في النبوي المتقدم: «إنك ترى... الخ»، وقد جاءفيه: «إلا أنك لست بنبي». فمساواته عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما سواها اتضحت لديك بالأدلة السابقة، وليس هو من آرائنا فقط بل شاركنا فيه إخواننا أهل السنة ـ كما أشرنا إليه في تقرير الرازي في كلامه على آية المباهلة في كتابنا (النظرة الرشيدة)[1] ـ ولكمال الدين أيضاً كلام على تحقيق لفظ المولى في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» ، فإنه قرر أنها عامة في حقه عليه السلام على كل الوجوه المحتملة فيها من "الأولى" و"الناصر" وغيرهما.

قال في (مطالب السؤول) ما نصه:

"وليعلم أن هذا الحديث هو من أسرار قوله تعالى في آية المباهلة ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ ، والمراد نفس علي عليه السلام على ما تقدم، فإن الله تعالى لما قرن بين نفس

من المعنى الثاني، ففيه عظم إظهار قربه لربه (تعالى وتقدس)، والله العالم بمراده ومراد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم . (منه رحمه الله).

١) النظرة الرشيدة في المباهلة السعيدة: ص ٨٤.

رسول الله ﷺ وبين نفس علي وجمعهما بضمير مضاف إلى رسول الله ﷺ أثبت رسول الله ﷺ لنفس علي بهذا الحديث ما هو ثابت لنفسه على المؤمنين عموماً، فإنه ﷺ أولى وناصر المؤمنين وسيد المؤمنين، وكل معنىً أمكن إثباته مما دل عليه لفظ "المولى" لرسول الله ﷺ فقد جعله لعلي، وهي مرتبة سامية، ومنزلة سامقة، ودرجة عليّة، ومكانة رفيعة، خصصه ﷺ بها دون غيره ... الخ"[1].

وهذا مساوق لما أفدناك عنه سابقاً[2] عن ابن أبي الحديد في مساواته لهما عليهما السلام في الصلوات عليهما، وقد أيّده بما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام في الديباجة، حيث قال: «**لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة سبع سنين**» . وقوله عليه السلام : «**كنت أسمع الصوت وأرى الضوء سنين سبعاً ورسول الله حينئذ صامتٌ ما أُذن له في الإنذار... الخ**»[3].

وأقول: ينبغي للمتفطّن المنصف أن يتدبر ويوجه معنى (أرى) إلى الرؤية بالبصيرة فهي أقرب للصواب وأبعد عن شبه المنكرين وإلا فإن المتأمل العارف بقدر مولانا لا يستنكر البناء على ظاهر هذا المعنى في حقه عليه السلام فما هو الا منحة خصه بها ربه سبحانه كي يشد به أزر حبيبه ورسوله ﷺ إجابة لدعوته ﷺ فأي استكثار من أن يخص الغني الوهاب تعالى

---

١) مطالب السؤول: ص ٩٧.

٢) تقدم في صفحة ٧٧.

٣) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ١٥.

وتقدس وليّه علياً من الإفاضات الإلهية بما يميّزه على من سواه؛ ترشيحاً له في أول عمره بالولاية العامة على المؤمنين بعد سيد المرسلين إقامة لحججه تعالى على المكلفين، ولعل أحد طالبي الحق يحب التشرف بسماع دعاء النبي ﷺ المشار إليه، فما أحبني إلى تلبيته، فدونه ما جاء من ذلك من طريق أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي في (تفسيره الكبير) في تفسير آية الولاية ـ بنقل الحجة المقدس السيد شرف الدين ـ: أخرج المفسر المذكور عن أبي ذر الغفاري، أن رسول الله ﷺ قال: «**علي قائد البربرة وقاتل الكفرة...**»[١].

وساق حديث التصدّق، إلى أن ذكر دعاء النبي ﷺ وهو شاهدنا، قال: فتضرّع النبي ﷺ إلى الله (عز وجل) يدعوه فقال: «**اللهم إن أخي موسى سألك ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ فأوحيت إليه ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾[٢]، اللهم وإني عبدك ونبيك، فاشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي، علياً، اشْدُدْ بِهِ ظهري**»، قال أبو ذر: فو الله ما استتم رسول الله ﷺ الكلمة حتى هبط عليه الأمين جبرئيل بهذه الآية: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ**

---

١) المراجعات: ص ٢٣١ المراجعة رقم ٤٠.

٢) سورة طه، الآيات ٢٥ ـ ٣٦.

آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[١].

هذا، ولا يخفى على أولي الألباب تعيين معنى الأولى من لفظ الولي، فإن لفظة (إنما) تفيد الحصر عند أهل العربية بلا ريبة. ولا معنى لحصر الولاية لله ورسوله إلا أن تكون بمعنى الأولى، فعليه لابد أن تكون للذين آمنوا المتصفين بالوصف المذكور في الآية بذلك المعنى، وإلاّ فلا معنى للحصر؛ إذ من الواضح ثبوت ما سوى المعنى المذكور من معاني لفظ الولاية لعموم المؤمنين، فكلٌّ من المؤمنين الذين مع النبي ﷺ ناصرٌ لأخيه بمقتضى الإيمان، وهكذا باقي المعاني من "الصديق" و"الحميم" وغير ذلك مما يمكن تحققه للمؤمن.

---

١) سورة المائدة، الآيتان ٥٥ ـ ٥٦.

نقل السيد المذكور في (المراجعات) ورودها من طرق أخرى من طرق أهل السنة، منهم: النسائي، والحميدي، والواحدي، وابن مردويه، وأبو الشيخ القوشجي، ونقل القوشجي أيضاً إجماع المفسرين وغيره، وكذلك نقل السيد هاشم التوبلاني البحراني أربعة وعشرين حديثاً من طرقهم في (غاية المرام)، وعلاء الدين [المتّقي] الهندي، والخطيب البغدادي، ونقل السيد التقي الورع العلي رضي الدين ابن طاووس في آخر الباب السابع من أعمال ذي الحجة في كتاب (الإقبال) ذلك عن جماعة من علماء أهل السنة، منهم: الزمخشري، وابن المغازلي، وغيرهما، ونقل الشيخ القندوزي ذلك أيضاً في (الينابيع) عن كتاب (ذخائر العقبى) لمحب الدين. (منه رحمه الله).

وتخصيص ذلك الوصف بأمير المؤمنين عليه السلام من المسلمات بين الرواة والمفسرين من علماء المسلمين، ولم يدّع أحد نزول الآية في غيره.

والإشكال (بالتعبير عن المفرد بلفظ الجمع) مندفع بما ثبت عند العرب في مثل هذا التعبير، والنكتة البيانية فيه متحققة بوجوه: منها: التعظيم لأمير المؤمنين. ومنها: الإبقاء على بعض المسلمين؛ إذ النص باسمه عليه السلام يتسبب منه نصب حبائل كثيرة من المعاندين فلا يؤمن كيدهم، فأوكل التبيّن الصريح إلى حبيبه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم حسب الحكمة في الأوقات المختلفة. وهذا الوجه ملخص ما قرره السيد شرف الدين، وإنه لجيّد متين[١].

ثم لا يخفى عليك ـ يا ذا اللب السليم ـ ما ظهر من تأييد النبي صلى الله عليه وآله وسلم المحرر آنفاً، لما قلناه من تعيين الأولى من لفظ الولي وتخصيص ذلك بمولانا علي، فليتدبر قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **«اللهم إن أخي موسى سألك...»** وتلا الآية، ومنها قوله تعالى: **﴿أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾**، ثم دعى صلى الله عليه وآله وسلم ربه تعالى يجعل علياً كذلك، ولبّاه ربه (عز وجل) بالآية عقيب ذلك بلا مَهْل... فيا لها من عناية عظيمة استرَّ بها أولياء علي عليه السلام الشاهدون والغائبون ومن في الأصلاب والأرحام، وإنه لسرور أثلج أفئدتنا المستنيرة بعُلائه.

ولقد تحقق ضد ذلك لأعدائه، كيف لا وقد أشرق الحق بكون مولانا علي عليه السلام شريكاً لنبينا السيد الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في أمره، وفيه تحققت له من سيده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنزلة العظمى ألا وهي منزلة **«هارون من موسى»**،

---

١) المراجعات: ص ٢٢٩ ـ ٢٣٢ المراجعة رقم ٤٠.

وقد قررها مكررةً مراراً. ومن زعم أن ذلك كان في تبوك خاصة فيتشبث به في عدم العموم فليس له علم، أو ملكهُ هواه، فإن النبي ﷺ صرّح بها في غزوة تبوك وغيرها، أما الذي فيها فدونكه حرفياً بنقل السيد شرف الدين في (المراجعات) من طرق إخواننا أهل السنة[١] في حديث طويل عن ابن عباس يشتمل على أربعة عشر فضيلة لعلي عليه السلام وفيه قال ابن عباس: وخرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وخرج الناس معه، فقال له علي: **«أأخرج معك؟»**، فقال عليه السلام : **«لا»**، فبكى علي، فقال ﷺ : **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي»**.

هذا ما ورد في غزوة تبوك، وأما ما ورد في غيرها، فمن ذلك: ما ورد عن أم سليم الأنصاري ـ وهي أم أنس بن مالك ـ حينما زارها رسول الله ﷺ في بيتها، فدونك نصه: قال ﷺ : **«إن علياً لحمه من لحمي ودمه من دمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى»**.

---

١) وقد أورده من عدة طرق منهم: الإمام أحمد في (مسنده) والإمام النسائي في (خصائصه العلوية) والحاكم في (المستدرك) والذهبي في (المختصر) وغيرهم من أصحاب السنن. ومنهم: ابن حجر في (صواعقه) والبخاري في (صحيحه) ومسلم في (صحيحه) وصاحب (الجمع بين الصحاح الستة) والحميدي في (الجمع بين الصحيحين) وابن ماجه في (سننه) والطبراني في (معجمه) والبزار في (مسنده) والترمذي في (صحيحه) وابن عبد البر في (الاستيعاب)... (منه رحمه الله).

ومثله الحديث الوارد في قضية بنت حمزة حين اختصم فيها علي وجعفر وزيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **«يا علي، أنت مني بمنزلة هارون... الحديث»**.

وكذا الحديث الوارد يوم كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو متكيء على علي عليه السلام ، فضرب بيده على منكبه ثم قال: **«يا علي، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأولهم إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى...»**[١].

وبذكره في الموارد يثبت عمومه لكل منازل هارون، فكل ما كان لهارون من المنازل من أخيه هو ثابت لعلي عليه السلام من أخيه صلى الله عليه وآله وسلم ، إلا النبوة. واستثناؤها خاصة قرينة كبرى على العموم أيضاً، فكل ما كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من العلم والفضل وفرض الطاعة على الأمة، متحقق لأمير المؤمنين عليه السلام في "حديث المنزلة" بلا إشكال، وهو مؤيِّد لما قلناه من تعيين معنى الأولى في لفظ الولي، وقد نص صلى الله عليه وآله وسلم على هذا المعنى ـ بوجه خاص ـ نصاً صريحاً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم له عليه السلام : **«أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة»**.وهذا من الحديث المشار إليه آنفاً عن ابن عباس.

---

١) المراجعات: ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩ المراجعة ٣٢.

النظرة الرابعة

في التعريض بحديث الدار يوم الإندار

وتنقيح حديث الغدير

الكلام في التعريض بحديث الدار يوم الإندار وتنقيح حديث الغدير وانحصاره في معنى الأولى وما يؤيده من القرائن المسلّمة عند الفريقين، والكلام على إكمال الدين، وذكر نبذة وافرة من الخطبة النبوية يوم الغدير، وتحقيق معناها، وتنقيح طريقها، وما يتعلق بذلك، والإشارة إلى أن كلمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق الوصي عليه السلام كلها بظاهر مبيّنها ومجملها، فتصير ظواهرها نصوصاً...

وأنت ـ هداك الله ـ إذا تأملت في الكلمات النبوية في حق مولانا على عليه السلام وجدتها تؤيد بعضها بعضاً. فهدفه صلى الله عليه وآله وسلم في حق نفسه علي عليه السلام واحد وهو إظهار فضله عليه السلام وإعلاء قدره، وترشيحه للخلافة من مبدأ الدعوة.

فحينما نزل قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[1] دعاهم صلى الله عليه وآله وسلم إلى منزل عمّه فأنذرهم وبشّرهم، فدونك الحجة على مدّعى ما نقول من قوله الصالح لحجتنا بلفظ: «**يا بني عبد المطلب، إني ـ والله ـ ما أعلم شاباً في**

---

1) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يوازرني على أمري هذا؟ فقال[1] علي ـ وكان أحدثهم سناً ـ: «أنا ـ يا نبي الله ـ أكون وزيرك عليه». فأخد رسول الله برقبة علي وقال: «إن هذا أخي، ووصيي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»[2].

فما زال ﷺ من يوم مبعثه إلى حين وفاته ينوّه بفضل صنوه عليه السلام بأمر ربه تعالى، تارة بإعظامه وتبجيله وإظهار غضبه على شانئيه، وطوراً بالتصريح وشدة محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ له عليه السلام وأقربيته منه ﷺ في كل خير، وأشهر تلك النصوص قوله ﷺ يوم الغدير: «ألستم تعلمون (أو أولستم تشهدون) أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى. قال ﷺ: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[1].

---

١) هذا المضمون أخرجه المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال: ص ٤٢) وذكر فيه: «من يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووليكم بعدي» . وأصل الحديث أخرجه عدة من علماء السنة بنقل السيد شرف الدين: ابن اسحاق، وابن جرير، وأبو حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي، والثعلبي، والطبري، وابن الأثير، وأبو الفداء، وأبو جعفر الإسكافي، والحلبي، والطحاوي، والضياء المقدسي، وسعيد منصور، والإمام أحمد بن حنبل، والنسائي، والحاكم، والذهبي، و[المتقي] الهندي المذكور آنفاً، وكمال الدين، وابن أبي الحديد، ومسلم في (صحيحه)، وعبد الله بن الإمام أحمد، وابن حجر، وابن قتيبه، وابن عبد ربه، وعمر بن بحر الجاحظ، وابن هشام، ومحمد حسنين هيكل المصري. (منه رحمه الله).

٢) المراجعات: ص ١٨٨ المراجعة ٢٠.

١) ن، م، ص ٢٦٢ المراجعة ٥٤.

ومؤداه واردٌ من عدة طرق ينوف على المائة من طرق إخواننا السنة كما أشرنا إليه آنفاً[١] في التعليق على كلام ابن أبي الحديد، وقد ذكرنا في ذلك كلمةً موجزة في أوائل كتابنا (النظرات) وبسطنا فيه بعض البسط في كتابنا (النظرة النبوية)[٢]، فلا حاجة إلى التكرار هنا.

ولكني وجدت رواية فيما أخرجه الطبراني وغيره من الأعلام بنقل السيد المذكور (قدس الله سرّه، وزيّن به في الجنان الأسرّة) وحيث إني لم أذكرها فيما حررتُ فيحسن جداً تحريرها هنا؛ لحسن مناسبتها للموضوع، فدونكها حرفياً: "أخرج الطبراني وغيره بسند مُجمع على صحته، عن زيد ابن أرقم قال: خطب رسول الله ﷺ بغدير خم تحت شجرات فقال: **«أيها الناس، يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول، وإنكم مسؤلون، فما أنتم قائلون؟»** قالوا: نشهد إنك قد بلّغت، وجاهدت، ونصحت، فجزاك الله خيراً. فقال: **«أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وأن ناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث حق بعد الموت، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟»** قالوا: بلى نشهد بذلك[١]،

---

١) لاحظ: ص ٨٥ ـ ٨٦.

٢) مخطوط عند سبط المؤلف، الأستاذ أبي منصور فؤاد بن الحاج حسين الزاير (وفقه الله).

١) قال السيد: "تدبر هذه الخطبة، فمن تدبرها وأعطى للتأمل فيها حقّه فعلم أنها ترمي إلى أن ولاية علي من أصول الدين كما عليه الإمامية؛ حيث سألهم أولاً فقال: «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.... إلى أن قال: وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور» ثم عقّب ذلك بذكر الولاية؛ ليُعلم أنها على حد تلك الأمور

التي سألهم عنها فأقرّوا بها، وهذا ظاهر لكل من عرف أساليب الكلام ومغازيه من أولي الأفهام". انتهى. [انظر: المراجعات: هامش ص ٢٦٠].

وأقول: إن هذه لكلمة شعّت بنور الحق لأهله، وهي موافقة لتحقيق أهل الحق الناجين لجعل الإمامة من أصول الدين، وإني بفضل الله ـ وله الحمد ـ وبركات درس كلمات علمائنا كالسيد المذكور وغيره، قد حققت الملازمة العقلية في أصول الدين الخمسة، ومنها: الإمامة عند الإمامية بما شع عليّ من ساداتي في (النظرة النفسية) ، وفي الشعاع الخامس عشر (الفوائد السنية) .

وأما كون ولاية أمير المؤمنين وأولاده الأحد عشر المعصومين من أصول الدين فقد حرره غير واحد من علماء الإمامية، وإليك ذكر بعض منهم؛ تصديقاً لما قلناه، كي تكون على يقين، فمنهم: الشيخ الصدوق في (عقائده)، والمفيد في (أوائل المقالات) وابن طاووس في (طُرَفه) والشيخ الجليل نصير الملة والدين في (التجريد)، وجمال الملة والدين العلامة الحلي في (الباب الحادي عشر) و(إحقاق الحق) و(الألفين) ، وشارح (الباب الحادي عشر) الشيخ المقداد، والشيخ علي في (المنار)، ونور الله التستري في (شرح احقاق الحق)، والشيخ المجلسي في (عقائده) و(بحاره) ، والسيد نعمة الله الجزائري في (الأنوار النعمانية) ، وكاشف الغطاء في (أصل الشيعة) ، والشيخ علي أبو الحسن [الخنيزي] في رسالته المتقدمة، وجدّه لأمه المحقق الشيخ علي بن عبد الجبار القطيفي، والشيخ حسن الدمستاني، وإنه لعدد مبارك.

وبالجملة، فإن هذا الأمر من المسلمات عند الشيعة الإمامية، وإنما غرضنا من ذكر ثلة من أعلامهم: تنبيه الغافلين أو المغفّلين على غلط بعض الكاتبين بجعلهم الولاية من فروع الدين. ولعل داعيهم لذلك التباس الأمر عليهم في كلام الأغيار، فان جل الجمهور يفرضون في مذهبهم موالاة أهل البيت عليهم السلام بمعنى وجوب ودهم كتاباً وسنة، فهي [عندهم] من الفروع، وهم لا يعتقدون أنهم عليهم السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فهذه خاصة بنا، فليتأمل الكاتب الشيعي بعقله السليم فإنه يقضي عليه ـ أولاً ـ بكمال صانعه

قال: «اللهم اشهد»، ثم قال: «يا أيها الناس، إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، أنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه ـ يعني علياً ـ اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»، ثم قال: «يا أيها الناس، إني فرْطكم وإنكم واردون عليّ الحوض، حوضٌ أعرض مما بين بُصرى إلى صنعاء، فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم حين تردون عليّ عن ثقلين: كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله (عز وجل) سبب طرفه بيد الله تعالى وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا، ولا تبدلوا. وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا علي الحوض»(١)"، انتهى.

واجب الوجود الواحد الأحد (جلّ وعلا) ، فلابد من كونه تعالى لطيفاً حكيماً، فبذلك يجب أن يرسل تعالى للخلق رسولاً معصوماً ، وبما هو بشرٌ لابد من موته، فيجب ـ لطفاً ـ نصب ولي معصوم على الأمة ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ ، ولابد ـ بمقتضى العقل ـ من دار يُثاب فيها المحسن ويُجازى فيها المسيء، ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ .

فيا أيها المحرر الشيعي! كيف يسوغ لك أن تحرر أن الولاية من فروع الدين بقولٍ مطلق؟! مع أنك من القاطعين بالنص الجلي من الله ورسوله على المولى علي وولده المعصومين عليهم السلام ، فهم بالضرورة أولياء المؤمنين، بمعنى أنهم أولى بهم من نفسهم، وقد تعين ذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقرائن المقالية والحالية. (منه رحمه الله) .

١) المراجعات: ص ٣٦٢ المراجعة ٨٨.

وقد جاء في الطبعات الأولى من (النظرات): (لن ينضبا) وعلّق عليه المؤلف رحمه الله هكذا: قال الشيخ الطريحي في (المجمع): في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«ألا أخبركم بخمس لو ركبتم فيهن المطي حتى تُنضوها لم تأتوا بمثلهن...»** أي تهز لوها وتذهبوا بلحمها. انتهى.

وأقول: ينبغي لطالب الحق أن يتطلع ببصيرته في هذه الخطبة النبوية كي يستضيء بكلماتها المشرقة بالنصوص الجلية على الولاية العلوية المساوقة للولاية المحمدية . فأي عذر للشاكين في تعيّن (الأولى) من لفظ المولى بعد قوله ﷺ : «**وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم**» وتعقيبه بقوله ﷺ : «**من كنت مولاه فهذا مولاه... الخ**».

أو ليست هذه القرينة اللفظية صريحة في عموم لفظ (المولى) لجميع معانيها الصادقه في حقه ﷺ على الأمة؟ فمعاني المولى له ﷺ كلها حقيقة في حقه، وأظهرها الأولوية بأمورهم، ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾ ، وكلها قد فرضها على الأمة بأمر الله لنفسه وأخيه وصهره أمير المؤمنين علي عليه السلام في يوم الغدير وغيره من المقامات.

وهذه القرينة اللفظية لم ننفرد بها معشر الشيعة ـ كما عرفت ـ بل كل من كان له أدنى رؤية في محاورة العرب في ظواهر كلماتهم يعترف بأنها من القرائن الجليّة، ولقد صرح بذلك جمهور من أعلام السنة، وهم وإن تفاوتت رواياتهم في اللفظ يسيراً إلاّ أنها متقاربة، والمضمون واحد.

ونزيدك بياناً: أن الحبر الأمين الشيخ عبد الحسين الأميني قد أحصى في كتاب (الغدير) ممن أخرجها من علماء الجمهور أربعة وستين

فبهذا يفسر قوله: «لن ينضيا حتى يردا علي الحوض» بالهزل أو الضعف، يعني أن الكتاب والعترة لا يصيبهما من ذلك شيء، وهو مجاز في الكلمة. ولكن في نسخة متأخرة طبعت في بيروت: (لن ينقضيا)، والله العالم بالصحيح. (منه رحمه الله)

بأسمائهم، وبعد ذلك قال (أيده الله) : ألمحنا إلى موارد ذكر المقدمة بتعيين الجزء والصفحات من كتب هؤلاء الأعلام فيما أسلفناه عند بيان طرق الحديث عن الصحابة والتابعين، وهناك جمع آخرون من رواتها لا يُستهان بعدتهم، فلا نطيل بذكرهم المقال.

أضف إلى ذلك من رواها من علماء الشيعة الذين لا يحصى عددهم، فهذه المقدمة من الصحيح الثابت الذي لا محيد عن الاعتراف به كما صرح بذلك غير واحد من الأعلام المذكورين.

وأخذ (دامت بركاته) في استدلاله على المراد، حتى نقل عن السبط ابن الجوزي في (التذكرة) أنه عدّ عشرة معاني للمولى، وبعدها قال ابن الجوزي ما نصه: والمراد من الحديث الطاعة المخصوصة، فتعين الوجه العاشر، وهو الأولى، ومعناه: من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به.

ثم قال الشيخ الأميني: وقد صرح بهذا المعنى الحافظ أبو الفرج يحيى ابن سعيد الثقفي الأصبهاني في كتابه المسمى بـ(مرج البحرين)... وبعد نقل كلامه حرفياً قال (متع الله المؤمنين به): وتص ابن طلحة الشافعي في (مطالب السؤول) على ذهاب طائفة إلى حمل اللفظ في الحديث على الأولى.

أقول: وقد وقفت على ذلك في الفصل الخامس من الباب الأول، وقد أشرنا إلى هذا المعنى المذكور [فيما تقدم].

ثم إن من الطائفة المشار إليها: العلامة القوشجي، فإن له كلمة جليلة صريحة في ذلك في (شرح التجريد) نقلناها في كتابنا (النظرات) وفي هذا

كفاية لمن كانت له آذان واعية. ومن أراد المزيد فليراجع كلام الشيخ الجليل الأميني المذكور، وقد ذكر عشرين قرينة، كل واحدة بمفردها قد أسفر بها صبح الحق بنور البيان، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلال﴾.

ولعمري إن كل شعاع من أنوار بصيرة ذلك الشيخ الجليل (متع الله الشيعة به) هي شعلة قد أشرق بها نبراس الحق، فلابد أن يهتدي الحق طالبه أو يغشى به نور بصيرته، ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ فيجب على كل مسلم أن يَردَ منهل الغدير الصافي المصفّى من كل قذَر ورَين، ولقد سقى به (أعزه الله) تُربة القلوب السليمة من الأهواء، حتى كانت رياضاً مزهرة بثمار العلم والتقوى، ولقد أشرقت فيها شموس الحق فلن تدع لطالبه معذرة، ففي كل شعاع منها برهان واضح بحجة نيّرة، فإن شئت لَمْعَاً من ذلك فدونك القرينة الرابعة من القرائن المشار إليها:

قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم عقيب لفظ الحديث: «**الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي بن أبي طالب**» عليه السلام.

وبعدها قال الشيخ الأميني (أعزه الله) : وفي لفظ الحمويني: «الله أكبر على تمام نبوتي وتمام دين الله بولاية علي عليه السلام...».

ثم قال الشيخ (دام مجده): فأي معنى تراه يكمل به الدين ويتم النعمة ويرضي الرب في عداد الرسالة غير الإمامة التي هي تمام أمرها وكمال

نشرها وتوطيد دعائمها؟ إذاً فالناهض بذلك العبء المقدس أولى الناس منهم بأنفسهم[١]. انتهى.

فانظر لهذا المعنى السامي وما فيه من الصراحة بثبوت الولاية العامة لأمير المؤمنين عليه السلام على كافة الخلق المساوقة للولاية النبوية التي صرح بكونها تمام الدين في صدر الحديث، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى﴾ ، فقوله صلى الله عليه وآله وسلم هذا قطعاً مطابق لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ .

والقول بنزولها يوم الغدير في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ليس من مختصات الشيعة فقط، فقد روى ذلك جملة من أعلام أهل السنة، ولقد أثبت منهم الحجة الثبت العلامة الأميني في (الغدير) ستة عشر مصدراً من أعلامهم، أولهم: الحافظ أبو جعفر الطبري في كتاب (الولاية) ، والحافظ ابن مردويه، والحمويني في (فرائد السمطين) فراجع ترى التفصيل، وفي كل صحيفة من كتاب الشيخ المذكور شعّت لُمَعُ أنوار قلبه الحر بما مُلأ من الحب الخالص للنبي والوصي وآلهما (صلى الله عليهم).

ومما نجتبيه من ذلك: القرينة السادسة من القرائن المشار إليها على لفظ "المولى" فدونكها حرفياً:

قال (أعزه الله) :

---

١) الغدير: ج ١ ص ٣٧٥.

القرينة السادسة: قوله ﷺ بعد بيان الولاية لعلي عليه السلام: «**هنئوني هنئوني، إن الله تعالى خصّني بالنبوة وخص آل بيتي بالإمامة**» ـ كما مر ـ.

فصريح العبارة هو الإمامة المخصوصة بأهل بيته الذين سيدهم والمقدم فيهم هو أمير المؤمنين عليه السلام، وكان هو المراد في الوقت الحاضر.

ثم [إن] نفس التهنئه والبيعة والمصافقة والاحتفال بها واتصالها ثلاثة أيام ـ كما مرت ـ هذه كلها لا تلائم غير معنى الخلافة والولاية، ولذلك ترى الشيخين أبا بكر وعمر لقيا أمير المؤمنين عليه السلام فهنّئاه بالولاية، وفيها بيان بمعنى المولى الذي تحلى به عليه السلام، فلا يكون المتحلي به إلا أولى الناس منهم بأنفسهم(١)، انتهى.

ولعمري إنه الصادق فيما يقول، والثبت الأمين فيما يروي، وكتابه المذكور برهان واضح على ما نقول، فراجع(٢) ترى الكلم الطيب، وقد أخرج في خصوص تهنئة الشيخين علياً أمير المؤمنين عليه السلام من ستين مصدراً لأعلام أهل السنة، منهم: الإمام أحمد بن حنبل، والمرزباني، وابن عقدة الكوفي.

فيا أيها المسلم الكريم، إن شككت في صحة ما قلناه عن كتاب هذا الشيخ العظيم فسرّح فيه طرف بصيرتك بنظرة إنصافٍ كي ترى أشعة أنوار الحق قد قشعت حالِكَ ظلم الباطل، فلم تبق لمتشبث به حجة بل ولا شبهة،

---

١) ن، م، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦.

٢) ن، م، ج ١ ص ٣٧٠ إلى ص ٣٨٢.

فإنه (أعزه الله) ما اعتمد في حججه الدامغة لأباطيل الجاحدين من النصوص النبوية على الولاية العامة لأمير المؤمنين وأولاده المعصومين إلاّ على ما هو مسلّم عند الجُلّ الكثير من علماء المسلمين، كما أشرنا إليه آنفاً.

ومما لم نومئ إليه: ما ذكره من نزول آية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ حول آية الولاية، نقلها عن ثلاثين مصدراً من مصادر أعلام أهل السنة، أولهم الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ في كتاب (الولاية) ، وإني لأحب جداً تحرير هذه الرواية، ففيها ألف بُغية عالية وغالية سامية، وستعرف الإشارة إلى مَرامنا الموصل إلى سعادتنا بإصابة هدفنا، فإليك نصّه عن زيد بن أرقم قال:

لما نزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع ـ وكان في وقت الضحى وحر شديد ـ أمر بالدوحات فقُممن، ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمعنا، فخطب خطبة بليغة ثم قال: **«إن الله تعالى أنزل إليّ: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وقد أمرني جبرئيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد وأعْلِمَ كل أبيض وأسود أن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام بعدي، فسألت جبرئيل أن يستعفي لي من ربي؛ لعلمي بقلّة المتّقين وكثرة المؤذين لي واللائمين لكثرة ملازمتي وشدة إقبالي عليه، حتى سمّوني أذنا فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولوشئت أن أسمّيهم لسميت، وأدل عليهم لفعلت، ولكني بسترهم قد تكرمت، فلم يرض الله إلا بتبليغي فيه. فاعلموا معاشر الناس ذلك، فإن الله تعالى قد**

نصّبه لكم ولياً وإماماً، وفرض طاعته على كل أحد، ماضٍ حكمه جايز قوله، ملعون من خالفه، مرحوم من صدّقه، فاسمعوا له وأطيعوا، فإني مولاكم وعلي إمامكم، الإمامة في وُلدي من صلبه إلى القائم، لا حلال إلاّ ما أحلّه الله ورسوله، ولا حرام إلاّ ما حرّم الله ورسوله وهم، فما من علم إلاّ وقد أحصاه الله فيّ ونقلته إليه»[١]، انتهى.

وأقول: إن هذه الكلمة النبوية القيّمة هي غايتنا المطلوبة وضالتنا المنشودة، فإنها برهان واضح قد أشرقت بنوره بصائر المؤمنين وأرمضت به بصائر المعادين، وإن في هذه الكلمة لحجة قائمة على ما أبتغيه مما حررته آنفاً وأقمت الأدلة عليه وهو إثبات كون علم أمير المؤمنين عليه السلام ليس بالتكسب، بل لدنّي بالفيض الإالهي... فالكلمة النبوية طبق الكلمة الإلهية ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ فهو الإمام المبين كما صرّح به النبي الكريم برواية ابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام، عن أبيه علي زين العابدين عليه السلام، عن جده الحسين عليه السلام، عن [جده] الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، كما في (الينابيع)[٢]، وهذا المعنى ـ أي أعلمية الأمير عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مطلقاً ـ لم يزَل صلى الله عليه وآله وسلم يكرره في مقامات كثيرة ويرتب على ذلك آثاره حسب مقتضيات الظروف والأحوال، ومنه: الخطبة الكريمة المذكورة فيها الكلمة المشار إليها، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«فلا تضلوا عنه ولا تستنكفوا منه فهو الذي يهدي**

---

١) ن، م، ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

٢) ينابيع المودة: ج ١ ص ٢٣٠ ب ١٤.

إلى الحق ويعمل به، لن يتوب الله على أحد أنكره ولن يغفر له، حتماً على الله أن يفعل ذلك أن يعذبه عذاباً نكراً أبد الأبدين»[1]، انتهى.

فيا من انتحل الإسلام ولم يقر بإمامه هذا الإمام، تدبر هذا التهديد النبوي المنبئ عن شدة رأفته بأمته حيث لم يألُ جهداً في حملهم على الهداية إلى الصراط المستقيم، فكل ذي قلب سليم إذا نظر ببصيرة إنصافه عرف أن إمامه علي وولده المعصومين من أصول الدين كما أشرنا إليه آنفاً، وإلا كيف يستحق منكر ذلك عذاب الأبد؟ وهل هذا إلاّ على حدَ الشرك بالله؟ ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾ وهذا واضح لمن سلم بكمال واجب الوجود، إذ لا بدَ من وجوب لطفه لخلقه، فلطفه مستلزم وجوب النبوة والإمامة والمعاد، والمنكر لأحدهما منكر لكمال ربه، فليتدبر.

ومن ثمَ لم يكتف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بحثّ الأمة على اتّباع الأمير وولده المعصومين عليهم السلام وحتم طاعتهم والوعيد على مخالفتهم، بل عقّب ذلك بالبراءة من أعدائهم وغاصبي مقامهم فقال صلى الله عليه وآله وسلم في آخر الخطبة:

«معاشر الناس! سيكون من بعدي ﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ﴾ وإن الله وأنا بريئان منهم، إنهم وأنصارهم وأتباعهم ﴿فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وسيجعلونها مُلكاً واغتصاباً... الخطبة»[1].

فراجعها ترى فيها سرور أفئدة المؤمنين، ولعمري إنها لنور البصائر. ولقد سررت بها سروراً عظيماً، ورَفعتَ ما كان من التشكيكات عند البعض

---

١) الغدير: ج ١ ص ٢١٥.

في سند الخطبة النبوية الواردة عندنا معشر الشيعة المروية عن الإمام الباقر عليه السلام في كتاب (روضة الواعظين)[١] للشيخ الجليل محمد بن الفتال النيسابوري، وفي كتاب (الاحتجاج)[٢] للشيخ الطبرسي، وكتاب (التهاب نيران الأحزان) في وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للشيخ يوسف القطيفي[٣]، وأن

---

١) روضة الواعظين: ص ٨٩ ـ ٩٦.

٢) الاحتجاج: ج ١ ص ٦٦ ـ ٣٨.

٣) الشيخ يوسف بن حسن بن أبيّ الرشالي القديحي القطيفي، قال ابن أبي جمهور الأحسائي في بعض إجازاته: "العلاّمة الأعظم، البحر الأطم، صاحب العلوم والمعارف، والعلوم الفائضة عند كل طالب وهاتف. تلمّذ على رضي الدين الحسين بن راشد القطيفي".

وممن أخذ عنه: الفقيه مفلح بن الحسن الصيمري (حدود ٨٨٠) . وصنّف كتاباً في وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم سمّاه: (التهاب نيران الأحزان ومثير الاكتئاب والأشجان في وفاة سيد ولد عدنان المبعوث على الانس و الجان رسول الملك المنان، وما أوصى به في حق أهل بيته أمناء الرحمن، وما جرى بعد وفاته من الاختلاف والخذلان). ولم نظفر بتاريخ وفاته. انظر: أنوار البدرين: ص ٢٨١، الذريعة: ج ٢ ص ٢٨٧ رقم ١١٦٤.

وذكر المجلسي كتابه هذا في خاتمة (بحار الأنوار) وأن مؤلفه (قرأ القصص والأخبار والسير والآثار فما وقف على خبر يتضمن وفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على التمام، وما أكده في النص على أهل بيته في وصايته، وما جرى له من الصحابة من التشاجر والاختلاف بعد وفاته، بل وجدها في كتب متعددة فأحب أن يجمعها).

ونقل عنه الفيض الكاشاني ملخصاً في عدة فصول في بحث الإمامة من كتابه (علم اليقين) وفي أواخر كتاب (المحجة البيضاء).

يرى صاحب (أنوار البدرين) أنّه من قرية (رشا) لا من (القديح) وقبره في مقبرتها، معروف عند أهل تلك القرية، وأنه زاره مراراً. وسماها في (طبقات أعلام الشيعة: رشالا).

المذكورة هنا نبذة من تلك[1]، وتلك تزيد على هذه في كتاب (التهاب النيران) أضعافاً عديدة فهي تناهز ستة عشر صفحة تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً

---

١) وكتاب (ضياء المنصفين) للسيد الجليل المعاصر السيد محمد علي الموسوي، وهي مروية في كتاب (لواء الحمد) المؤلَف في الغدير، ومؤلفه الميرزا محمد شريف الحائري الأزدي من علماء القرن الحادي عشر، وقد رواه عن الحافظ ابن مردويه، ورواها السيد الجليل ابن طاووس عن صاحب كتاب (النشر والطي) أحد علماء السنة، وقد أورد رحمه الله في كتابه (اليقين باختصاص مولانا علي عليه السلام بإمرة المؤمنين) أن من رواها محمد الطبري المعروف بالخليلي، قال السيد المذكور في الكتاب المشار إليه [ص ١٠٩ و٣٤٣] ما نصه: الباب السابع والعشرون بعد المائة: فيما نذكره من هذا أحمد بن محمد الطبري المعروف بالخليلي من روايته للكتاب الذي أشرنا إليه في حديث يوم الغدير وتسمية مولانا علي عليه السلام فيه مراراً بلفظ أمير المؤمنين برواية رجالهم الذين ينقلونهم من حرامهم وحلالهم والدرك [الاستدراك] فيما نذكره عليهم، وفيه ذكر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وتعظيم دولته. وهذا لفظ الحديث المشار إليه: "خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : حدثنا أحمد بن محمد الطبري قال: أخبرني محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن، قال: حدثني الحسن بن علي أبو محمد الدينوري، قال: حدثنا محمد بن الهمداني، قال: حدثنا محمد بن خالد الطيالسي، قال: حدثنا سيف بن عميرة، عن عقبة بن قيس بن سمعان، عن علقمة بن محمد الحضرمي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: «**حج رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم...»". وساق الحديث، وفيه أمر الله تعالى رسوله بحجه، وتعليمه الناس المناسك بالقول والفعل.

ولما فيه من نكته شريفه يتأكد عندي رجحان تحريرها، فإليكها حرفياً [من ص ٣٤٣ ـ ٣٤٥]:

«فلما وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالموقف أتاه جبرائيل عن أمر الله (عز وجل) فقال: يا محمد، إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنه قد دنى أجلك ومدتك، وإني استقدمك على ما لابد منه ولا عنه محيص، اعهد عهدك وتقدم في وصيتك، واعهد إلى ما عندك من العلم

بالخط بالقلم، وفي الطبعه تقارب ثمان أو عشر صفحات، وهي عظيمة المعاني جزيلة الألفاظ الفصيحة، قد جاوزت حد البلاغة من حسن البيان وبداعة التركيب، وفيها من توحيد الله وتمجيده وتقديسه ما لا يحيط بكل معانيه إلا المعصوم، فمن يدرسها بتدبر يعرف ما فيها من الإرشاد إلى الحقائق الحقة والإشعار بملازمة بعضها لبعض، ومنها: إمامة أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام فقد كرر فيها القول بفنون التعبير، وحث على التمسك بالثقلين ـ الكتاب والعترة ـ بضروب التأكيد، وملأ الأسماع من أنوار

وميراث علوم الأنبياء من قبلك، والسلاح والتابوت، وجميع ما عندك من آيات الأنبياء، فسلّمه إلى وصيك وخليفتك من بعدك، حجتي البالغة على خلقي علي بن أبي طالب، فأقمه للناس، وجدد عهدك وميثاقك وبيعته، وذكّرهم ما في الذر من بيعتي وميثاقي الذي أوثقتهم به، وعهدي الذي عهدت إليهم من الولاية لمولاهم ومولى كل مؤمن ومؤمنة علي بن أبي طالب، فإني لم أقبض نبياً إلا بعد إكمال ديني وتمام نعمتي بولاية أوليائي ومعاداة أعدائي، وذلك كمال توحيدي وتمام نعمتي على خلقي باتباع وليي، وطاعته طاعتي، وذلك أني لا أترك أرضي بغير قيّم ليكون حجة لي على خلقي، فـ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ بوليي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، علي عبدي ووصي نبيي والخليفة من بعده، وحجتي البالغة على خلقي، مقرون طاعته بطاعة محمد نبيي، ومقرون طاعته مع طاعة محمد بطاعتي، من أطاعه أطاعني ومن عصاه عصاني، جعلته علَمَاً بيني وبين خلقي، من عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً ومن أشرك معه كان مشركاً، من لقيني بولايته دخل الجنة ومن لقيني بعداوته دخل النار، فأقم ـ يا محمد ـ علياً وخذ عليه البيعة، وجدد عهدي وميثاقي لهم الذي أوثقتهم عليه، فإني قابضك إلي ومستقدمك... الخ، وفيه ذكر خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلها. (منه رحمه الله).

الإنذار والتبشير، فبشر الأولياء وأثنى عليهم بآي من الكتاب العزيز، وأنذر الأعداء بالمذمة بالعذاب الأبدي والتهديد بالوعيد، فكم فيها من الوعظ والحث على التقوى وبيان جملة من الأحكام في الحج والصلاة والزكاة، وأن حلاله ﷺ حلال وحرامه حرام إلى يوم القيامة، وإيكال باقي البيان إلى الأمير وولده الطاهرين عليهم السلام.

ومن تبصّر فيها جزم بدلالة متنها على صدورها عمن هو أفصح مَن نطق بالضاد ﷺ، وإليك أولها نوراً لبصيرتك: قال ﷺ: «**الحمد لله الذي علا بتوحيده، ودنا في تفرده، وجلّ في سلطانه، وعظم في أركانه، وأحاط بكل شيء علماً وهو في مكانه... الخ**».

وإن موضع كتابنا لا يسع تحرير الخطبة كلها إلا أن نفسي تتشوق جداً لما فيها من الصفات الجليلة في التقديس والتمجيد التي لا يتحقق بيانها على مراده (جلّ وعلا) إلاّ من حبيبه وآله (صلى الله عليهم أجمعين)، فلا أجدني إلا أن أصطفي بعضاً من كلمه الطيب؛ ابتغاءً للشرف والسعادة، فمن ذلك قوله ﷺ: «**وهو الله الذي لا إله إلا هو المتقن الصنع الحسن الصنعة، العدل الذي لا يجور، الأكرم الذي ترجع إليه الأمور، أشهد إنه الله الذي تواضع كل شيء لعظمته، وذل كل شيء لعزته، واستلم كل شيء لقدرته، وخضع كل شيء لهيبته، ملك الأملاك، ومسخر الشمس والقمر في الأفلاك، كل يجرى لأجل مسمى. ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ ، ﴿يَطْلُبُهُ**

حَثِيثاً﴾ قاصم كل جبار عنيد، و[مهلك][١] كل شيطان مريد، لم يكن له ضد ولا معه ند، أحد صمد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ إلهاً واحداً وربّاً ماجداً، يشاء فيمضي، ويريد فيقضي، ويعلم فيحصي، ويميت ويحيي، ويفقر ويغني ويضحك ويبكي، ويدبر فيقضي، ويمنع ويعطي، ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ بيده الخير، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾...». وأخذ ﷺ في وصف ربه وتحميده وتمجيده بما هو أهله حتى قال ﷺ: **«فاسمعوا وأطيعوا لأمره وبادروا إلى مرضاته وسلّموا لما قضاه»**.

وأقول: ينبغي للمؤمن الفطن أن يتدبر هذه الكلمة فبها يعرف أن التسليم لقضاء الله وقدره من أركان الإيمان.

فلما انتهى ﷺ من توحيد ربه والحث على طلب مرضاته، أخذ يعلّم الناس بما حتم عليه من تبليغهم النص على أمير المؤمنين إلى أن قال ﷺ: **«إن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام من بعدي الذي محله مني محل هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي، وليكم بعد الله ورسوله...»**[٢].

فالتفتْ أيها القارئ الكريم بُغيتنا من تحرير هذه الكلمة وما فيها من زيادة على ما نقلناه آنفاً عن الثقه الأميني عن الطبري؛ لئلا تبادر بالنقد فإن "حديث المنزلة" و"حديث الولاية" وإن كنا أشرنا إليه فيما سبق فيما نقلناه عن (المراجعات)، لكن الحديثين من الغايات العالية المقصودة لكل مؤمن،

---

١) هذه اللفظة من كتاب (التهاب نيران الأحزان). (منه رحمه الله).

٢) روضة الواعظين: ص ٩١ ـ ٩٢.

فيا حبذا تكرير ذكرها باختلاف طرقها؛ تقوية لبصائر المؤمنين، وسروراً لضمائرهم، وكبْتاً لقلوب المعاندين.

و"حديث المنزلة" ذكره ﷺ في أربعة مواطن من طرق السنة كما أسلفناه، وهذا خامسها من طريق العترة أئمتنا المعصومين. وكل جملة من هذه الخطبة حياة للقلوب، فمنها: قوله ﷺ : **«ما من علم إلا وقد أحصاه الله فيّ، وكل علم علمت[1]، فقد أحصيته في إمام المتقين»**.

وقد حررت هذا هنا لما فيه من الفائدة، فهي مؤيدة لما أسلفناه من كون مولانا أمير المؤمنين عليه السلام هو الإمام المبين.

ومما نبتغيه من هذه الخطبة الكريمة[2]: قوله ﷺ في حق أميرنا علي عليه السلام: **«أنه إمام من الله، ولن يتوب الله على أحد أنكر ولايته، ولن يغفر الله له، حتماً على الله أن يفعل ذلك بمن خالف أمره فيه، وأن يعذبه عذاباً نكراً أبد الآبدين ودهر الداهرين»**.

ومنها: قوله ﷺ : **«النور من الله (عزّ وجل) فيَّ ثم مسلوك في علي، ثم في النسل منه إلى القائم المهدي»**[1].

---

١) "علمنيه"، كذا في كتاب (التهاب نيران الأحزان). (منه رحمه الله).

٢) مؤدى ذلك قد تقدم فيما نقلناه عن كتاب (الغدير) لكنا نقلنا ذلك من (الروضة) لما فيه من الزيادة؛ حيث إن في السابق سقطت منه ألفاظٌ ... فلاحظ. (منه رحمه الله).

١) هذه النبذة موافقة لما في كتاب (الاحتجاج) وهي موجودة في كتاب (الغدير) وكتاب (التهاب النيران) غير أن كلمة "مسلوك" ساقطة فيهما. (منه رحمه الله).

ومنها: قوله ﷺ: «إني نبيٌ وعليٌ وصيٌ، ألا إن خاتم الأئمة منا القائم المهدي،ألا إنه الظاهر على الدين، ألا إنه المنتقم من الظالمين، ألا إنه فاتح الحصون وهادمها، ألا إنه فاتح كل قبيلة من الشرك، ألا إنه مدرك بكل ثار لأولياء الله (عز وجل)، ألا إنه الناصر لدين الله، ألا إنه الغرّاف من بحر عميق، ألا إنه يسم كل ذي فضل بفضله، وكل ذي جهل بجهله، ألا إنه خيرة الله ومختاره، ألا إنه وارث كل علم والمحيط بكل فهم، ألا إنه المخبر عنه ربه تعالى والمشبه لأمر إيمانه، ألا إنه الرشيد، ألا إنه المفوض إليه، ألا إنه الباقي حجة ولا حجة بعده، ولا حق معه إلا معه، ولا نور إلا عنده، ألا إنه لا غالب له ولا منصور عليه، ألا إنه ولى الله في أرضه، وحكمه في خلقه وأمينه في سره وعلانيته[1]» ، انتهى مرادنا من الخطبة من (الروضة)[1].

---

١) هو الإمام المنتظر أبو القاسم محمد المهدي، (عجل الله فرجه، وجعلنا الله من أنصاره)، وهو متصل بأمير المؤمنين عليه السلام أيضاً من الحسن الزكي عليه السلام من جهه أم الباقر عليه السلام فإنها بنت الحسن. فهم أبناء محمد المصطفى وأبوهم علي المرتضى وأمهم فاطمة الزهراء. فمن شك أو جادل في ذلك فخصمة النبي الكريم والقرآن العظيم، وفي القرآن إشارة كافية، وليس هذا المقام يسع للبيان، وقد أوضحناه في كتاب (النظرات الحسينية) وإنما توخّيناه هنا بسبب ذكرهم، تعبداً وتيمناً، وقد من الله علينا به بسبب إشارتنا للإمام القائم؛ والغرض منه التعلق بخدمته عجل الله تعالى فرجه الشريف فخدمته خدمة الله، وقد وفّينا الكلام على إثبات وجوده عليه السلام ، وفي غير موضع في كتابنا (النظرة النفسية) وكتابنا (النظرات)، وذكرنا أنا أحصينا في ذلك مائتين وتسعة عشر من طرق الفريقين، وأشرنا إلى وفاق جملة من علماء الجمهور لنا على أنه المهدي ابن الحسن العسكري المذكور (عجل الله فرجه وسهل مخرجة). (منه رحمه الله).

١) روضة الواعظين: ص ٩٣ ـ ٩٥.

هذا وإني لمعجب بهذه الخطبة الشريفة غاية الإعجاب، فهي عندي من أفضل متاع الدين، إذ فيها سقي مـــا نبت في قلوب المؤمنين من وُدّ سيد المرسلين وآله الطاهرين (صلى الله عليهم أجمعين)، فهي أضوأ نور في الصراط المستقيم الموصل إلى الحق المبين، ومن ثم كنت متعجباً غاية العجب من غفلة علماء المسلمين، حيث لم يذكروها في سيرهم وتواريخهم، وقد كنت أبحث عن ذلك وأسأل كثيراً من المتتبعين ولم يفدني أحـد بشيء في ذلك عنهم، مع أن فيهم الكثير من كبار الباحثين المنصفين، كيف وقد جاء "حديث الغدير" عنهم من طرق كثيرة كما أشرنا إليه فيما نقلناه عن الثقة الأميني الأمين، وكم تكرم على نفسه وعلى المؤمنين في بحثه وتنقيحه مما أبرزه من الدلائل الواضحة على الإمامة من كتب الجمهور وقد كانت خفيّة على الكثير من الناس، فمن ذلك: النبذة الجليلة من الخطبة الشريفة التي استخرجها من كتاب (الولاية) للطبري التي قدمناها، فتأمل فيما حررناه منها آنفاً، فبها زال تعجبي من اختصاصنا بتلك الخطبة المباركة الطويلة حيث استشعرنا بما نقله الحافظ المذكور منها، أن ما أهمل من باقيها ما هو إلا من تلاعب الأهواء والعصبيات الناشئة من التقاليد الصرفـــة، وظن الخير بالسلف الصالح.

ولا نقول شيئاً إلا أنه يلزم حمــل المسلم الصالح على الخير والصحة، غير أنه ليس يخفى على المسلمين تلاعب الأمويين بالدين، وما بثه سيدهم مــعاوية من الدعايات الباطلة التي بذل في سبيلها الأموال الطائلة وشحذ

في تأييدها السيوف الصاقلة، فمنع كل روايـة فيها فضيلة لأهل البيت الطاهرين، ونسج على منواله ذوو الملك العضوض من السلاطين الجائرين، حتى تستر أهل الصلاح بصلاحهم وكتموا فضل العترة خوفاً على أنفسهم، وتزلّفت أعداؤهم لملوك الجور بافتعال فضائل أضدادهم، فمن أكبر آيات الله: ما يبلغنا من فضائل أمير المؤمنين وأولاده المعصومين، فكلما أوقدوا ورائهم ناراً في حط قدرهم عليهم السلام أطفائها الله، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2]، وإلا كيف يُعقل ورود الروايات المتواترة في النص على الإمامة!! فمن ينوف عددهم على المئات ـ كما عرفت آنفاً ـ مع أنهم لا يرون أمير المؤمنين علياً إلا خليفة رابعاً بالإجماع، ويرون صحة خلافة معاوية بذلك أيضاً، لكنهم يروون تلك الروايات الكثيرة في النص على علي عليه السلام كما أنهم يروون أضعافها في فضله عليه السلام في العلم والحلم والزهد والتقوى والشجاعة، وأن الدين لم يقم إلا به، وهو السابق باعترافهم في كل خير وفضيلة مع أنهم لا يرتّبون على شيء من لوازمها أثراً، فأكثرهم يفضلون غيره عليه، وبعضهم يفضله على غيره مع التزامه بتأخيره في الخلافة، ومحاربوه وسابّوه عند بعضهم متأوّلون مأجورون كما أسلفناه فيما

---

١) سورة التوبة، الآية ٤٠.

٢) سورة المجادلة، الآية ٢٠ ـ ٢١.

نقلناه عن ابن حجر في حق معاوية، بل قال بعضهم: إن ابن ملجم مأجور في قتله علياً؛ لكونه متأولاً، كما نقله الشيخ الأميني عن ابن حزم[١].

فيا لله وللمسلمين، حتى صح الاجتهاد والتأول في قبال نص الله ورسوله، لكن أمر الله لا يُغالَب، فقد قيّض تعالى لدينه ـ الذي ارتضاه ـ أنصاراً ممن يراه وممن لا يراه، فعليك بكتاب (القرآن ومحمد) للشيخ كاظم نوح، و(المعجزه الخالدة) للسيد الشهرستاني، و(الدعوة الإسلامية) للحجه كاشف الغطاء، ترى فيها ما يسرك من شهادة الأغيار في حق النبي المختار ﷺ وفي كتابه المجيد ووصيه أمير المؤمنين وولده الطاهرين عليهم السلام، وقد قدّمنا من ذلك نبذة وافرة في الجزء الأول.

وهل ذلك إلا لإتمام حجة الله على جاحد نبيه وحبيبه وكتابه وآله أوليـــاء الله، فمن يعترف بحقهم عليهم السلام ويشهد بفضلهم ولا يتدين بدينهم فحجة الله عليه قائمة ويقيّض الله لهم من يلزمهم بما ألزموا به أنفسهم، فإن المتدينين بدين النبي ﷺ وآله عليهم السلام ينتفعون بشهاداتهم ويخاصمونهم بها، وكذلك من اعترف بالنصوص الجلية على أئمتنا عليٌ وولده المعصومين عليهم السلام وأورد الروايات الكثيرة وهو لا يدين بدينهم فيقدم عليهم غيرهم ولا يلتزم إلاّ بودّهم حسب ما يدّعيه مع موالاته أعداءهم الأمويين والعباسيين ومن أبادوهم سلباً وقتلاً ومُثلةً، فهو ملزوم بما ألزم به نفسه.

---

١) الغدير: ج ١ ص ٣٣٤.

وقد خصم الله حجته بما أقام له من الحجج من العلماء الباحثين والمحققين كالسيد شرف الدين والحجة كاشف الغطاء والعلامة والمفيد وأضرابهم من المتقدمين والمتأخرين، ومنهم: شيخنا الثبت الأمين الأميني الآنف الذكر، فكم له من حقائق ناصعة أبرزها بأجلى مظاهرها، وألزم المعترفين بها بلوازمها، ففوائده لا زالت تترشح على الشيعة من بحور علومه، وقد حررنا لك نُبَذاً جليلة قد قطع فيها شُبَه المجادلين، فلا تنس ما نقلناه عنه من النصوص حول الولاية والآيات.

ومما لم نحرره من الآيات النازلة حول الولاية قولة تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ وقد نقلها عن ثلاثين مصدراً من أعلام الجمهور بتعيين مصادرهم، وسِني وفياتهم، والإشارة إلى تراجمهم، ومؤدى أحاديثهم واحد وإن تفاوتت ألفاظهم، ومنها: اختلافها في اسم السائل، ففي بعضها جابر وفي آخر حارث وفي غيره النعمان، فراجع[١].

ولنجتبي شيئاً من ذلك تشرفاً وتعبداً، فإليك أولها حرفياً: الحافظ أبو عُبيد الهروي المتوفى بمكة سنه ٢٢٣ هـ: روى في تفسيره (غريب القرآن) قال: لما بلغ رسول الله ﷺ غدير خم ما بلغ، وشاع ذلك في البلاد أتى جابر ابن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري فقال: يا محمد، امرتنا من الله أن نشهد أن لا إله الله وأنك رسول الله، وبالصلاة والصوم والحج والزكاة، فقبلنا منك، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت:

---

١) ن، م، ص ٢٣٩ ـ ٣٠٣.

«من كنت مولاه فعلي مولاه» فهذا فهذا شيء منك أم من الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي لا إله هو إن هذا من الله» فولّى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائْتنا بعذاب أليم. فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ... الآية﴾.

الثاني: أبو بكر النقّاش، والمضمون واحد، غير أن اسم الرجل الحارث ابن النعمان.

الثالث: الثعلبي كذلك.

الرابع: الحاكم الحسكاني، وسنده منتهٍ إلى طريقين: الأول إلى حذيفة ابن اليمان، والثاني إلى ابن عيينة عن جعفر الصادق عن آبائه عليهم السلام ... الخ.

وآخرهم: الشيخ محمد عبدة المصري المتوفى ١٣٢٣ هـ [١].

ثم عقّب الشيخ الأميني ذلك بمناظرة مع ابن تيمية، قال (أعزه الله) في أولها ما نصه: قد عرفت مصافقة التفسير والخبر في سبب نزول الآية الكريمة، ومطابقة النصوص والأسانيد في إثبات الحديث والإخبات إليه، وقد أفرغته الشعراء في بوتقة النظم منذ عهد متقادم...

ثم ذكر بعضهم، وذكر شعرهم، وبعد ذلك ذكر شُبه ابن تيمية وأجاب عنها بالجواب الحاسم الدافع لكل إشكال، وهي إشكالاتٌ ليست جديرة بالذكر... فأقواها رابعها، وقد انقطعت جرثومته، فإليكه ومايدفعه:

---

١) ن، م، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٦.

الوجه الرابع: أنها نزلت بسبب ما قاله المشركون بمكة ولم ينزل عليهم العذاب هناك لوجود النبي ﷺ بينهم لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

الجواب: لا ملازمة بين عدم نزول العذاب في مكة على المشركين وبين عدم نزوله ههنا على الرجل، فإن أفعال المولى سبحانه تختلف باختلاف وجوه الحكمة، فكان في سابق علمه إسلام جماعة من أولئك بعد حين أو وجود مسلمين في أصلابهم، فلو أبادهم بالعذاب النازل لأهملت الغاية المتوخاة من بعث الرسول ﷺ ، ولمّا لم ير سبحانه ذلك الوجه في هذا المنتكس على عقبه عن دين الهدى بقِيله ذلك، ولم يكن ليولد مؤمناً كما عرف ذلك نوحٌ من قومه، فقال: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾، قطع جرثومة فساده بما تمنّاه من العذاب الواقع...الخ[١].

وليس مرادنا منه إلاّ قطع الشبهة، وقد حصل، وهذه الآيه الكريمة هي القرينة التاسعة عشرة من القرائن العشرين التي عدّها (أعزه الله) لتعيين معنى الأولى من المولى، وقد قدمنا منها ثلاث قرائن[٢].

ومنها ينبغي جداً ذكر ما أشار إليه (أدام الله مجده) مزيداً للخير.

قال: القرينة التاسعة عشر: حديث إنكار الحارث الفهري معنى قول النبي ﷺ في حديث الغدير... تأكد عدم التِئامه مع غير "الأولى" من معاني

---

١) ن، م، ص ٢٥٨.

٢) انظر: ص ٩٨ و ١٠٠ و ١٠١.

المولى[١].

وإليك ما قاله (حفظة الله) فإنه (دامت بركاته) قد تكلم في معاني المولى وذكر معنى الناصر والمحب والأولى، وأفاد أن الحضور في ذلك الجمع فهموا معنى الأولى بلا إشكال، فهنئوا النبي ﷺ وبايعوه على ذلك، ثم ذكر منهم من كفر بذلك، فقال: ومن أولئك الحارث بن النعمان الفهري أو جابر المنتقم منه بعاجل العقوبة يوم جاء رسول الله ﷺ وهو يقول: يا محمد أمرتنا بالشهادتين والصلاة والزكاة والحج، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت: «من كنت مولاه فعلي مولاه»... فهل المعنى الملازم للتفضيل الذي استعظمه هذا الكافر الحاسد وطفق يُشكك أنه من الله أم أنه محاباة من الرسول ﷺ يمكن أن يراد به ذينك المعنيين أو غيرهما؟

أحسبُ أن ضميرك الحر لا يستبيح لك ذلك ويقول لك بكل صراحة: إنه هو تلك الولاية المطلقة التي لم يؤمن بها طواغيت قريش في رسول الله ﷺ إلا بعد قهر آيـــات باهرة وبراهين دامغة وحروب طاحنة، حتى ﴿جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾، فكانت هي في أمير المؤمنين أثقل عليهم وأعظم، وقد جاهر بما أضمره غير الحارث ابن النعمان، فأخذه الله ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾[١].

---

١) الغدير: ج ١ ص ٣٨٢.

١) ن، م، ص ٣٤٣.

وبعد تلك البراهين الواضحة والدلائل المسوقة لتعين معنى "الأولى" من معاني المولى، فأي تشكيك في ذلك المعنى الجلي الذي حاز به علي عليه السلام المساواة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في الفضل ما سوى النبوة، فقد استثناها صلى الله عليه وآله وسلم في "حديث المنزلة".

ولا تستكثر استنباطنا المساواة من ثبوت معنى الأولى له عليه السلام فمساواته بها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واضحة لدى أولي الألباب، وليست مما تفرّدنا به، بل شركنا في هذا بعض المنصفين من أهل السنة كما نقلناه فيما تقدم عن كمال الدين(١)، فإنه قرر استنتاج سر عموم معنى الأولى من سر آية المباهلة، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾ فراجع ترى بسطاً جليلاً.

و"آية المباهلة" فيها كفاية وفوق الكفاية لمرامنا من قضية المساواة...

فلا تنسَ كلامنا عليه هناك، فعمومه المتحقق قاض بمساواته عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما عدا النبوة. وليس تقدير معنى العموم من مختصاتنا، فقد أقره غير واحد من أهل السنة، وممن أشار إليه بالإقرار بالاعتراف بلازمه: ابن أبي الحديد في شرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام في تنزيهه عليه السلام نفسه عن قتل عثمان وملامة من يتهمه.

فلنتشرف بكلمة من ذلك كي تتم الفائدة من المشاهد في [الشرح]، قال عليه السلام: «**أولم ينه بني أميّة علمها بي عن قرفي؟ أوَما وزَعَ الجُهّال سابقتي عن تهمتي؟**».

---

١) انظر: صفحة ٨٥ ـ ٨٦ عن مطالب السؤول.

قال الشارح: القرف: العيب، قرفته بكذا أي عبته. ووزعَ: كفَّ وردع..

إلى أن قال: يقول عليه السلام: أما كان في علم بني أمية بحالي ما ينهاها عن قرفي بدم عثمان، وحاله التي أشار إليها، وذكر أن علمهم بها يقتضي أن لا يقرفوه بذلك، هي منزلته في الدين التي لا منزلة أعلى منها، وما نطق به الكتاب الصادق من طهارته وطهارة نبيه وزوجته عليهما السلام في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، وذلك يقتضي عصمته عن الذنب، كما أن هارون معصوم عن مثل ذلك... الخ[1]. فتدبره فإن فيه بُغيتنا، ويا له من إقرار جليل تسترُّ به أفئدتنا معشر الشيعة، أوليس لازمه صحة مذهبنا إذ لم نقدّم عليه أحداً... والعقل قاضٍ بإلزام كل عاقل بلوازم إقراره.

ثم إن القول بعصمته عليه السلام لم يختص به ابن أبي الحديد فقط، بل نُقل ذلك عن محمد بن مَتُوَيْه[2] أحد علماء السنة، وقد ذكرناه في كتابنا (النظرة النفسية) وذكرنا فيه أيضاً عن محيي الدين القول بعصمة القائم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وفيه أيضاً عن حجة الإسلام الغزالي القول بعصمة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ، فراجع ترى التفصيل[1].

---

١) شرح نهج البلاغة: ج ٦ ص ١٦٩.

٢) أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن الحسن بن متويه الأصبهاني، كان من الحفّاظ، مات سنة ١٣٢ هـ. سير أعلام النبلاء: ج ١٤ ص ١٢٣ ـ ١٢٣ برقم ٧٦.

١) النظرة النفسية: الشعاع الحادي والعشرون.

ثم إنك قد عرفت غرضنا من الاستشهاد باستنباط ابن أبي الحديد بالعصمة من النبوي اعترافه بعموم الحديث وإلا لا معنى لتخصيص عليّ عليه السلام من منازل هارون بعضاً دون بعض، فلم يجزم ابن أبي الحديد بها إلا لأنه فهم أن مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحديث شموله لجميع منازل هارون.

وممن وافق على هذا: كمال الدين الآنف الذكر، فإنه بعد أن بين منازل هارون بالتفصيل من الكتاب الحميد قال ما نصة: "فتلخيص منزلة هارون من موسى أنه كان أخاه ووزيره وعضده وشريكة في النبوة وخليفته على قومه عند سفره، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً منه بهذه المنزلة وأثبتها له إلا النبوة فإنه صلى الله عليه وآله وسلم استثناها في آخر الحديث بقوله: «إنه لا نبي بعدي» فبقي ما عدا النبوة المستثناة ثابت لعلي؛ كونه أخاه ووزيره وعضده وخليفته... ـ إلى أن قال ـ وهذه من المعارج الشراف ومدارج الأزلاف، فقد دل الحديث بمنطوقه ومفهومه على ثبوت هذه المزية العلية لعلي عليه السلام، وهو حديث متفق على صحته"[1]، انتهى.

ولا أظن أحداً يدافع ما ادّعاه.

وممن اعترف به من أمثاله من السنة المتأخرين: الشيخ سليم البشري المتقدم الذكر، مخاطباً شرف الدين بما نصه: كل ما ذكرتموه في ثبوت "حديث المنزلة" حق لا ريب فيه مطلقاً[1]. فتدبر هذه الكلمة.

---

١) مطالب السؤول: ص ١١٥ ـ ١١٦.

١) المراجعات: ص ٢٠٣، المراجعة ٢٩.

وقد أشار بها إلى ما حرره السيد في المراجعتين ٢٦ و٢٨ من البراهين النيّرة والحجج القاطعة ـ التي قرأها بتبصر وإنصاف ـ لا مناص له من الاعتراف بما اعترف به الشيخ سليم، لكنه غالطَ حرّية ضميره بالتشكيك في عموم الحديث بلسان غيره من الخصوم، فكلفَ سيدنا شرف الدين توضيح الواضحات، فلم يُبقِ رضي الله عنه ـ بدلائله القاطعة وآياته الساطعة ـ شبهةً من شبه المشككين إلا قلع جراثيمها، ولقد حاجَّ مناظِرهُ بما هو مسلّم عنده من محاورة أهل الضاد، ودفع تخصيص الوارد بالمسلّم عند العرف من عدم تخصيصه بتخصيص المورد، مع أنه ذكر أربعة موارد للحديث كما أشرنا إليه آنفاً، فبذلك قطع خطة النزاع على مناظِرهِ حتى اضطر إلى الإذعان واعترف بالحق فقال [في المراجعة ٣٥] مادحاً لسيدنا: "لله أبوك ما أوضح آياتك وأجلّها وما أفصح بيناتك وأدلّها.. الخ".

إن هذا الاعتراف ونحوه لمن مهمات غاياتنا المقصودة، إذ بهذا المعنى وأمثاله تثبت مساواة إمامنا لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم في كل فضيلة ما عدا النبوة، وبذلك يتضح مرامنا الذي أسلفناه من كون علم أمير المؤمنين إشراقياً لا كسبياً[1]. وقد عرفت أن فيما قدمناه من البراهين الواضحة والدلائل المبسوطة كفاية، ولو لم يكن من الدلائل إلا "آية المباهلة" لكفى، وإنما كررنا الإشارة إليها لأنها القول الفصل، فحجة المجادلين في ذلك داحضة...

---

١) في النظرتين الأولى والثانية.

والذي دعانا لهذا ما تقدم آنفاً من غلط الشيخ سليم، حين تجنب صراط فكره السليم، فقال: إن علياً وولده المعصومين من الممحصين لأحكام الدين[١]، أشار بذلك إلى أن علمهم عليهم السلام كغيرهم كسبي... ألم يأن للعقول الغافلة أن تنتبه بما اسلفناه من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما من علم إلا وقد أحصاه الله فيَّ... الخ**»[٢].

ومؤادة موافق لتفسيره صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾ يعني أمير المؤمنين، وقد تقدم في ذلك روايتان[٣]، وغرضنا من تكرار النبوي المذكور: الإشارة إلى ما فيه من الحصر، فغير خفي على أهل العربية من تحقق الحصر، فعليه لم يبق علم يتحقق للممكن الحادث إلا وقد أعطاه الله نبيه ثم وليّه ووصي نبيه (صلوات الله عليهما وآلهما) . ولا شك أن العلوم التي تتحقق للممكن تشمل العلوم الشرعية والكونية، وبذلك تعرف ما لأمير المؤمنين عليه السلام من القدر عند الله، وما امتاز به عليه السلام من المواهب الإلهية، ومصاديق ذلك ظاهرة في كل قضية، ولذا قال الثاني: "لا أبقاني الله لمعضلة لا يحضرها أبو الحسن"[١]. ولا أظن مسلماً ينازع في ذلك.

---

١) انظر: صفحة ٦٧ ـ ٦٨.

٢) انظر: صفحة ١٠٣ و ١١٠.

٣) انظر: صفحة ٣٣ ـ ٣٤.

١) "لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن". انظر: فضائل الصحابة (لابن حنبل) : ج ٢ ص ٦٤٧، ذخائر العقبى: ص ٨٢، المناقب (للخوارزمي): ٩٧، نظم درر السمطين: ١٣٢، فيض القدير (للمناوي): ج ٤ ص ٤٧، شرح نهج البلاغة: ج ١٢ ص ١٠١.

النظرة الخامسة

في الاستدلال على مساواته عليه السلام له صلى الله عليه وآله وسلم ما خلا النبوة والكلام عن علو علمه عليه السلام في كل فن

الحديث في الاستدلال على مساواته عليه السلام في الفضل لابن عمه صلى الله عليه وآله وسلم (بنهج البلاغة)، واعتراف العظماء بالعجز عن معرفة حقائقه فضلاً عن مباراته ومن ذلك: اعترافات الاعداء المسيحيين وغيرهم، وتقديرهم العجز عن فصاحته مثل معاويه والجاحظ، والكل يعترف ببراعته في كل علم بصريح النبوي المتقدم القاضي بإحاطته عليه السلام بجميع العلوم. فمن شك في تحقق النبوي المشار إليه في حقة عليه السلام فليدرس (نهج البلاغة) حق الدراسة، يرى في بعضه ـ فضلاً عن كلّه ـ ما فيه كفاية وزيادة، وقد أشرنا لذلك حيث ذكرنا قول بعضهم "إن كلامه عليه السلام تحت كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين"، فليراجَع وليتَدبَّر[1].

وإن براهين ذلك في ذلك النهج القويم لأكثر من أن تُحصى، وأنوارها لأوضح من أن تحتاج إلى أن تبصر لذوي البصائر الصحيحة، مستضيئة

---

١) انظر: ص ٨٢.

بأنوارها، سالكة بها في محجّات عرفانها، فقد شعث فيها شموس الكمال، فمنها بيـــانه عليه السلام في الحقائق الإلهية من التوحيد والصفات الكمالية من صفات الجمال والجلال، فأنوار تلك البراهين تجلب أهـل البصائر الصحيحة للحق، فهي شمس رشد مشرقة في سنن الإنسانية الكاملة، وعليهما السلام ان أشعتها لتشع بكل كمال إنساني وديني، وكل إنسان يراها بالبديهة، إلا من أرمضت عين بصيرته بداء الجهل المركب، ﴿أولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فنهج البلاغة هو الصراط المستقيم لدين الإسلام، دين الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه عليه السلام ، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ حياة للمتقين، دستور للسياسيين والمصلحين، منهاج للصالحين والروحانيين، محجة للحكماء الإلهيين، نبراس منير للأخلاقيين، منهل عذب للزاهدين، ولا تتوهم أني فيه من الغالين، ولم أبلغ بتعريضي هذا بعض مـا قاله غيرنا من المسلمين والمسيحيين، ولقد صرح بعضهم بأنه القرآن الثـاني، ومن شك في صحة قولهم فليدرسه بتدبر وإنصاف كي يعرف ما فيه من الحكمة الإلهية، ومن أجلّها: علم الكلام المتكفل بالصفات الربانية الجمالية والجلالية، إلى غير ذلك من العلوم الأخلاقية والنصائح والإرشادات والتعليمات في إصلاح المجتمع الإنساني، وهداية طالب السعادة للحياة السعيدة في الدارين.

فكم فيه من خطب بليغية في أعلى رتب البلاغة، بل قاربت حد الإعجاز، ولو لم تكن فيه إلا الخطبة الأولى لكفى، وهي مفتتحة بقوله عليه السلام

: «**الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادّون**»[١].

ومنها قوله عليه السلام : «**أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه... الخ**»[٢]، وهي طويلة، وفيها فصول متنوعة جليلة.

ومثل هذه الخطبة خطب متعددة، ومنها: القاصعة والأشباح والغراء.. إلى غير ذلك من الخطب الجليلة البالغ عددها مائتين وستاً وثلاثين خطبة، وربما كان بعضها قليل الألفاظ لكنه كبير المعنى، ومجموع الخطب منطوية في جزئين، والجزء الثالث قسمان:

الأول: كتب ووصايا، يبلغ عددها تسعة وسبعون.

والقسم الثاني: في قصار الكلمات والحكم وأجوبة مسائل، بلغ عددها أربعمائة وثمانين.

---

١) هذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾. النحل: ٣٤. (منه رحمه الله).

٢) غير خفي على الفطن العالم بعلم الكلام الهادي لتوحيد الله وصفاته (جل وعلا) أن المراد بنفي الصفات عنه تعالى وتقدس هو النفي المصداقي أي أن الذات المقدسة منتفٍ عنها التركيب بكل الجهات، فليس واجب الوجود تعالى متصفاً بعلم غير ذاته بل علمه (جل وعلا)، وقدرته عين ذاته، وهكذا بقيه صفاته تعالى الجمالية، أما الجلالية فهي تنزيهه تعالى عن صفات الممكن مطلقاً، ومِن أظهرها: نفي الشريك له مطلقاً فهو (جلّ وعلا) الواحد الأحد بكل المعنى. والمراد بالصفات: الصفات المختصة بالذات التي لا يشاركه فيها أحد منتفية مصداقاً، ثابتة مفهوماً وإلا استلزم التعطيل. والمراد في صفاته الجارية في كلامه في كتابه المقدس، وكلام حججه وأوليائه عليهم السلام ، والحمد الله. (منه رحمه الله).

والغرض من هذا الضبط إلفات الغافلين عن الكتاب المذكور كي ينتفعوا بما فيه من التعليمات القيمة والحكم الناصعة والمواعظ النـافعة وأنواع العلوم الكثيرة والوصايا الجليلة الجامعة للأخلاق والشرعيات ، وهي قد تكفلت بذكر كل فضيلة خُلقية ودينية كي تتبـع، وضدها الرذائل كي يُنتهي عنها، ولو لم تكن إلا وصيته عليه السلام لابنه الحسن الزكي عليه السلام بـ(حاضرين)[١] في منصرفه من صفين، وفيها ما يكفي المكلفين مجتمعين ومنفردين في الأخلاق والدين.

وأما تلك الكتب الكريمة ففيها من الحجج القويَّة والنصائح الجليلة التي قد حوت من المعاني الجامعة للشؤون الإنسانية والدينية فهي لا تكاد تتحقق في كلام المخلوقين إلا في كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأوصياء المعصومين (عليهم السلام أجمعين) بل كل كتاب ترى فيه برهاناً قاطعاً على ما وجهت إليه، فهي ذات منافع كثيرة؛ لما فيها من الأصول الجامعة للفروع المتنوعة، فكل قانون من ذلك النهج لا يُغني عنه غيره في كل نوع من الأخلاق والسياسة والدين، وأكبر شاهد على ذلك: الوجدان، فأنت تراه دستوراً يعمل به الكثير ممن لم يعتقد إمامة أمير الؤمنين عليه السلام ، بل هو عند بعض من لم يتدين بدين الإسلام ممن كان عارفاً بأنحاء العلوم أهم من دساتيرهم التي شرعوها، فقوانينه تدرس في كثير من مدارسهم، وربما كانت عناية بعضهم به أشد من عناية الكثير منا.

---

١) اسمُ بلدةٍ في نواحي منطقة صفين.

ولقد سمعت من بعض الثقاة نقلاً عن بعض الصحف ما مضمونه: أن شخصاً من الإيرانيين كان مع آخر من الفرنسيين في صف واحد في إحدى الكليات وهما متكافئان في الدروس، وعند الامتحان تقدم الفرنسي على الإيراني فتعجب حتى سأله عن السر فأفاد بما معناه: أن ذلك بعنايتي بنهج إمامكم علي عليه السلام وإني لمحقق لقوانينه علماً، وربما طبقت بعضها عملاً في الأخلاق الإنسانية، فردية واجتماعية.

وأنت خبير أن هذا حقٌ، ولو لم تكن هذه القضية صحيحة فلنفرضها مثالية، فإن كلامه عليه السلام يعلو ولا يُعلى عليه، وليس هو من جانب البلاغة فحسب ـ كما أشرنا إليه آنفاً ـ فإن بلاغته عليه السلام لم يختلف فيها اثنان من العلماء، ولكنهم تفاضلوا في المعرفة، ولكل منهم في أداء حق البيان نصيبه، فمنهم العلامة الكبير مفتي الديار المصرية، أحد علماء السنة، الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٦ فإنه حرر كلاماً جليلاً في تقريظ النهج، ذكره في مقدمته المرتبة على العدد الأبجدي، وقد مثل للبلاغة دولة وللفصاحة صولة، ومثل جحافلاً للخطابة بينهما حروب، حتى قال:

فما أنا إلا والحق منتصر، والباطل منكسر، ومرج الشك في خمود، وهرج الريب في ركود. وإن مدبر تلك الدولة، وباسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد، وتحول المعاهد، فتارة كنت أجدني في عالم يعمره من المعاني أرواح عالية، في حلل من

العبارات الزاهية، تطوف على النفوس الزاكية، وتدنو من القلوب الصافية، توحي إليها رشادها، وتقوم منها مرادها، وتنفر بها عن مداحض المزال، إلى جواد الفضل والكمال...

وأخد في بيان مشاهد ذلك الكتاب الكريم إلى أن قال من حروف الأبجد ما نصه: وأحياناً كنت أشهد عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدانياً فصل عن الموكب الإلهي واتصل بالروح الإنساني، فخلعه عن غاشيات الطبيعة، وسما به إلى الملكوت الأعلى، وسكن به إلى غمار جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبيس، وأنا كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة وأولياء أمر الأمة، يعرّفهم مواقع الصواب، ويبصرهم مواضع الارتياب، ويحذرهم مزالق الاضطراب، ويرشدهم إلى دقائق السياسة، ويهديهم طرق الكياسة، ويرتفع بهم إلى منصّات الرياسة، ويصعدهم شرف التدبير، ويشرف بهم على حسن المصير، ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم اللّه وجهه)، جمع متفرقه وسمّاه بهذا الاسم (نهج البلاغة)، ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منه... انتهى مرادنا[١].

ولا بد للشيعي أن يرتوى من هذه المناهل العذبة كي يبرد غلة فؤاده، ففي هذا ومثله من شهادة علماء المسلمين في حق أمير المؤمنين عليه السلام أثر عظيم في برد أفئدة الموالين أضعاف ما يكون منهم في حق

---

١) انظر: مقدمة الشيخ محمد عبده لـ(نهج البلاغة).

سادتهم كما لا يخفي، مع أن الحق حق من أي كان وهو ثابت في واقع الأمر، وربما يخفى أحياناً لمزجه بشبه المتشبثين بالباطل فتزيله أقلام المحققين، ومنهم حجتنا على من ناوانا، المصلح الكبير كاشف الغطاء، وكم في كلمهِ الطيّب من هذا ونحوه ما يزيل به دَرَن المبطلين، فمنها: ما حرَّره عند كلامه على صفات الواجب (جلّ وعلا) من الرشحات الفائضة من تيار بحور علوم أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد استشهد رضي الله عنه ببعض من الخطبة الأولى المشار إليها آنفاً، وبرهن بها على مراده، ثم قال (أعلى الله مقامه) ما نصه:

"وأقسم قسم صدق ويمين حق برب تلك البلاغة المعجزة ونبي تلك البراهين المتقنة على التوحيد في هاتيك الفقرات الموجزة، أنه لو لم يكن للإسلام دليل حق وبرهان صدق إلا كلماته وأمثالها من كلمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأولاده المعصومين عليهم السلام لكفى في وجوب اتّباعه وعلوّه بالحق وارتفاعه، فإن رجلاً نشأ وشبّ وتدرب وتربى بين قوم من العرب والأعراب ليس لهم من شيء من العلوم ـ لاسيما الإلهية ـ نصيب ولا نصاب، ثم يأتي ذلك الواحد منهم بهذه الأعاجيب، ويصب تلك البراهين الحكيمة بهذه الأساليب من غير أن يكون قد ساح وسار أو ضرب في الأقطار والأمصار، أو جاءه معلم من البشر فأدّبه، أو حكيم متألّه فدرّبه، أو أدخله أبوه أو جده مدرسة أو مكتبة، وهو مع ذلك لا يزال يُملي على الناس ـ طول عمره ـ العلوم السياسية والمعارف الإلهية بأقوم بيان وأقوى برهان، ولا أجدني مفرطاً مغالياً

ولا في القول متعالياً لو قلت: إنه لو اجتمعت الحكماء الأساطين من الأُلين والآخرين من الفرس واليونانيين، والآشوريين والفهلويين، والمشائين والإشراقيين، إلى غير ذلك من الطبقات، وأعانهم في البيان فصحاء جميع اللغات على أن يأتوا بخطبة من خطبه الشهيرة، لا بل بفصل من فصولها الخطيرة، لوقفوا حيارى واعترفوا إقراراً، وما وجدوا إلا إلى العجز مصيراً ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾، احضر بقلبك، وانظر بلبّك، واصغ بسمع فؤادك، ولا تبغ سوى الحق بجدك واجتهادك، وتأمل في قوله عليه السلام من خطبة أخرى[1] من (النهج) تعرض فيها لإبطال زيادة الصفة أيضاً حيث يقول عليه السلام: «**من وصفه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله، ومن قال: كيف؟ فقد استوصفه، ومن قال: أين؟ فقد حيّزه. عالمٌ إذ لا معلوم، وربٌّ إذ لا مربوب، وقادر إذ لا مقدور...**».

يقول المستضيء بأنواره، الراجي منه (عز شأنه) أن يجعله من المقتدين بآثاره: إنك لو أعطيتَ التأمل حقه في الكلمات وأمثالها من خطبه في التوحيد والموعظة وسائر العلوم، لخشيت أن تنشق قلباً وتتمزق عجباً عجباً، ولعلمت علماً يقينياً ووجدت وجداناً حسياً ـ بعد ملاحظة تلك الجهات الواضحة والدلالات اللائحة ـ من تصفح أحوال تلك الذات

---

١) ذكرها (أعلى الله مقامه) في طي كلامه برهاناً على مرامه، فلا يتوهم خروجها من موضوع مرامنا، فدلالتها على ما نقول أعظم من قول عظماء الفحول، فهي شراب الضمائر من الظماء، ونور البصائر من العمى. (منه رحمه الله).

الكريمة وكمالاتها الجسمية، مع عدم رجوعه إلى مؤدبٍ معلم، ولا مراجعته لشيء من الكتب، حادثة أو قديمة، وما أراك ـ مع هذا كله ـ تقول إلا أن له معلماً إلهياً، وأنه ينتهي إلى علم غير منتاهٍ... الخ"[١]. انتهى.

وفيه ريٌّ العلماء وشفاء داء الجهلاء، فمنه ما ملخصه: أن ذلك الرجل العظيم قد نشأ في قوم ليس لهم في الحضارة نصيب، قد غمرهم الجهل السائد عليهم فلا يعرفون من العلم شيئاً وهو عليه السلام يقرر تلك الأبحاث العظيمة التي صرفت حكماء اليونان فيه أعمارها، وأتعبت فيه عقولها وأفكارها، وهو عليه السلام يسجّلها على البديهـــة بسهولة، ينحدر فيها كالسيل، حتى اعترف رحمه الله بالعجز وقال ما نصه: "فمن لي بأن أنعت فضلها إلا إذا أعطيت قوة مثلها"[٢].

ثم استرسل في كلامه (أعلى الله مقامه) حتى تعجب من علماء اليهود والنصارى مع صحه أفكارهم وتقدمهم في العلوم الصناعية كيف يتساهلون في الأمور الدينية، إلى أن قال: "وبماذا يجيب أهل النَصف منهم إذا احتج الإسلام بمثل هذه الآية التي لا تُبــارى، والحجة التي لا يستطيعون لها رداً ولا إنكاراً ؟"[١].

---

١) الدين والإسلام: ج ١ ص ٢٨٩ ـ ٢٩١.

٢) ن، م، ص ٢٩١.

١) ن، م، ص ٢٩٢.

ثم تعجب رضي الله عنه عجباً أعظم من سابقه ممن عدل عنه عليه السلام إلى غيره، وكأنه رضي الله عنه يتلو قوله عليه السلام: «**لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد**»[١]، فكأني به رحمه الله يتأمل هذه الكلمة الشريفة متألم القلب لما كان من عدم العمل بها عند أكثر المسلمين، فهو يتذكر قول أمير المؤمنين عليه السلام؟ «**أنزلني الدهر حتى قيل علي ومعاوية**»[٢]، وأن هذا التبرّم والتألم له الأثر العظيم في قلب الشيخ المذكور وأمثاله من العلماء والمؤمنين.

فأين الثريـا وأين الثرى   وأين معاويـــة من علي[٣]

قاسوك أبا حسن بسواك   وهل بالطود يُقاس الذرّ[٤]

كيف وذاته عليه السلام شأنها أجل من أن تعرف، فقد عرفت آنفاً اعتراف الشيخ [كاشف الغطاء] بالعجز عن نعوت فضلها، ﴿**وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ**﴾، فلا يعرف أحد من المخلوقين الذات العلوية إلا النفس المحمدية كما هو مضمون الرواية النبوية[١]، والاعتراف بالعجز عن بلوغ فضله قد صرح به

---

١) نهج البلاغة، ذيل الخطبة الثانية.

٢) هذا مما ينسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام وينقل على الألسن ولم نقف على مصدر له.

٣) من قصيدة عمرو بن العاص "الجلجلية"، نقلها في الغدير: ج ٢ ص ١١٧، والتي أولها:

معاوية الفضل لا تنس لي   وعن نهج الحق لا تعدل

٤) من القصيدة الكوثرية للسيد محمد رضا الهندي رحمه الله والتي مطلعها:

أمُفلّـجُ ثَغرِكَ أم جوهـرْ   ورحيقُ رضابِـك أم سُكّرْ

١) إشارة إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله «**يا علي، ما عرف الله حق معرفته غيري وغيرك، وما عرفك حق معرفتك غير الله وغيري**». مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٣١٠.

الأغيار، فمنهم بولس سلامة، فدونك كلمته في مقدمة كتابة (عيد الغدير)، قال ما نصه: "علي لا تسعه الملاحم". فانظر بعين بصيرتك إلى هذا المدح العظيم كيف يحقق من الاعتراف بالعجز عن إحصاء فضائله عليه السلام . فقل لي بإنصافك: هل يبلغ هذا المسيحي ما يبلغه المسلمون المعرفةَ بقدر علي عليه السلام لو درس ما ورد فيه عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله بحق وإنصاف؟ وكفى هذا المسيحي فخراً على كثير من المسلمين منظومته الموسومة بـ(عيد الغدير) المشار إليها فيما تقدم، فقد عرف الناس فيها من قدر أميرنا عليه السلام ما لم يعرفـه الكثير من المسلمين، وكثير منهم عرفه وجحده، فإليك شاهداً على ما قلناه من شعره تحت عنوان "علي في يثرب":

هـذه الكـف للمعــارف بـابٌ   مشــرع مــن مدينــة الأســرار

تنشـر الـدر فـي كتــاب مبين   ســفر نهـج البلاغــة المختــار

هــو روض مــن كــل زهــر جنـيّ   اطلعتـــه الســماء فـــي نـــوّار

فيـه مـن نضـرة الـورود العـذارى   والخزامـــى والفـل والـجُلنــار(١)

فــي صـفاء الينبـوع يجـري زلالاً   كـــوثراً رائقـــاً بعيـــد القــرار

تلمــح الشـطَ والضـفافَ ولكــن   يـا لَعجـز العيــون فـي الأغـوار(٢)

ونقل المجلسي في روضة المتقين: ج ٥ ص ٤٩٢ أنه رُوي في الأخبار الكثيرة عنه صلى الله عليه وآله قوله:

«يا علي، لا يعرف الله إلاّ أنا وأنت، ولا يعرفني إلاّ الله وأنت، ولا يعرفك إلاّ الله وأنا».

١) جُلنار: كلمة فارسية تُلفظ (گُلنار) (Golnar) وتعني زهرة الرمان.

٢) عيد الغدير، أول ملحمة عربية: ص ٧٠ ـ ٧١.

أيها القارئ الكريم ألاَ بحق الإخاء البشري والكمال الإنساني أهَل يرضى المسلم لدينه ونفسه أن يجهل من قدر أمير المؤمنين عليه السلام ما يعرفه غير المسلمين؟ أفلا يتدبر هــذا الكلم الطيب وما صيغ فيه من فرائد العقود الذي انتظم في سلكها من لآلئ الفضل وجواهر الكمال في حق مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ما لا يكاد يحصل إلا عند الأوحدي في العلم والأدب مع ما ركب فيها من درر البلاغة في تقريظ نهج البلاغة، فتأمل ببصيرة الحق والإنصاف في تصويره كون كف أمير المؤمنين باب المعارف الذي جعله لمدينه علم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم طبق النبوي المذكور قبلاً: «**أنا مدينه العلم وعلي بابها**»، فانظر إلى لطف هذه الكناية حيث كنّى اليد العلوية عن تلك النفس القدسية وهي النفس المرتضوية، فإنه قد تكلم في الأبيات السابقة في صفة تلك الكف الكريمة فمنها قوله: (صاغها الله للشوؤن الكبار)[1].

وأخد يفصل ما بها من الشجاعة والسخاء وأمثال ذلك.

وهل هذه الصفات إلا من صفات النفس الزكية؟ وإنما ذكر السيد على سبيل المبالغة والتجوز الجاري عند العرب حيث إنها مظهر الفعل، فانظر إلى قوله في صفتها: تنثر الدر في كتاب مبين، ذلك (نهج البـلاغة) نهج الدين القويم نهج الرب الحكيم، نهج النبي الكريم وآله الطاهرين، نهج سيدهم أمير المؤمنين سيد أولياء الله الأخيار وإمام المتقين الأبرار، ذلك

---

١) تحمل الرفش كفه وهي كفٌ   صاغها الله للشوؤن الكبار

نهج الخلود والكرامة، نهج التقوى والرحمة، كيف وقد حوى من الكلام ما عجز الورى عن مباراته، والفخر لمن ميَّز بلاغته ومقاماته، فلا كلام أعلى منه إلا كلام الله تعالى ورسوله ﷺ ، كما اعترف به غير واحد من علماء المسلمين ـ كما أسلفناه ـ ومنهم: أحد عظماء شيوخهم وهو أبو عثمان الجاحظ أحد شيوخ ابن أبي الحديد، ولقد حرر في ذلك كلاماً جليلاً بحسب نقل ابن أبي الحديد في شرحه، فيا حبذا لو نأخذ منه كلمات؛ لما فيها من شهادات قيّمات: فقد قال ما نصه: "واعلم أننا لا يتخالجنا الشك في أنه عليه السلام أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين إلا من كلام الله سبحانه وكلام رسول الله ﷺ ".

ثم أخذ في بيان فضيلة الخطابة من اعتمادها على أمرين: مفردات الألفاظ ومركباتها، فاسترسل في بيان أركان البلاغة ومحسّناتها وصفاتها، حتى قال ما نصه :

"ولا شبهة أن هذه الصفات كلها موجودة في خطبه وكتبه مبثوثة متفرقة في فرش كلامه عليه السلام ، وليس يوجد هذان الأمران في كلام أحد غيره، فإن كان قد تعلّمها وافتكر فيها وأعمل رويّته في وصفها ونثرها فلقد أتى بالعَجب العُجاب، ووجب أن يكون إمام الناس كلهم في ذلك؛ لأنه ابتكره ولم يعرفه من قبله. وإن كان اقتضبها ابتداء وفاضت على لسانه مرتجلة، وجاش بها طبعه بديهة من غير رويّة ولا اعتمالٍ، فأعجب وأعجب، وعلى كلا الأمرين لقد جاء مجلياً، والفصحاء تنقطع أنفاسهم على أثره،

ويحق ما قال معاويةُ لمحفن الضبّي لما قال له: جئتك من عند أعيا الناس، قال: يا ابن اللخنا، لعلي تقول هذا؟! وهل سنَّ الفصاحة لقريش غيره!!

واعلم أن تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئة يُتعب، وصاحبه منسوب إلى السفه، وليس جاحد الأمور المعلومة علماً ضرورياً بأشد سفهاً ممن رام الاستدلال بالأدلة النظرية عليها"[١]، انتهى.

أقول: إن هذا الكلام الجليل فيه دلالة واضحة على جلالة صاحبه ومعرفته، ولكنه قصّر في حق مولانا بتردده في بلاغته من كونها إما عن تروٍ وفكر، أو اقتضاب وارتجال!! مع أن كل من تدبر بحوث (النهج) العظيمة من العلوم الإلهية والطبيعية والأخلاقية والاجتماعية وأمثال ذلك مما تحيرُ فيها العقول، جزمَ بأن ذلك إشراق إلهي؛ إذ من البديهي أنه لم يدّعِ أحدٌ أن لمولانا علي عليه السلام درساً وتدريساً سوى التدريس النبوي الحاصل بالفيض الألهي، ولذلك لم يسبقه سابق ولا يلحقه لاحق، مع أن الجاحظ المذكور من العارفين بحق مولانا علي عليه السلام والعالمين بآثاره وقدره، وقد صنّف رسالة جليلة ذكرها الشيخ القندوزي في (الينابيع)، وقد تكلم فيها على قدر أهل البيت عليهم السلام مستدلاً بكتاب الله، قال في أولها: "إن الخصومات نقّصت العقول السليمة وأفسدت الأخلاق الحسنة من المنازعة في فضل أهل البيت على غيرهم، فالواجب علينا طلب الحق"[١].

---

١) شرح نهج البلاغة: ج ٦ ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

١) ينابيع المودة: ج ١ ص ٤٥٧ باب ٥٢.

وأخد يعدد فضائلهم إلى أن قال: "فأما علي بن أبي طالب عليه السلام فلو أفردنا لفضائله الشريفة، ومقاماته الكريمة، ودرجاته الرفيعة، ومناقبة السنية، لأفنينا في ذلك الطوامير الطوال والدفاتر العراض. العرق صحيح من آدم عليه السلام، والنسب صريح، والمولد مكان معظّم، والمنشأ مبارك مكرم، والشأن عظيم، والعمل جسيم، والعلم كثير، وليس له نظير، والهمة عالية، والقوة كاملة، والبيان عجيب، واللسان خطيب، والصدر رحيب، وأخلاقه وفق أعراقه، وحديثه يشهد على تقديمه، ولا يسعني استقصاء جميع فضله، ويتعذّر لنا تبيان كل حقه، وإذا كانت كتبنا لا تحمل تفسير جميع أمره، ففي هذه الجملة بلاغ لمن أراد معرفة فضله[١]، انتهى.

فتأمل في هذا الكلام القيّم الذي فيه سرور الشيعي؛ لما فيه من شهادة هذا العالم السنّي الكبير، فتدبر الكلمة الأولى من أن المخاصمات في أفضلية العترة على غيرهم هي المفسدة للعقول، والموجبة للشبهات، فمن آمن بالحق وأيقن بما ورد في حق أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام كان من الناجين. وتبصّر في كلمته في حق علي عليه السلام، فمن تبصر فيها وأمثالها مما ورد عن هذا العالم وأمثاله من علماء المسلمين من أهلية علي عليه السلام لكل خير، والعجز عن إحصاء فضله، عرف صحة قولنا من عدم مساواة مولانا بأحد في كل فضل بعد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، فبذلك يجزم أن علمه إشراقي على اليقين، وقد أوضحنا فيما أسلفناه من الدلائل والبراهين ما

١) ن، م، ص ٤٥٧ ـ ٤٦١.

في بعضه كفاية فلا ريبة فيه عند المنصفين، فلا تنس قوله تعالى ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.

النظرة السادسة

التحقيق في كون علوم أئمتنا عليهم السلام لدنية
وأن الإشرقات الإلهية عليهم كباراً وصغاراً

وهنا شواهد تاريخية شيعية وسنية على ذلك:

منها: قيام الإمام الجواد والهادي والمهدي عليهم السلام من حين صغرهم بالمناصب الإلهية فهي منحٌ عليّة متسلسلة من أبيهم أمير المؤمنين عليه السلام .

فمن نظر في الأدلة العقلية جزم بإمكان ذلك مما أشرنا إليه من كون علومه عليه السلام الإلهية إلهامية، فإنه جائز في حق وُلده الأحد عشر الطاهرين عليهم السلام ، ومن تتبع الآثار المعصومية في السير التاريخية والأحاديث النبوية والكلمات العلوية، جزم بأن ذلك ثابت للعترة الطاهرة الأحمدية أئمة الهدى ومصابيح الدجى وأعلام التقى عليهم السلام، وليس ذلك من طريقنا فقط بل مما هو مسلّم عند الفريقين.

ومنها: ما حررناه آنفاً من كلمات سيدنا وسيدهم أمير المؤمنين عليه السلام في (النهج).

ومنها: ما ثبت في حق إمامنا الجواد الملقّب بـ(التقي) عليه السلام من قيامه بالإمامة بعد أبيه عليه السلام وهو ابن سبع سنين وأشهر.

وهذا مما لا ريب فيه عندنا؛ لأنهم عليهم السلام بحسب عقيدتنا[١] أوتوا العلم والحكمة صغاراً كما ثبت لعيسى ويحيى عليهما السلام بنصِّ الكتاب المبين، وما جاء

١) صرح بذلك من أعاظم علمائنا الأعلام: مولانا الأعظم الشيخ الجليل الشيخ يوسف البحراني في كلام قيّم عنونه بـ(فائدة) بعد تحقيق تعليل التكبيرات الست المضافة إلى تكبيرة الإحرام بصحيحة زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام ملخصها: التعليل بإبطاء الحسين عليه السلام عن الكلام عن تكرار النبي صلى الله عليه وآله وسلم التكبير تمريناً له عليه السلام ، وهذه الفائدة مستفادة من الأخبار الواردة في قضية الحسين عليه السلام. وأيضاً ما رواه الشيخ في (التهذيب) في الصحيح عن حفص ـ والظاهر أنه ابن البختري ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في الصلاة وإلى جانبه الحسين بن علي عليه السلام فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يحر الحسين التكبير، ثم كبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يحر الحسين التكبير، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكبر ويعالج الحسين التكبير ولم يحر، حتى أكمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبع تكبيرات فأحار الحسين التكبير في السابعة، فقال أبو جعفر عليه السلام: فصارت سنّة**».

ثم قال الشيخ رحمه الله : "بيانٌ: قال في الوافي: المحاورة: المجاذبة، والتحاور: التجاذب، يقال: كلّمته فما حار لي جواباً. ولعل المراد أن الحسين عليه السلام وإن كبر في كل مرة إلا أنه لم يفصح بها إلا في المرة السابعة، وبهذه يجمع الخبرين الأخيرين". انتهى.

ومحل شاهدنا من كلامه رحمه الله قوله: "بقي الكلام في أنهم (صلوات الله عليهم) ينطقون ساعة الولادة كما وردت به الأخبار، فكيف يمتنع عليهم النطق في هذه الصورة؟ وأجاب عنه في (البحار) بأنه "لعل ذلك كان عند الناس وأن الخوف كان منهم لا منه صلى الله عليه وآله وسلم ".

أقول: وفيه بُعد، بل يمكن أن يقال: لا يخفى على المتأمل في أخبارهم والمتطلع في أحوالهم أنهم عليهم السلام في مقام إظهار المعجز لهم حالات غير حالات الناس، وأما في غير ذلك فإنهم يقدّرون أنفسهم بالناس في صحة ومرض وغناء وفقر ونزول بلاء ونحو ذلك، وهذا من جملته، فإنهم عليهم السلام لا ينطقون إلا اذا أنطقهم الله تعالى كما يُنطق سائر الصبيان، ولا يطلبون منه إلا ما يقدّره ويريده، فليس لهم إرادة زائدة على إرادته تعالى بهم عليهم السلام وإن

كانوا لو شاءوا لفعلوا ما يريدون. وهذا هو الجواب الحق في المقام لا يعتريه نقض ولا إبرام". انتهى. [انظر: الحدائق الناضرة: ج ٨ ص ٢٣ ـ ٤٥].

واقول: إن هذا ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ ولكن لا يؤمن به الا من علَّ من شراب معارف سيد المرسلين وآله الطاهرين، ومن أراد الدليل المقنع فليستضئ بنور عقله السليم كي يوصلة بالحجج القاطعة إلى المحجة الساطعة بشموس تعريف الله تعالى، فبذلك يتضح له ما أفاضه القادر العليم على سيد أصفيائه محمد وآله الطاهرين عليهم السلام، فالعقل قاض بكمال قدرة الله تعالى وجوده وغناه المطلق، فلا يزال (جلّ وعلا) جواداً فيّاضاً، فمن فيضه: استعداد إشراف الممكنات لأعلى رتب الفيوضات، وذلك ممكن بلا ريبة، والقادر بحكمته (جل وعلا) يفيض الوجود على الموجود بحسب استعداد ذاته، ولا ريبة أن كون الممكن في غاية الكمال الجائز للممكنات هو من أعلى البرية عند رب البريات، ومن ذلك: نطقهم (سلام الله عليهم) في أحوال الصغر كما ثبت في الكتاب لعيسى عليه السلام.

وليس هذا ينكر؛ لأن الله على كل شيء قدير، فمن طرف الفاعل هو الله تعالى القادر المطلق ومن جهة القابل هم محمد وآل محمد أشرف وأجلى وأعلى القابليات الممكنة في عالم الإمكان ، وقد أقدرهم (جلّ وعلا) على النطق في عالم الأنوار كما صرح بتكميلهم جملة من الأخبار، فمنها: ما في (الينابيع) عن ابن المغازلي الشافعي في كتابة (المناقب) بسنده عن سلمان الفارسي، قال: سمعت حبيبي محمداً صلى الله عليه وآله يقول: «**كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله (عزّ وجل) يسبح الله ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق الله آدم بأربعه عشر ألف عام، فلما خلق آدم أودع ذلك النور في صلبه، فلم يزل، أنا وعلي شيء واحد، حتى افترقنا في صلب عبد المطلب، فجزء أنا وجزء علي**». انتهى.

وتعليم النبي والوصي الملائكة التسبيح مما رواه الفريقان، فمنها: النبوي المروي في (الإرشاد) و (تأيل الآيات) وهو حديث طويل، قال صلى الله عليه وآله في أثناءه : «ثم خلق الملائكة فسبحنا فسبحت الملائكة، فهللنا فهللت الملائكة، وكبرنا فكبرت الملائكة، فكان ذلك من تعليمي وتعليم علي أمير المؤمنين.. الخ». وأقول: تعليمُ أمير المؤمنين عليه السلام الجوابَ وارد عندنا وعند غيرنا كما ذكر صاحب (بستان الكرامة). (منه رحمه الله).

في حقه عليه السلام: قضيته مع المأمون، وهي مروية عندنا وعند غير واحد من أهل السنة، فمنهم: ابن حجر في (صواعقه)[١] ـ كما في الينابيع ـ وكمال الدين في (مطالب السؤول)[٢] والمسعودي في (إثبات الوصية)[١] وغيرهما، وقرروها بتفاوت يسير في اللفظ، والمؤدى واحد، وملخصه:

أن للمأمون بازيّاً اصطاد من الجو سمكة صغيرة، فسأل عنها الإمام، فأجاب عليه السلام بقوله: «**إن الله (عزّ وجل) خلق بقدرته في الجو بحراً، وخلق فيه سمكاً صغاراً تصيدها بزاة الملوك، فيمتحن بها سلالة أهل بيت المصطفى** صلى الله عليه وآله وسلم»، انتهى من (الينابيع)[٢].

أقول: يشير المصنف رحمه الله إلى ما رواه محمد بن أحمد ابن شاذان في كتابه (بستان الكرام) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً وعنده جبرائيل فدخل علي عليه السلام فقام له جبرائيل، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أتقوم لهذا الفتى؟». فقال له: نعم، إن له عليَّ حق التعليم. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كيف ذلك التعليم يا جبرائيل؟» فقال: لما خلقني الله تعالى سألني: من أنت وما أسمك ومن أنا وما اسمي؟ فتحيرت في الجواب وبقيت ساكتاً، ثم حضر هذا الشاب في عالم الأنوار وعلّمني الجواب، فقال: «قل: أنت ربي الجليل، واسمك الجليل، وأنا العبد الذليل، واسمي جبرائيل». ولهذا قمت له وعظّمته. الأنوار النعمانية: ج ١ ص ١٥.

١) الصواعق المحرقة: ص ٢٠٦.

٢) مطالب السؤول: ص ٤٦٩.

١) إثبات الوصية: ص ٢٣٧.

٢) ينابيع المودة: ج ٣ ص ١٢٥ ب ٦٣، وانظر: الفصول المهمة: ج٢ ص ١٠٤١، نور الأبصار: ص ١٦١، الاتحاف بحب الأشراف: ص ١٦٨ ـ ١٧٠.

و مثلها قضية امتحان العباسيين له عليه السلام بيحيى بن أكثم، وسقوط يحيى وظهور حجة الإمام، كذا في (الصواعق) و (إثبات الوصية) للمسعودي[1]، وفيها زيادة: أن العباسيين قالوا للمأمون: إنه صبي غِرٌّ[1]، وفي ذلك حجتنا عليهم، والمسعودي غير متهم عندهم[2].

---

١) الصواعق المحرقة: ص ٢٠٦، إثبات الوصية: ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨. وفي الصواعق: أن العباسيين تواعدوا على أن يرسلوا إلى الإمام من يختبره، فأرسلوا إليه يحيى بن أكثم، ووعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمداً، فحضروا للخليفة ومعهم ابن أكثم وخواص الدولة، فأمر المأمون بفرش حسنٍ لمحمد، فجلس عليه، فسأله يحيى مسائل أجابه عنها بأحسن جواب وأوضحه، فقال له الخليفة: أحسنت يا أبا جعفر، فإن أردت أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة. فقال له: "**ما تقول في رجل نظر إلى امرأة أول النهار حراماً، ثم حلّت له ارتفاعه، ثم حرمت عليه عند الظهر، ثم حلّت له عند العصر، ثم حرمت عليه عند المغرب، ثم حلّت له العشاء، ثم حرمت عليه نصف الليل، ثم حلت له الفجر**". فقال يحيى: لا أدري. فقال محمد: "**هي أمة نظرها أجنبي بشهوة وهو حرام، ثم اشتراها ارتفاع النهار، وأعتقها الظهر، وتزوجها العصر، وظاهر منها المغرب، وكفّر العشاء، وطلقها رجعياً نصف الليل، وراجعها الفجر**".

١) جاء في الفصول المهمة: ج ٢ ص ١٠٤٢ والإتحاف بحب الأشراف: ص ١٧١: "إنّ هذا صبيّ صغير السن، وأيُّ علم له اليوم أو معرفة أو أدب؟ فأمهله يتفقّه ثمّ اصنع به ما شئت".

٢) بل هو متهم بالتشيع تارة والإلحاد أخرى، فقد قال ابن حجر في (لسان الميزان: ج٤ ص ٢٢٥): وكتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً. وقال إسماعيل باشا في (هدية العارفين): أبو الحسن المسعودي المؤرخ... كان يتشيع، توفي بمصر سنة ٣٤٦، له من الكتب (إثبات الوصية). وقال القاضي ابن العربي: "وأما المبتدع المحتال فالمسعودي، فإنه يأتي منه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك، وأما البدعة فلا شك فيه". (العواصم والقواصم: ص ٢٩٤).

وقد روى أيضاً في الكتاب المذكور أن الإمام عليه السلام قرأ كتاباً أرسله إليه أبوه الرضا عليه السلام في حال طفولته(١).

وروى ـ أيضاً ـ فيه أن الإمام الجواد عليه السلام تكلم بالشهادتين عند سقوطه من بطن أمه(١).

وكل من ترجم له عليه السلام من الفريقين يقرر قيامه بالإمامة قبل بلوغة، وتفاوتهم في تقدير السن يسيرٌ.

وفيه أيضاً أن الإمام الهادي عليه السلام قام بالإمامة وهو ابن ست أو تزيد(٢).

وكذلك في الإمام القائم المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف فإن الكل متفق على قيامه بالإمامة في أقل من هذا السن، والأكثر يقولون إنه توفي أبوه وعمره خمس

---

١) في إثبات الوصية: ص ٢٣١: "وروي أنه كان يتكلم في المهد".

وعن محمد بن ميمون أنه كان مع الرضا عليه السلام بمكة قبل خروجه إلى خراسان قال: قلت له: إني أريد أن أتقدم إلى المدينة، فاكتب معي كتابا إلى أبي جعفر عليه السلام. فتبسم وكتب، فصرت إلى المدينة، وقد كان ذهب بصري. فأخرج الخادم أبا جعفر عليه السلام إلينا يحمله من المهد، فناولته الكتاب، فقال لموفق الخادم: «فضّه وانشره». ففضه ونشره بين يديه، فنظر فيه، ثم قال لي: «يا محمد، ما حال بصرك؟». قلت: يا ابن رسول الله! اعتلت عيناي، فذهب بصري كما ترى. فقال: «ادن مني». فدنوت منه: فمدّ يده، فمسح بها على عيني فعاد إلي بصري كأصح ما كان، فقبّلت يده ورجله، وانصرفت من عنده، وأنا بصير. انظر: الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٣٧٢، كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٦٥.

١) إثبات الوصية: ص ٢٣١.

٢) ن، م، ص ٢٤٣، وفيه: (ابن سبع سنين، نعم! وأقل من سبع سنين كما كان عيسى عليه السلام).

أو تزيد، وبعضهم يقولون: إن عمره ثلاث سنين، ومنهم كمال الدين، فإنه ذكر أن مولده عليه السلام في السنة الثامنة والخمسين[١].

والقول الأول يوافق السنة الخامسة والخمسين، وهو القول المنصور المشهور عند الشيعة، وعليه الجُلُّ إن لم نقل الكلّ[٢]، فقد قرره المسعودي في (إثبات الوصية) المشار إليه أيضاً[١].

وقد ذكر أيضاً كيفية مولده وما جرى له عليه السلام من العناية الإلهية، فمنها: ما رواه عن نسيم ومارية قالا: لما خرج صاحب الزمان من بطن أمه سقط جاثياً على ركبتيه، رافعاً سبابته نحو السماء، ثم عطس وقال: «**الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله، من عبد داخر لله غير مستنكف ولا مستكبر**»، ثم قال: «**زعمت الظلمة أن حجة الله داحضة! ولو أذن لنا في الكلام لزال الشك**».

وفيه أيضاً: ما رواه عن السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام قال في أثناء الحديث ما نصه: وحملتُه إلى أبي محمد، فأخذه وأقعده على راحته

---

١) مطالب السؤول: ص ٤٨٠، وانظر: تاريخ الأئمة: ١٥، وفيات الأعيان: ١٧٦/٤.

٢) كمال الدين: ٤٥٨/٢، الإرشاد: ٣٤٦/٢، مسارّ الشيعة: ٦١، دلائل الإمامة: ٥٠١، كتاب الغيبة: ١٤١ و١٤٣، مصباح المتهجد: ٥٨٩، روضة الواعظين: ٢٥٦، إعلام الورى: ٢/ ٢١٤، عيون المعجزات: ١٣٩، كشف الغمة: ٣/ ٢٤٣، راحة الأرواح: ٢٨٤، إقبال الأعمال: ٢١٧، مصباح الكفعمي: ٦٩٢ و٧٢٤، التتمة في معرفة الأئمة: ١٤٥، كاشف الغمة: ١٢٧، معارج الوصول: ١٢٩، الفصول المهمة:٢٨٢، وفيات الأعيان: ٤/ ١٧٦.

١) إثبات الوصية: ٢٧٢ و ٢٧٥.

اليسرى، وجعل يده اليمنى على ظهره، ثم جعل لسانه في فيه، ومرّ بيده على عينيه وسمعه ومفاصله، ثم قال: «تكلم يا بني»، فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن علياً أمير المؤمنين..» ثم لم يزل يعدّ السادة الأوصياء، إلى أن بلغ إلى نفسه، فدعا لأوليائه على يديه بالفرج، ثم صمت عن الكلام... ـ وساق الحديث، إلى أن قال ـ فلما كان اليوم السابع جئت وسلّمت وجلست، فقال عليه السلام: «هلم ائتيني به» فجئت بسيدي وهو في ثياب صفر، ففعل كفعله الأول، وجعل لسانه في فيه، ثم قال: «تكلم يا بني» فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله» وثنّى بالصلاة على محمد وأمير المؤمنين والأئمة حتى وقف على أبيه، ثم قرأ هذه الآية: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ . فلما كان بعد أربعين يوماً دخلت دار أبي محمد فإذا بمولاي يمشي في الدار، فلم أرَ وجهاً أحسن من وجهه، ولا لغة أفصح من لغته.

وفيه: عن نسيم خادم أبي محمد عليه السلام قال: قال لي صاحب الزمان وقد دخلت عليه بعد مولده بليلة فعطست عنده: «يرحمك الله»، قال نسيم: ففرحت، فقال عليه السلام : «ألا أبشرك في العطاس؟»، قلت: بلى، قال: «هو أمان من الموت ثلاثة أيام».

وفيه: عن أبي نصر ضرير[١] الخادم، قال: دخلت على صاحب الزمان، فقال: «**علي بالصندل الأحمر**»، فأتيته به، فقال: «**أتعرفني؟**»، قلت: نعم. قال: «**من أنا؟**»، فقلت: أنت سيدي وابن سيدي. فقال: «**ليس عن هذا سألتك**». قال ضرير: فقلت: جعلت فداك، فسّر لي. فقال: «**أنا خاتم الأوصياء، وبي رفع الله البلاء عن أهلي وشيعتي**».

وفيه: عن أبي نعيم الأنصاري عن كامل بن إبراهيم، في حديث ذكر فيه المفوّضة، ومحل الشاهد منه: وجلست إلى باب عليه ستر مسبل، فجاءت الريح فرفعت طرفه، فإذا أنا بفتىً كأنّه فلقه قمر من أبنـــاء أربع سنين أو مثلها، فقال لي: «**يا كامل بن إبراهيم**»، فاقشعررت من ذلك، فألهمني الله أن قلت: لبيك ياسيدي، فقال: «**جئت إلى ولي الله وحجته وبابه تسأله: هل يدخل الجنة إلاّ من عرف معرفتك وقال بمقالتك؟**»، قلت: أي والله! قال: «**إذن والله يقل داخلها!! والله إنه ليدخلها قوم يقال لهم الحقّية**»، قلت: يا سيدي، من هم؟ قال: «**هم قوم مِن حُبهم لعلي (صلى الله عليه) يحلفون بحقّه، ولا يدرون ما حقه وفضله!**» ثم سكت (صلى الله عليه) عني ساعة. ثم قال: «**وجئت تسأله عن مقال المفوضة، كذبوا، بل قلوبنا أوعية الله، فإذا شاء شئنا، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾**»[١]. انتهى.

---

١) في كتاب الغيبة (للطوسي): ص ٢٧٠ (طريف).

١) إثبات الوضية: ص ٢٧٣ ـ ٢٧٦.

وهذا لم يختص بذكره المسعودي بل وافقه غير واحد من الشيعة، بل جلّهم، وذكر غير واحد من أهل السنة أنه عليه السلام أوتي العلم والحكمة، فمنهم ابن حجر في (صواعقه)، فدونكه من (الينابيع) عند ذكره وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال ما نصه: "ولم يخلّف غير ولده أبي القاسم محمد الحجه، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، ولكن آتاه الله (تبارك وتعالى) العلم والحكمه"[(١)]. انتهى.

وهذا المضمون قرره القرماني في (تاريخ الدول) في ترجمة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف[(٢)].

وممن قال بذلك: محمد خواجه البخاري في كتابة (فصل الخطاب)[(١)] عند ذكره كيفية مولد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بروايته عن السيدة حكيمة رضي الله عنها، قال مانصه: "آتاه الله (تبارك وتعالى) الحكمه وفصل الخطاب وجعله آيه للعالمين كما قال: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾ وقال تعالى: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾"[(٢)].

---

١) ينابيع المودة: ج ٣ ص ٣٠٦ ب ٦٣، وانظر: الصواعق المحرقة: ص ٢٥٥ و ٣١٤.

٢) أخبار الدول وآثار الأول: ج ١ ص ٣٥٣ في (ذكر أولاد الحسين عليه السلام - الفصل ١١.

١) هو كتاب في المحاضرات، للحافظ محمد بن محمد بن محمود البخاري الحافظي، المعروف بـ(خواجة پارسا) ، المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٨٢٢ هـ ، أحد أولاد عبيد الله نقشبندي، كان من أعيان علماء الحنفية وأكابر مشائخ الطريقة النقشبندية. انظر: كشف الظنون: ج ٢ ص ١٢٦٠.

٢) ينابيع المودة: ج ٣ ص ٣٠٥ ب ٦٣.

وأنت خبير بأن إيراده هاتين الآيتين دليل على دفع استبعاد إيتاء العلم والحكمة لمن كان عمره في هذا السن. وقد أشرنا آنفا إلى قول الجُل بأن عمره خمسن سنين عند وفاة أبيه عليه السلام، فمنهم الشبلنجي في (نور الأبصار) والصابوني في (إسعاف الراغبين)[١]، وقد أوردا عدة روايات في أنه الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً الذي بشّر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنه المهدي ابن الحسن العسكري، وأوردا شاهداً على ذلك كلاماً فيه شهادات قيمm من أجلاء علمائهم.

ومنهم: ابن العربي في (فتوحاته)، ومن كلمته: "إن المهدي مسدد مؤيد، وأنه متّبع لا مبتدع، يقفو أثر جده النبي صلى الله عليه وآله وسلم طبق النبوي: «**المهدي يقفو أثري**»"[١]. فإن ابن العربي من القائلين بعصمته، وقد أسلفنا صريح قوله بذلك سابقاً[٢] كما أشرنا في التعليق على الخطبة النبوية إلى عدد الرويات

---

١) نور الأبصار: ص ٣٤٢. إسعاف الراغبين: ص ١٤٥.

١) هذه عبارة الشعراني في المبحث ٦٥ من كتابه اليواقيت والجواهر: ص٤٢٤ ـ ٤٢٥. وفي الفتوحات المكية: ج ٣ ص ٣٢٨ و ٣٣٥ من الباب ٣٦٦. قال: "وأما هو في نفسه، فصاحب سيف حق وسياسة مدنية، يعرف من الله قدر ما تحتاج إليه مرتبته ومنزله؛ لأنه خليفة مسدد، يفهم منطق الحيوان، يسرى عدله في الإنس والجان، من أسرار علم وزرائه الذين استوزرهم الله له... إلى أن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صفة المهدي: «**يقفو أثري، لا يخطئ**» فعرفنا أنه متّبع لا متبوع! وأنه معصوم، ولا معنى للمعصوم في الحكم إلا أنه لا يخطئ فإن حكم الرسول لا ينسب إليه خطأ".

٢) الصواعق المحرقة: ص ٢٥٥ و ٣١٤، ينابيع المودة: ج ٣ ص ٣٠٦ ب ٦٣.

الورادة في حقه عليه السلام من الفريقين. وممن اعترف بأنه مؤيد مسدد: كمال الدين، فإليك بعضاً من نظمه ونثره في (مطالب السؤول) في باب مولد المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف قال ما نصه:

فهذا الخلف الحجه قد أيده الله هداه منهج الحق وآتاه سجاياه

وأعلا في ذوي العليا بالتأييد مرقاه وآتاه حلي فضل عظيم فتحلاّه

وقد قال رسول الله قولاً قد رويناه وذو العلم بما قال إذا أدرك معناه

يرى الأخبار في المهدي جاءت بمسماه وقد أبداه بالنسبة والوصف وسمّاه

ويكفي قوله من لإشراق محيّاه ومن بضعته الزهراء مرساه ومسراه

ولم يبلغ ما أوتيه أمثال وأشباه فمن قالو هو المهدي ما ماتوا[1] بما فاه

قال: "قد رتع من النبوة في أكناف عناصرها، ورضع من الرسالة أخلاف أواصرها، وترع من القرابة بسجال معاصرها، وبرع في صفات الشرف فعقدت عليه بخياصرها، فاقتنى من الأنساب شرف نصابها، واعتلا عند الانتساب على شرف أحسابها، واجتنى جنى الهداية من معادنها وأسبابها، فهو من ولد الطهر البتول، المجزوم بكونها بضعة من الرسول، فالرسالة أصلها وإنها لأشرف العناصر والأصول"[1]، انتهى.

---

١) أي: ما كذبوا. (منه رحمه الله).

١) مطالب السؤول: ٤٨٠.

فمن تدبّر في هذه الكلمات المضيئة بنور الحق استنارت بصيرته وعرف أن صريحها مضمون سابقها، فكل من قال من أهل السنة بقولنا من أن الإمام المنتظر هو الذي توفي عنه أبوه الحسن العسكري عليه السلام وهو ابن خمس سنين أو أقل، لابد وأن يعترف أنه عليه السلام قد أوتي العلم، وإلاّ لا يكون هو الخلف القائم الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فترى بعضهم يعترف إجمالاً وبعضهم يقرر تفصيلاً.

وممن قال ببعض ما حررناه عن المسعودي في كتاب (إثبات الوصية): الشيخ محمد بن علي بن الحسين قدس سره صاحب كتاب (الغيبة)[1]، فإنه نقل كلام الحجة القائم في يوم ولادته لما استنطقه أبوه عليه السلام ، وكذلك في اليوم السابع كما حررناه آنفاً، وقد حرر ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) أنه عليه السلام أوتي العلم والحكمة وهو ابن خمس سنين[1].

ومما في (الفصول) شاهداً على ما نقول في أن أئمتنا عليهم السلام أوتوا العلم صغاراً: ما رواه عن صفوان حينما سأل الرضا عليه السلام عن الإمام بعده، قال صفوان: فأشار بيده إلى أبي جعفر وهو قائم بين يديه وعمره إذ ذاك ثلاث سنين، فقلت: وهذا ابن ثلاث! فقال: «**وما يضرّه من ذلك! فقد قام عيسى بالحجّة وهو ابن أقلّ من ثلاث سنين**».

---

١) هكذا في ينابيع المودة: ج ٣ ص ٣٠١ ب ٧٩.

١) الفصول المهمة: ج ٢ ص ١٠٩٦ ـ ١٠٩٧.

وفيه: عن معمر بن خلاّد عن الرضا عليه السلام قال في أثناء حديثه: «**هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي وصيّرته مكاني**» وقال: «**إنّا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذّة بالقذة**»[١]. انتهى.

والظاهر أن الشيخ المذكور يعترف بهذا العموم.

ومما يدل عليه ما ذكره في كلامه الجليل في حقهم عليهم السلام جميعاً قد استدل به على ذلك في "فصل علم الحسين" عليه السلام فإليك نصه:

"قال بعض أهل العلم: "علوم أهل البيت لا تتوقّف على التكرار والدرس، ولا يزيد يومهم فيها على ما كان في الأمس؛ لأنهم المخاطبون في أسرارهم والمحدّثون في النفس. فسماء معارفهم وعلومهم بعيدة عن الإدراك واللمس، ومن أراد سترها كمن أراد ستر وجه الشمس، وهذا ممّا يجب أن يكون ثابتاً مقرّراً في النفس، فهم يرون عالم الغيب في عالم الشهادة، ويقفون على حقائق المعارف في خلوات العبادة، وتناجيهم ثواقب أفكارهم في أوقات أذكارهم بما تسنّموا به غارب الشرف والسيادة، وحصلوا الصدق توجيههم إلى جناب القدس فبلغوا به منتهى السؤال والإرادة، فهم كما في نفوس أوليائهم ومحبّيهم وزيادة، فما تزيد معارفهم في زمان الشيخوخة على معارفهم في زمن الولادة. وهذه أمور تثبت لهم بالقياس والنظر، ومناقب واضحة الحجول بادية الغرر، ومزايا تشرق إشراق الشمس والقمر، وسجايا تزين عيون التواريخ وعنوانات الأثر. فما سألهم

---

١) ن، م، ص ١٠٣٥ ـ ١٠٣٦.

مستفيد أو ممتحن فوقفوا، ولا أنكر منكر أمراً من الأُمور إلاّ علموا وعرفوا، ولا جرى معهم غيرهم في مضمار شرف إلاّ سبقوا، وقصر محاورهم وتحلّقوا سنّةً جرى عليها الذين تقدّموا منهم وأحسن أتباعهم الذين خلفوا، وكم عانوا في الجدال والجلاد أموراً فبلغوها بالرأي الأصيل والصبر الجميل فما استكانوا ولا ضعفوا، فبهذا وأمثاله سموا على الأمثال وشرفوا.

تقرّ الشقاشق إذا هدرت شقاشقهم، وتصغي الأسماع إذا قال قائلهم أو نطق ناطقهم، ويكشف الهوى إذاً أ فلست به خلايقهم، ويقف كلّ ساع عن شَأوِهِم فلا يدرك فايتهم ولا ينال طرايقهم، سجايا مَنحهم بها خالقهم، وأخبر بها صادقهم، فسُرّ بها أولياؤهم وأصدقاؤهم، وحزن لها مباينهم ومفارقهم. وقد حلّ الحسين عليه السلام من هذا البيت الشريف في أوجّه وارتفاعه، وعلا محلّه فيه علوّاً تطامنت النجوم عن ارتفاعه، واطّلع بصفا سرّه على غوامض المعارف، فانكشفت له الحقايق عند اطّلاعه، وطار صيته بالفضائل والفواضل فاستوى الصديق والعدوّ في استماعه، ولمّا انقسمت غنائم المجد حصل على صعابها ومرتاعه، فقد اجتمع فيه وفي أخيه عليهما السلام من خلال الفضائل ما لا خلاف في اجتماعه. فكيف لا يكونا كذلك وهما أبنا عليّ وفاطمة وسبطان لمن كان سيد النبيين والمرسلين وخاتمهم"[1]. انتهى.

---

١) الفصول المهمة: ج ٢ ص ٧٦٣ ـ ٧٦٤.

فتبصر فيه كي تستضيء بنور هداه فيه تستدل مانقرره من كون علمهم كلهم لدنيا إلاهياً في جميع أحوالهم من الطفوله والشيخوخه وما بينهما، وقد عرفت فيما حررناه من الكلام في

وفيه أيضاً: كلام الإمام موسى الكاظم عليه السلام في مهده لبعض أصحاب أبيه في قضية لطيفه أمره عليه السلام فيها بتغيير اسم ابنته[١].

وفيه: أنه عليه السلام حينما كان عمره خمس سنين أجاب أبا حنيفة عن مسائلة لطيفة قصد بها امتحانه (سلام الله عليه)[١].

حاله الطفولة من الإمام الجواد والحجه القائم عليهما السلام عن كتاب (إثبات الوصية) وغيره ما فيه كفايه. (منه رحمه الله).

١) هذه رواية الكافي: ج ١ ص ٣١٠، عن يعقوب السراج قال: دخلت على أبي عبد الله وهو واقف على رأس أبي الحسن موسى وهو في المهد، فجعل يُسارّه طويلاً، فجلست حتى فرغ، فقمت إليه فقال لي: «**ادنُ من مولاك فسلم**»، فدنوت فسلمت عليه فرد علي السلام بلسان فصيح، ثم قال لي: «**اذهب فغير أسم ابنتك التي سميتها أمس، فإنه اسم يبغضه الله**»، وكان ولدت لي ابنة سميتها بالحميراء، فقال أبو عبد الله عليه السلام : «**انتهِ إلى أمره تُرشد**»، فغيرت اسمها.

١) هذه رواية الاحتجاج، قال: وروي أنه دخل أبوحنيفة المدينة ومعه عبدالله بن مسلم فقال له: يا أبا حنيفة إن ههنا جعفر بن محمد من علماء آل محمد عليهم السلام فاذهب بنا إليه نقتبس منه علماً. فلما أتيا إذا هما بجماعة من شيعته ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه، فبينما هم كذلك إذ خرج غلام حدثٌ فقام الناس هيبة له، فالتفت أبوحنيفة فقال: يا ابن مسلم، من هذا؟ قال: هذا موسى ابنه. قال: والله لأجبهنّه بين يدي شيعته. قال: مه، لن تقدر على ذلك، قال: والله لأفعلنه. ثم التفت إلى موسى عليه السلام فقال: يا غلام، أين يضع الغريب حاجته في بلدتكم هذه؟ قال: «**يتوارى خلف الجدار، ويتوقّى أعين الجار، وشطوط الأنهار، ومسقط الثمار، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، فحينئذ يضع حيث شاء**». ثم قال: يا غلام، ممن المعصية؟ قال: «**يا شيخ، لا تخلو من ثلاث: إما أن تكون من الله، وليس من العبد شيء، فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله. وإما أن تكون**

وفيما حررنا من البراهين الواضحة التي أشرقت منها شمس الحق والحجج المنيرة في محجة الهداية كفاية، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[١].

من العبد ومن الله، والله أقوى الشريكين، فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه. وإما أن تكون من العبد، وليس من الله شيء، فإن شاء عفى وإن شاء عاقب». قال: فأصابت أبا حنيفة سكتة كأنما ألقم فُوه الحجر، قال: فقلت له: ألم أقل لك لا تتعرض لأولاد رسول الله ﷺ . الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٨٧.

١) سورة ق، الآية ٣٧.

النظرة السابعة

البيان في بقية اللحاظ على سليم البشري من ناحية الأئمة عليهم السلام والإلفات لمودتهم وعلو قدرهم وأرجحية مذهبهم عليهم السلام

وفيه اعتراف بعض المنصفين من إخوننا المسلمين، فكل نفس تجردت من العصبيات والتقاليد لابد وأن يشرق عليها نور الحق ماحياً لظلمات الباطل، فيا ذا القلب السليم، هل الأحرى بك أن لا تكون من الناظرين المنصفين، فانظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال، ولتكن ممن يعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال، فإنك إذا كنت كذلك رأيت ببصرك شموس الحق مشرقة بأنوار الهدى فيما قررناه إلى هذه الصحيفة[1]؛ حيث تعلق الغرض بإلفات القارئ لغلط الشيخ سليم البشري في كلمته المتقدمة[2]، فإنه جعل بظاهر كلامه أئمتنا الاثنى عشر عليهم السلام كغيرهم في اكتساب العلوم وتمحيصها إلا أنه ميّزهم على أئمة المذاهب الأربعة باتفاقهم عليهم السلام على تمحيصهم مذهباً واحداً، وهذا حطٌّ من قدرهم عليهم السلام لو التفت؛ فإنهم من المصطفين الأخيار الذين اصطفاهم الله من عباده وأورثهم

---

١) من صفحة ١١٢ إلى هذه الصفحة.

٢) في النظرة الثانية، صفحة ٦٦.

كتابه الذي فيه تبيان كل شيء ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[1]. وهذا البرهان النيّر وأمثاله ـ مما يقطع حجج المجادلين ـ قد أوضحناه فيما أسلفناه[2]، فثبت أن علمهم عليهم السلام إشراقي إلهامي بالفيض المحمدي، وهو ليس بكسبي... والخلاصة: كما قال سيدهم عليه السلام: «**لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد**»[3].

ثم إن قول الشيخ سليم "إن مذهباً واحداً يمحّصه اثنا عشر رجلاً أولى بالاتّباع".. مغالطة لا تُقبل! أليس من الجائز أن يسأل: هل أن مذهب أمير المؤمنين علي عليه السلام قبل قيام ابنه الحسن الزكي عليه السلام كامل أم ناقص؟

وهكذا يجري السؤال في كل إمام إلى آخرهم عليهم السلام ...

فإن قال: إنه ناقص، فقد خرج عن الحدود الشرعية، بل عن الحدود الإنسانية، وأعيذه بالله وأمثاله من المسلمين المنصفين من ذلك.

---

١) سورة آل عمران، الآية ٧.

٢) في النظرة الثانية.

٣) نهج البلاغة، ذيل الخطبة الثانية كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يُقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأمة أحد، ولا يسوّى بهم مَن جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي». نهج البلاغة: الخطبة الثانية.

وقال لطارق بن شهاب: «جَلَّ مقام آل محمد عن وصف الواصفين ونعت الناعتين، وأن يقاس بهم أحد من العالمين، وكيف وهم النور الأول، والكلمة العليا، والتسمية البيضاء، والوحدانية الكبرى، التي أعرض عنها من أدبر وتولى، وحجاب الله الأعظم الأعلى، فأين الأخيار من هذا ؟ وأين العقول من هذا؟... الخير». مشارق أنوار اليقين: ص ١٧٨.

وإن قال: إنه كامل، فما معنى هذا التمحيص والتقرير؟ ... فإن مذهبهم (صلى الله عليهم) مذهب جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فليس هم عليهم السلام إلاّ حفاظ شرعه الأقدس وعلمه الأكمل، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾.

وغير خفي على القارئ ما مرّ منا حيث يدرس ما حررناه، فإنه يرى حجج الحق قائمة وأنواره مشرقه بأن علمهم عليهم السلام لدنّي لا كسبي، وإلا كيف تتأتى لهم تلك العلوم الباهرة والحكم العظيمة وهم في صغر السن كما أسلفناه في حق السجاد والكاظم والجواد والقائم (عليهم الصلاة والسلام) وكذلك الإمام الهادي عليه السلام ـ كما أشرنا إليه في النظرة السادسة[1] ـ من حين كان عمره ست سنين أو تزيد، وقيامة بالإمامة بعد أبيه ثابت، وقد اعترف بذلك غير واحد، كما قدمناه.

وبالجملة، إن قدر العترة الطاهرة رفيع عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولأجله صلى الله عليه وآله وسلم فرض الله تعالى مودّتهم على الأمة، وهذا مشترك بيننا وبين الجمهور في عموم من انتسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان من الصالحين، وللأئمة المعصومين الاثنى عشر عليهم السلام عندنا الخصوصية العظيمة ألا وهي الرئاسة العامة والولاية المطلقة، وهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى بنا من أنفسنا، وقد تكررت على ذلك أدلتنا، فأحكامهم في الدين أحكام الله الواقعية، والواقع

---

١) [في صفحة ١٤٧] نقلاً عن (إثبات الوصية)، وبعد ذلك وقفت عليه في (مطالب السؤول) وفي (الإيقاد) عن (المناقب). (منه رحمه الله).

منكشف لهم في كل ما علموه بدون أدلة كسبية. وقد اتضح ذلك بما لا مزيد عليه، وفيه عدة أدلة من علماء السنة من أكابر متقدميهم، وأما علماؤهم المعاصرون فكلما تقدموا في العلوم الدينينة والأخلاقية اتضح لهم تفوق أهل البيت المعصومين عليهم السلام عليٌّ أمير المؤمنين والأحد عشر من ولده الطاهرين، فهم عليهم السلام عند المنصفين منهم على حد تعبير أبيهم سيد الكل علي عليه السلام: «**لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد**»[١].

وقد ذكرنا آنفاً عدّة من العلماء المنصفين من المصريين واللبنانيين ممن جعلوا لآل الرسول المعصومين عناية خاصة، فهم يتفاخرون بمؤلفاتهم في حقهم عليهم السلام، وقد أسلفنا عدة منها، فراجع[٢].

ففضلهم عليهم السلام لم يزل يعلو ويتقدم بتقدم العلم إلى الأمام في كل وقت، ولكنه يتفاوت في ذلك بمقتضيات الظروف التي يتنبه فيها بعض الرجال المصلحين، فراجع مجلة الأحد المصرية، العدد ٤٣٩ السنة التاسعة، التاريخ ٦/ ١/ ١٣٧٨، ففيها إعلان الشيخ محمود شتلوت رئيس الجامع الأزهر بمصر بتقريره جعل كرسي للمذهب الجعفري في الجامع؛ كي يُدرس فيه العلوم الدينية والأخلاقية والسياسات الإنسانية، فقوانين المذهب الجعفري المحمدي العلوي حافلة بكل خير.

---

١) مرَّ تجريجها في صفحة ١٥٨.

٢) انظر: ج ٢ ص ٢١٧.

وقد عرض الشيخ المذكور رأيه على كثير من العلماء ومنهم بعض كبراء العلماء اللبنانيين فاستحسنوه وحبّذوه. ولكل منهم كلمة في ذلك حسب ما جاءت به أفكاره النيّرة بالإنصاف، ولقد أحببت منها كلمة الشيخ مصطفى الرافعي، فإليكها حرفياً: "أما الاختلاف الحاصل في الفروع ـ أي في المسائل الفقهية ـ فهو بدوره أيضاً لا يزيد على الاختلاف الحاصل بين المذهب الحنفي والمذهب الشافعي مثلاً من مذاهب أهل السنة، وفي كثير من هذه الاختلافات القائمة بين مذاهب أهل السنة والمذهب الجعفري، لا يتردد المدقق المنصف في ترجيح الأدلة التي استندت إليها المذهب الجعفري على الأدلة التي استند عليها مذاهب أهل السنة".

ولعمري، لقد أجاد وأحسن بما استنارت به فكرته حيث نظر بعين بصيرة الإنصاف فأصاب غرض النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من حثّه الأمة على التمسك بالعترة المعصومة عِدل كتاب الله **«ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا»** ، وهو المسك كلما انتشر تضوّع أرجه[١].

لكنه لا يخفى على القارء المميز أن كلام الشيخ مصطفى لابد وأن يُوجّه إلى ما استنبطه علماء آل محمد عليهم السلام من الأحكام، خصوصاً في زمان الغيبة، فباب العلم الواقعي مسدود، وباب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه،

---

١) كأنما استلهمها المصنف رحمه الله من قول ابن أبي الحديد في وصف أمير المؤمنين عليه السلام: "وكان كالمسك كلما سُتر انتشر عرفه، وكلما كتم تضوع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار ان حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة". انظر: شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ١٧.

وبه مُيّزنا على غيرنا من أهل المذاهب الأربعة، وقد تعرّضنا[١] لوجه وقوع الاختلاف في الفروع الفقهية بين علمائنا وأنهم متّحدون في أصل المستند، فينبوع أحكامهم واحد، ولهم كليات مسلّمة بينهم يعتمدون عليها، كالأدلة العقلية المؤيَّدة بما تلقّوه عن النبي ﷺ وعن آله المعصومين الكرام عليهم السلام كالاستصحاب والبراءة العقليين والشرعيين، والاحتياط الذي هو سبيل النجاة عند غَمّ الدليل على المجتهد، فهم وإن اختلفوا في بعض الفروع إلاّ أنهم متحدون في تلك الكليات المعصومية.

وغير خفي خصوصية فتح باب الاجتهاد في الأحكام، كما لا يخفى قُبح الجمود على تلك الآراء الأربعة مع اختلافهم الكثير الناشئ من القياس والاستحسان وفعليات المصالح عندهم. أو ليس سد باب الاجتهاد عثرةٌ في تقدم علماء الدين إلى الأمام؟ أوليس يحصل الاجتهاد بتنقيح أحكام شرع الإسلام بتمحيص الأخبار المختلفة؟ أولم ترَ ـ يا ذا اللّب الصحيح ـ أن كلام الشيخ مصطفى من ترجيح أدلة مذهبنا من أحسن ما يجتنيه ذوو الآراء السليمة في طريق الإنصاف؟

هذا... ولا تنسَ ما زيّفناه من كلام الشيخ سليم البشري في نسبة تمحيص الأحكام إلى أئمتنا الاثني عشر عليهم السلام . ولقد رددناه بما لا يُدافع من الحجج القائمة والأدلة المحكمة من أن علومهم عليهم السلام واقعية، نبوية إلهية.

---

١) راجع: "النظرة الثانية" من هذا الجزء، ص ٦٦ وما بعدها.

النظرة الثامنة

في الإشارة إلى بعض ما خصهم به الله تعالى
ومنها إخباراتهم عليهم السلام بالغيبيات

لم نختص نحن الشيعة بإخباراتهم عليهم السلام بالغيبيات، بل اعترف بهذا غير واحد من علماء أهل السنّه، ومنهم: إبن أبي الحديد، فقد صرّح بذلك في حق أمير المؤمنين علي عليه السلام في شرحه، فإليك بعضاً من قوله، ونصه:

"ولقد امتحنا أخباره عليه السلام فوجدناها موافقةً، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوات المذكورة، كإخباره عليه السلام عن الضربة التي يضرب في رأسه فتُخَضّبُ لحيته..". وعدَّ أموراً كثيرة حتى أحصى أحداً وثلاثين أمراً[(١)].

وقد عَرَفْتَ فيما سبق تمسكنا معشر الشيعة في دفع الإشكال عن علمهم عليهم السلام بالمغيبات بقوله عليه السلام: «**إنما هو تعلم من ذي علم**»، وغيره بمعناه مروي في كتب الفريقين، فتخصص الله تعالى بعلم الغيب إنما هو بالذات، وقد أسلفنا تحقيقه، فراجع[(٢)].

---

١) شرح نهج البلاغة: ج ٧ ص ٤٨.

٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٨، وراجع: الجزء الثاني، النظرة العاشرة، ص ١٧٥ ـ ١٧٩.

ومن إخواننا: عبد العزيز سيد الأهل المصري المعاصر[١]، فإنه حرر كلاماً جليلاً في حق إمامنا جعفر الصادق عليه السلام في كتابه[٢] الموسوم بـ(جعفر بن محمد، الإمام الصادق) عليه السلام . فقد ذكر فيه علم الإمام عليه السلام بالغيب، وقد نقلناه في كتابنا (النظرات) لكن لا بأس أن نحرر منه كلمات قليلة الألفاظ كبيرة المعاني. قال في أثناء كلامه: "والحق الذي يقال إن التعبير عن العلم بأنه نكتٌ في القلوب كلام ليس به بأس"... وأخذ في بيانه إلى أن قال: "وللصادق أمور في الإنباء بما يحدث، وقد أمتد بين إنبائه بالحوادث ووقوعها أحياناً بعد أمد طويل وأحياناً لم يمر أمد"...[٣]. انتهى.

ثم ذكر بعد ذلك قصة تبشيره صاحب القباءِ بالخلافة[١] فإنها مشهورة،

---

١) ولد بمصر سنة (١٩٠٢م) في مدينة المنصورة، وتوفي بالقاهرة سنة (١٩٨١م). عاش متنقلاً بين مصر وفلسطين ولبنان وسورية. عمل مدرساً ثم ممثلاً لوزارة المعارف في سورية وفلسطين ولبنان، ثم رئيساً للبعثة التعليمية في سورية ولبنان، ثم ملحقًا بالسفارة المصرية بلبنان، ثم مستشاراً ثقافياً بها، واختتم حياته أستاذاً بمعهد الدراسات الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية. كان عضواً بمجلس إدارة المركز العام للشبان المسلمين، وعضواً بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ومؤسس دار الحديث بمصر. له أكثر من ثمانية وسبعين مؤلفاً، منها: كتابه المشار إليه حول الإمام الصادق عليه السلام.

٢) طبعته دار الشرق الجديد، في بيروت، عام ١٩٥٤ م، وطبعه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة عام ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م.

٣) جعفر بن محمد، الإمام الصادق: ص ١٦٤ ـ ١٧٦.

١) ذكر أهل السيَر أنّ عبد الله المحض بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط رضي الله عنهم كان شيخَ بني هاشم في زمانه، وهو والد محمّد الملقّب بالنفس الزكيّة ووالد إبراهيم أيضاً، فلمّا

وقصة إخباره بقتلى فخ[١].

ومنهم: الشيخ الجليل الزجّاج، وقد حرر له في ذلك كلاماً جليلاً[١]، وأثنينا عليه وتشكّرنا منه بما انتصر للحق برد إرجاف المرجفين بشيعة أمير المؤمنين وأولاده الأئمة المعصومين عليهم السلام، فاتضح من مطاوي ما حررناه أن علمهم عليهم السلام بالمدد من تعليمه تعالى وتعليم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

كان في أواخر دولة بني مروان وضعفهم أراد بنو هاشم أن يبايعوا منهم مَن يقوم بالأمر، فاتّفقوا على محمّدٍ وإبراهيم ابنَي عبدالله المحض، فلمّا اجتمعوا لذلك أرسلوا إلى جعفر الصادق عليه السلام ، فقال عبدالله: إنّه يُفسد أمرَكم. فلمّا دخلوا على جعفر الصادق سألهم عن سبب اجتماعهم، فأخبروه، فقال لعبدالله: «**يا ابنَ عمّي، إنّي لا أكتم خيريّة أحدٍ من هذه الأمّة إن استشارني، فكيف لا أدلّ على صلاحكم!** »، فقال عبدالله: مُدَّ يدَك لنبايعك، قال جعفر: «**واللهِ إنّها ليست لي ولا لابنَيك، وإنّها لصاحبِ القباء الأصفر، والله ليلعبنّ بها صبيانهم وغلمانهم**». ثمّ نهض وخرج. وكان المنصور العبّاسي يومئذٍ حاضراً وعليه قباءٌ أصفر، فكان كما قال. **انظر**: ينابيع المودة: ج ٣ ص ٥٠ آخر باب ٦٠، الصواعق المحرقة: ص ١٢١، جواهر العقدين: ص ٤٨٠.

١) روى أبو الفرج الأصفهاني أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرّ مع أصحابه بفخ، فقال: «**يقتل ها هنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة، تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة**». مقاتل الطالبيين: ص ٢٨٩.

وروى عن الإمام الباقر عليه السلام أن جبرئيل قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : «**يا محمد إن رجلاً من ولدك يُقتل في هذا المكان، وأجر الشهيد معه أجر شهيدين**». مقاتل الطالبيين: ٢٩٠.

١) راجع: الجزءالثاني، النظرة العاشرة، ص ١٧٩.

ومن تلك الحجج النيّرة: ما استدل به سيدنا ومولانا وإمامنا موسى الكاظم (عليه وعلى آبائه الصلاة والسلام) من قوله تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾(١) وقد تقدم الكلام عليها.

والخلاصة: إن الغيب لله تعالى بلا إشكال عند كل مسلم، كما لا إشكال في إمكانه ووقوعه من الأنبياء والأولياء (عليهم الصلاة والسلام). وقد اعترف بهذا غير واحد من علماء الفريقين، وإخبارات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين علي عليه السلام بالغيبيات مما هو مسلّم عند المسلمين، وذلك بتعليم الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وتعليمه صلى الله عليه وآله وسلم وصيه عليه السلام .

وقد تقدمت منا الأدلة الساطعة منوعة على هذا المعنى، فمما حررناه قوله تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً**﴾(٢)، وهو صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الرسول بلا امتراء، وورثه صلى الله عليه وآله وسلم آلُهُ (صلوات الله عليهم)، وقد أثبتنا ذلك في الجزء الثاني بكثير من الأخبار.

وإذ عرفت أن الرسول المشار إليه هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو عالم بالمغيبات، وقد أخبر بكثير منها، فلابد أن تعرف أن لازم ذلك عصمته صلى الله عليه وآله وسلم في كل خصلة وعلى كل حال، من الأمور الشرعية والتكوينية، وفي كل صغيرة وكبيرة، من الموضوعات والتكاليف، عمداً وسهواً، كما أوضحناه في النظرة الثامنه من الجزء الثاني.

---

١) سورة النمل، الآية ٧٥. انظر: الجزء الثاني، النظرة العاشرة، ص ١٧٥.

٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٥.

النظرة التاسعة

في بيان تأييد الله النبيَ صلى الله عليه وآله وسلم بالعنايات الخاصة بالملائكة والوصي والتنويه بفضلهما وفي بيان بعضٍ من هجرته صلى الله عليه وآله وسلم

الكلام في بقية بعض معاني العصمة وما منح الله (عز وجل) نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ووليه عليه السلام من العناية الخاصة، فتبصر فيما تقرأ ترى فيها شموس الحق مشرقة بنور الهدى، مستمدة الأنوار من ولاة مذهب الشيعة... فعصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام من الذنوب ـ على ما قررناه ـ هو من مختصاتنا[1] التي استقينا أصولها من بحر علم نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وأئمتنا عليهم السلام... إن هذا لهو حق اليقين، فـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾.

ولا يخفى أن للعصمة معنيين: عصمة من كل الذنوب، وعصمة من الأخطار والآفات وجور الأعداء ومن كل سوء ومكروه ، فصاحبها محفوظ بالله مما يخاف ويحذر، وهي متحققة لنبينا (صلوات الله عليه وآله)، وقد عصمه الله من كيد أعدائه ومكرهم ورد كيدهم في نحورهم، وربما في

---

١) ما ذكرناه إنما هو في عصمة الأئمة عليهم السلام، فنختص بها بنحو الحتم والوجوب عقلاً ونقلاً، وأما عصمة الأنبياء عليهم السلام فيشترك فيها معنا أهل السنة من أول عمرهم عليهم السلام أو من حين البعثة، على الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة. (منه رحمه الله).

بعض الموارد تسلطوا عليه ﷺ بنحو الإيذاء والإهانة ولم يمنعهم تعالى حسب المصالح والحكم. ومنها إكمال الحجة عليهم وتمكينهم من فعل الخير والشر كي يتحقق الاختيار وينتفي الجبر في التكاليف، وهو تعالى قضت إرادته بتأييد نبيه ﷺ وإظهار دينه، وإذا أراد الله تعالى شيئاً بالإرادة التكوينية فلابد أن يكون؛ إذ لا متصرف في الكون سواه، لا إله إلا الله القادر المقتدر العزيز الجبار، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾.

قال أمين الإسلام رضي الله عنه في تفسيرها ما نصه: "أي كتب الله في اللوح المحفوظ، وما كتبه فلابد من أن يكون، أجرى قوله ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ مجرى القسم، فأجابه بجواب القسم. قال الحسن: ما أمر الله نبياً قط بحرب إلا غلب إما في الحال أو فيما بعد. وقال قتادة: كتب الله كتاباً فأمضاه: ﴿لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾، ويجوز أن يكون المعنى: قضى الله ووعد ﴿لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجج والبراهين، وإن جاز أن يغلب بعضهم في الحرب، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي غالب قاهر لمن نازع أولياءه... الخ"[1].

ومن أظهر مصاديق قهره (جل وعلا) أعداءَه: ما كان لسيد أنبيائه ﷺ وخصوصاً في قضية هجرته ﷺ حينما مات عمه وكافله والمحامي عنه، شيخ البطحاء، أبو طالب ابن شيبة الحمد عبد المطلب رضي الله عنهما ، فأمره الله بالهجرة وعصمه من أضداده ومعانديه ـ وهم قومه قريش ـ أهل التيه والطيش ـ وهم الذين كفروا ـ المرادون بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ

١) مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٢١.

كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1]، وإليك سبب نزولها وتفسيرها من (مجمع البيان) لأمين الإسلام، قال رضي الله عنه ما نصه:

قال المفسرون: إنها نزلت في قصة دار الندوة، وذلك أن نفراً من قريش اجتمعوا فيها ـ وهي دار قصي بن كلاب ـ وتآمروا في أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال عروة بن هشام: "نتربص به ريب المنون". وقال أبو البختري: "أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه". وقال أبو جهل: "ما هذا برأي، ولكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل، فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد، فترضى حينئذ بنو هاشم بالدية". فصوّب إبليس هذا الرأي، وكان قد جاءَهم في صورة شيخ كبير من أهل نجد، وخطّأ الأولين. فاتفقوا على هذا الرأي، وأعدّو الرجال والسلاح، وجاء جبرئيل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فخرج إلى الغار، وأمر علياً عليه السلام فبات على فراشه، فلما أصبحوا وفتّشوا الفراش وجدوا علياً، وقد ردّ الله مكرهم، فقالوا: أين محمد؟ فقال: «لا أدري». فاقتصوا أثره، وأرسلوا في طلبه، فلما بلغوا الجبل ومرُّوا بالغار رأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: "لو كان ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه". فمكث فيه ثلاثاً ثم قدم المدينة. انتهى سبب النزول.

واليك التفسير ما نصه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي واذكر إذ يحتال الكفار في إبطال أمرك ويدبرون في هلاكك ـ وهم مشركو العرب

١) سورة الأنفال، الآية ٣٠.

ومنهم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والنضر بن الحارث، وأبو جهل بن هشام، وأبو البختري بن هشام، وربيعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، وأمية بن خلف وغيرهم ـ.

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ أي ليقيّدوك في الوثاق، عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة. وقيل: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ في الحبس ويسجنوك في بيتٍ، عن عطا والسدي. وقيل معناه: ليثخنوك بالجراحة والضرب، عن أبان بن تغلب، والجبائي، وأبو حاتم، وأنشد:

فقلت ويحك ماذا في صحيفتكم   قالوا الخليفة أمسى مثبتاً وجعا

﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة إلى طرف من أطراف الأرض. وقيل: ﴿يُخْرِجُوكَ﴾ على بعير ويطردونه حتى يذهب في وجهه.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ أي ويدبرون في أمرك، ويدبر الله أمرهم، عن أبي مسلم. وقيل: ويحتالون في أمرك من حيث لا تشعر، فأحلّ الله بهم ما أراد من عذابه من حيث لا يشعرون، عن الجبائي. وقيل: ﴿يَمْكُرُونَ﴾ والله تعالى يجازيهم على مكرهم، كما قال سبحانه ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾.

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ لأنه لا يمكر إلا ما هو حق وصواب، وهو إنزال المكروه بمن يستحقه، والعباد قد يمكرون مكراً هو ظلم وباطل، ومكرهم الذي هو عدل لا يبلغ في المنفعة للمؤمنين مبلغ مكر الله، فلذلك قال: ﴿خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ . وقيل معناه: خير المجازين على المكر[1]، انتهى.

---

١) مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨.

وقد روى مضمون القصة غير واحد من المفسرين والمؤرخين من الفريقين، فهو من المسلمات عندهم، غير أن بعضهم يُفصّل وبعضهم يُجمل، فمنهم ابن أبي الحديد في (شرح النهج)[١]، ومنهم كمال الدين الشافعي في (مطالب السؤول)[٢]، ومنهم المسعودي، أشار إليه في (مروج الذهب)[٣] بنحو الإجمال[٤].

وذكره في (إثبات الوصية)[١]، فإليك رواية منها فيها سرور الشيعة، فدونكها من كلامه ونصه: "فروي أن الله (جلّ وعلا) واخى بين ملائكته المقربين، فآخى بين جبرئيل وميكائيل ثم أوحى إليهما: **«إن كتبت على أحدكما نائبة أو محنة عظيمة، هل فيكما من يقي أخاه بنفسه؟»** فقالا: نعم يا رب. فأوحى الله إليهما: **«إن كتبت على أحدكما الموت قبل أخيه، هل فيكما من يبذل مهجته ويفدي أخاه بنفسه؟»** قالا: نعم يا رب، فأوحى الله إليهما:

---

١) شرح نهج البلاغة: ج ١٣ ص ٢٦٢ و ٣٠٤.

٢) مطالب السؤول: ج ١ ص ١٣٨ـ ١٣٩.

٣) لم أقف عليه فيه، لاحظ: ج ١ ص ٤٤٧ ـ ٤٥٦ من ذكره هجرته ﷺ إلى وفاته.

٤) ومما ذكر في القصة شاهداً على المراد: "ثم خرج رسول الله ﷺ وأخذ قبضة من تراب، فأخذ الله تعالى بأبصارهم فلم يبصروه، ونزل التراب على رؤوسهم". ذكره ابن الصباغ المالكي في (الفصول)، وذكر مضمونه من أهل السنة: أبو جعفر الطبري في (التاريخ) وابن الأثير في (الكامل) . وذكره منّا: المحقق الكاشاني في (الصافي) والشيخ في (أماليه) كما نقل الثقة الشيخ المجلسي رضي الله عنه . (منه رحمه الله).

١) إثبات الوصية: ص ١٢٢.

«اهبطا إلى الأرض فأنظرا». فهبطا فوجدا أمير المؤمنين نائماً على فراش رسول الله ﷺ قد وقاه بنفسه من المشركين. فقالا : بخ، بخ، هذه الموآساة بالنفس"[١].

ولا بد أن يفهم القارئ أن الغرض من ذكرنا مباهاة الله ملائكته بمولانا ومولى المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) ليس إلا التنويه بعناية الحق تعالى بوليه ووصي رسوله وحبيبه ﷺ بإظهاره تعالى فضله عليه السلام في الملأ الأعلى، وتخصيصه المقربين منهم بالمباهاة؛ كي تعلم الخلق أن لا فضل لأحد بعد النبي محمد ﷺ إلا للوصى عليه السلام، فكما عصم الله تعالى وليه من الذنوب فقد عصمه من كيد أعدائه، بسبب حراسة العظيمين من ملائكته جبرئيل وميكائيل، وذلك تعظيم وتبجيل منه تعالى لوليه عليه السلام وإلا فهو (تعالى وتقدس) حافظه ومانعه من كيد أضداده بقدرته على كل حال،

١) والرواية المذكورة أورد مضمونها المالكي في (الفصول) وابن الجوزي في (التذكره) عن الثعلبي، ونقلها ابن الصباغ المالكي عن الغزالي بطريق آخر، وكذلك ابن عقبة في (ملاحمه) وأبو السعادات في (فضائل العترة) بحسب نقل الشيخ القندوزي في الباب الحادي والعشرين من (الينابيع)، وقد نقل فيه قضية مبيت الأمير عليه السلام على فراشه ﷺ من عدة طرق غير ما ذكرناه، ومنهم: الموفق بن أحمد والحمويني وأبي نعيم، والكل قد ذكر نزول الآية الكريمة في مبيته عليه السلام وهي قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾. ومن علمائنا: شيخنا أمين الإسلام الطبرسي، روى ذلك عن السدي عن ابن عباس، وروى ذلك الملا محسن الكاشاني في (الصافي) عن جماعة أهل السنه وأصحابنا، وقد ذكر ذلك أيضاً الشيخ الطوسي في (الأمالي). (منه رحمه الله).

فعصمته تعالى لحبيبه وحبيب رسوله علي أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما) نحوٌ من عصمته لرسوله محمد ﷺ . فغير خفي اتصال الشخصين وصفاً وفضلاً (صلى الله عليهما وآلهما)، فهما نفس واحدة. فتفدية أميرنا عليه السلام لنبينا ﷺ من أكبر الأسباب لنجاته ﷺ وهي الأساس المتين لدين الله القويم. وقد أشرنا إلى تحقيق فضلها في "الشعاع الثاني عشر" من (النظرة النفسية).

وعلى كل حال، فإن حفظ الله تعالى أمير المؤمنين وتأييده إنما هو تأييد وتسديد وعصمة لحبيبه وصفوته محمد بن عبد الله ﷺ .

ولا تنس من موارد عصمته تعالى لرسوله ﷺ قضية الغار، وقد ذكرها تعالى في سورة التوبة خلال تأنيبه المتثاقلين عن النهوض مع نبيه ﷺ لغزوة تبوك، فقال (تعالى وتقدس): ﴿**إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[١].

واليك البيان من كلام أمين الإسلام رضي الله عنه في (مجمع البيان)، فإنه رحمه الله من أعاظم علمائنا، وهو غير متّهم عند غيرنا؛ لأن الأغلب في كتابه المذكور من التفسير وذكر الآراء والروايات هو من طريق أهل السنه. قال رحمه الله في أثناء كلامه على معنى الآية ما نصه:

---

١) سورة التوبة، الآية ٤٠.

"قال الزهري: لما دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر الغار أرسل الله زوجاً من الحمام حتى باضا في أسفل الثقب، والعنكبوت حتى تنسج بيتاً. فلما جاء سراقة بن مالك في طلبهما، فرأى بيض الحمام، وبيت العنكبوت، قال: لو دخله أحد لانكسر البيض، وتفسّخ بيت العنكبوت، فانصرف. وقال النبي ﷺ : «**اللهم أعم أبصارهم**» فعميت أبصارهم عن دخوله، وجعلوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار، وقال أبو بكر: لو نظروا إلى أقدامهم لرأونا.

وروى علي بن إبراهيم بن هاشم قال: كان رجل من خزاعة فيهم، يقال له أبو كرز، فما زال يقفو أثر رسول الله ﷺ ، حتى وقف بهم باب الغار، فقال لهم: هذه قدم محمد ﷺ هي والله أخت القدم التي في المقام، وقال: هذه قدم أبي قحافة، أو ابنه، وقال: ما جازوا هذا المكان، إما أن يكونوا قد صعدوا في السماء، أو دخلوا في الأرض. وجاء فارس من الملائكة في صورة الإنس، فوقف على باب الغار، ونزل رجل من قريش، فبال على باب الغار، فقال أبو بكر: قد أبصرونا يا رسول الله ؟! فقال ﷺ : «**لو أبصرونا ما استقبلونا بعوراتهم**».

﴿**فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ**﴾ يعني: على محمد ﷺ، أي: ألقى في قلبه ما سكن به، وعلم أنَّهم غير واصلين إليه، عن الزجاج.

﴿**وَأَيَّدَهُ**﴾ أي: قواه ونصره.

﴿**بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا**﴾ أي: بملائكة يضربون وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه، عن الزجاج.

وقيل: معناه: قوّاه بملائكة يدعون الله تعالى له، عن ابن عباس.

وقيل: معناه: وأعانه بالملائكة يوم بدر، وأخبر الله سبحانه أنه صرف عنه كيد أعدائه، وهو في الغار، ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر، عن مجاهد، والكلبي. وقال بعضهم يجوز أن تكون الهاء التي في ﴿عَلَيْهِ﴾، راجعة إلى أبي بكر، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ الضمائر قبل هذا وبعده تعود إلى النبي ﷺ بلا خلاف في ذلك؛ في قوله: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾، وفي قوله: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ﴾، وقوله: ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ وقوله فيما بعد: ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ فكيف يتخللها ضمير عائد إلى غيره!

هذا وقد قال سبحانه في هذه السورة: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، وقال في سورة الفتح: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي ﷺ في هذه الآية بالسكينة كلاماً رأينا الإضراب عن ذكره أحرى، لئلا ينسبنا ناسب إلى شيء.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾ معناه: أن الله سبحانه جعل كلمتهم نازلة دنيّة، وأراد به أنه سفّل وعيدهم للنبي ﷺ وتخويفهم إياه، وأبطله بأن نصره عليهم، فعبّر عن ذلك بأنه جعل كلمتهم السفلى، لا أنه خلق كلمتهم.

﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ أي: هي المرتفعة المنصورة بغير جعل جاعل، لأنها لا يجوز إن تدعو إلى خلاف الحكمة.

وقيل: إن كلمة الكفار كلمة الشرك، وكلمة الله هي كلمة التوحيد، وهي قوله (لا إله إلا الله) فمعناه: جعل كلمة الكفار السفلى، بأن جعلهم أذلة أسفلين، وأعلى كلمة الله، بأن أعز الإسلام والمسلمين.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في انتقامه من أهل الشرك.

﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره[1]، انتهى.

ومنهم حجة الإسلام الغزالي في كتاب (إحياء العلوم) بنقل الثقة الجليل الشيخ محمد باقر المجلسي رحمه الله في (البحار) في باب هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه (أعلى الله مقامه) بعد أن نقل عن الغزالي حديث المباهالة وتفسير الآية المتقدمة أنها في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وفيه نكتة لطيفة فيها فضيلة شريفة لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم فاليكها حرفياً:

قال رضي الله عنه: "وساق حديث الغار إلى أن قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أتى الغار دعا بشجرة فأتته فأمرها أن تكون على باب الغار، وبعث الله حمامتين فكانتا على فم الغار، ونسج العنكبوت على فم الغار، ثم أقبل فتيان قريش، وكان أبو جهل قد أمر منادياً ينادي بأعلى مكة وأسفلها: من جاء بمحمد أو دلَّ عليه فله مائة بعير، أو جاء بابن أبي قحافة أو دل عليه فله مائة بعير، فلما رأوا الحمامتين ونسج العنكبوت على فم الغار انصرفوا، فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحمام، وفرض جزاءهن، وانحدرن في الحرم، ونهى عن قتل العنكبوت، وقال: «**هي جند من جنود الله**».

---

١) مجمع البيان: ج ٨ ص ٥٧ ـ ٥٨.

وروي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه: أن النبي ﷺ كان لا يتطيّر، وكان يتفأل، وكانت قريش جعلت مائة من الإبل فيمن يأخذ نبي الله ﷺ فيردّه عليهم حين توجه إلى المدينة، فركب بُريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم، فتلقى نبي الله، فقال نبي الله ﷺ : «**من أنت؟**» قال: بُريدة، فالتفت إلى أبي بكر فقال: «**يا أبا بكر: برد أمرنا وصلح**»، ثم قال: «**وممن أنت؟**»، قال : من أسلم. قال ﷺ : «**سلمنا**»، قال: ممن؟ قال: «**من بني سهم**»، قال: خرج سهمك. فقال بريدة للنبي ﷺ : من أنت؟ فقال: «**أنا محمد بن عبد الله، رسول الله**». فقال بريدة: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله). فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعاً، فلما أصبح قال بريدة للنبي ﷺ : لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء، فحلّ عمامته ثم شدّها في رمح، ثم مشى بين يديه، فقال: يا نبي الله، تنزل علي[1]؟ فقال له النبي ﷺ : «**إن ناقتي هذه مأمورة**»، قال بريدة: الحمد لله أسلَمتْ بنو سهم طائعين غير مكرهين[2]، انتهى.

وهذا الباب طويل، وفيه كلام قيّم، وتفاصيل جليلة بطرق مختلفة، فمنها: ما نقله رحمه الله عن (أمالي) الشيخ رضي الله عنه وهو حديث تضمن الهجرة بتفاصيل جيدة، وسنده مستطيل متسلسل في جماعة من أهل الحديث، منهم: أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر رضي الله عنه، وفي آخر السند قال أبو

---

١) هكذا النسخة، وينبغي أن تصلح هكذا: (على منزلنا). (منه رحمه الله).

٢) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٤٠.

عبيدة: وكان هؤلاء الثلاثة ـ هند بن أبي هالة وأبو رافع وعمار بن ياسر جميعاً ـ يحدثون عن هجرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة ومبيته قبل ذلك على فراشه.

وصدر هذا الحديث عن هند بن أبي هالة، ورواه عن الثلاثة هند وعمار وأبي رافع، وقد دخل حديث بعضهم في بعض، قالوا: كان الله (عز وجل) مما يمنع نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بعمه أبي طالب رضي الله عنه... وساق الحديث، وهو مستطيل، وفيه ذكر الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وفيها إخبار الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بكيد أعدائه. وقد ذكرناها آنفاً، وأخبره جبرئيل بأمر الله تعالى بما عزم له من الهجرة، فدونك بعض ما اجتبيناه، ونصه:

"ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب لوقته فقال له: **يا علي، إن الروح هبط علي بهذه الآية آنفاً يخبرني أن قريشاً جتمعت على المكر بي وقتلي، وإنه أوحى إلي عن ربي (عز وجل) أن أهجر دار قومي، وأن أنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي وأنه آمرني أن آمرك بالمبيت على ضجاعي ـ أو قال: مضجعي ـ لتخفي بمبيتك عليه أثرى، فما أنت قائل وصانع؟ فقال علي** عليه السلام : **أوَ تسلمنَّ بمبيتي هناك يا نبي الله؟ قال: نعم،** فتبسم علي عليه السلام ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً؛ شكراً لما أنبأه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سلامته، فكان علي عليه السلام أول من سجد لله شكراً، وأول من وضع وجهه على الأرض بعد سجدته من هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فلما رفع رأسه قال له: **امض لما امرتَ، فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومرني بما شئت أكن فيه**

كمسرتك واقع منه بحيث مرادك، وإن توفيقي إلا بالله، وقال: وأن ألقي عليك شبه مني، أو قال: شبهي؟ قال: إن يمنعني، نعم[1]، قال: فارقد على فراشي واشتمل ببردي الحضرمي، ثم إني أخبرك ـ يا علي ـ أن الله تعالى يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك ـ يا بن أمِ ـ وامتحنني فيك بمثل ما امتحن به خليه إبراهيم عليه السلام والذبيح إسماعيل عليه السلام فصبراً صبراً، فـ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾...

وأخذ في الحديث حتى ذكر خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقريش لم يروه، وقضية الغار، وبعدها قال ما نصه:

ثم وصّاه بحفظ ذمته وأداء أمانته، وكانت قريش تدعو محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في الجاهلية الأمين، وكانت تستودعه وتستحفظه أموالها وأمتعتها، وكذلك من يقدم مكة من العرب في الموسم، وجاءته النبوة والرسالة والأمر كذلك، فأمر علياً عليه السلام أن يُقيمَ صارخاً يهتف بالأبطح غدوة وعشياً: من كان له قِبَلَ محمدٍ أمانةٌ أو وديعةٌ فليأتِ فلنؤدِ إليه أمانته.

قال: فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «**إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا علي بأمر تكرهه حتى تقدم علي، فأدّ أماني على أعين الناس ظاهراً، ثم إني مُستخلفك على فاطمة ابنتي، ومستخلف ربي عليكما، ومستحفظه فيكما**». فأمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم من أزمع للهجرة معه من بني هاشم.

---

١) هذا غلط، والمعنى واضح، وهو إنعام علي عليه السلام وتشكره بعد التكليف. (منه رحمه الله).

ثم ذكر انتفاع النبي ﷺ بمال خديجة رضي الله عنها وصرفه له في منافع الدين وأهله، وذكر وصية النبي ﷺ للوصي عليه السلام بما يريد، وتعيين وقت هجرته عليه السلام بورود كتابه ﷺ على علي عليه السلام ومسير النبي، وبعد ذلك قال:

قال عبيد الله بن أبي رافع: وقد قال علي بن أبي طالب يذكر مبيته على الفراش مقام رسول الله وهو ﷺ في الغار ثلاثاً:

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجرِ
محمد لما خاف أن يمكروا به فوقاه ربي ذو الجلال من المكرِ
وبتّ أراعيهم متى ينشرونني وقد وطّنت نفسي على القتل والأسرِ
وبات رسول الله في الغار آمنا هناك وفي حفظ الاله وفي سترِ
أقام ثلاثاً ثم زمّت قلائص قلائص يفرين الحصى أينما تفري

ثم ذكر وصول رسول الله ﷺ قبا وتوقفه ﷺ عن دخول المدينة إلى مجيء علي عليه السلام ، وحديثه لأصحابه عن قضية الهجرة، وحديثه لأصحابه عن كيد أعدائه، ومبيت علي عليه السلام على فراشه، ومباهاة الله ملائكتَه به، حتى ذكر المحدث إرسال كتاب النبي ﷺ لعلي عليه السلام وأمره له بالهجرة حتى سار عليه السلام بالفواطم ومن تبعه من المهاجرين، وذكر لحوق الطلب من قريش به ورجوعهم خائبين؛ لما ظهر من سطوته، وسار عليه السلام حتى نزل بضجنان[1].

١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٦٠ ـ ٦٦. و"ضجنان": جبل قرب مكة، وجبل آخر بالبادية.

قال المحدث: ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين وفيهم أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ، فصلى ليلته تلك هو والفواطم: أمه فاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وفاطمة بنت الزبير، يصلون لله ليلتهم ويذكرونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزالو كذلك حتى طلع الفجر، فصلّى علي عليه السلام بهم صلاة الفجر ثم سار لوجهه، فجعل وهم [معه] يصنعون ذلك منزلاً بعد منزل، يعبدون الله (عز وجل) ويرغبون إليه كذلك، حتى قدم المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً... ـ إلى قوله تعالى ـ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى...﴾ الذكر علي، والأنثى فاطمة، و﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ يقول: علي من فاطمة، أو قال: الفواطم، وهن من علي[1]، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا

---

١) هذه الرواية أوردها الملا محسن في (الصافي) بتفاوت في بعض الألفاظ، مع أنه فسر الآية في عموم المؤمنين الدائمين على ذكر الله كما فسّرها أمين الإسلام في (المجمع)، ولا منافاة. فتخصيص المورد لا يخصص الوارد، ومن ثم قال في (الصافي) بشمولها لكل من اتّصف بالصفات المذكورة. لكنه لا يخفى على العالم المنصف خصوصية علي وفاطمة عليهما السلام، فلآل محمد عليهم السلام الخصوصية على كل أحد. فلنكرر الخبر العلوي، فهو المسك: «لا يُقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد» فهو أظهر المصاديق في كل صفات الكمال وخصال الخير. (منه رحمه الله).

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[١]، وتلا ﷺ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٢].

قال: وقال له: «ياعلي، أنت أول هذه الأمة إيماناً بالله ورسوله، وأولهم هجرة إلى الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله. لايحبك ـ والذي نفسي بيده ـ إلا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ولايبغضك إلا منافق أو كافر»[٣]. انتهى

ثم اعلم أن طرق الروايات في هذا الباب وإن اختلفت لتفاوتٍ في الألفاظ أو زيادة أو نقص، لكنها تتحدى في المؤدى، وفيها قدرٌ جامع بين أهل السير والتفسير والتاريخ، لا يختلفون فيه كما أشعرناك آنفاً من قضية النبي ﷺ في الغار، ومبيت الوصي عليه السلام على الفراش، وحفظ الله لهما، وهي العصمة بالمعنى الثاني الذي قصدناه، فلم يزالا (صلى الله عليهما وآلهما) منذ تكوينهما متصلين في كل عالم، والنبي ﷺ لا يفارق علياً إلا حسب الأوامر الإلهية، كما في بعثةٍ أوسريةٍ، حتى إنه ﷺ لما قدم المدينة قبل علي عليه السلام ـ كما عرفت ـ نزل في قبا وبقي خمسة عشر يوماً عند كلثم ـ وهو رجل صالح مكفوف البصر من شيوخ بني عمرو بن عوف ـ والناس يلحّون عليه بالمسير إلى المدينة وهو يمتنع حتى يوافيه علي أمير المؤمنين، فلما وافاه بعياله ساروا جميعاً إلى المدينة وأهلها متشوّقون إليه ﷺ، وكل

---

١) سورة آل عمران، الآيات ١٩١ ـ ١٩٥.

٢) سورة النساء، الآية ٢٠٧.

٣) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٦٦.

منهم آخذ بزمام ناقته، كلٌ يطلب الشرف بنزوله عنده، وهو يقول: «**دعوها فإنها مأمورة**» حتى مر ﷺ بمسجد بني سالم في زوال يوم الجمعة الثانية من شهر ربيع الأول، فصلى بهم صلاة الجمعة وخطب خطبتها، وهي أول صلاة جمعة صليت فيه، ثم سار حتى انتهت الناقة إلى باب المسجد الذي جعله ﷺ، وقد بركت الناقة عند باب أبي أيوب وهو مجاور للمسجد، فقامت أمه وأدخلت رحل النبي ﷺ، وأدخلته منزلها، وقد اجتمعت إليه الأنصار يسأله كل منهم النزول عنده، فسأل ﷺ عن رحله، فقيل له: أخذته أم أبي أيوب، فنزل في دار أبي أيوب، وكان يحضره المسلمون من الأوس والخزرج، وكان أسعد بن زرارة يبعث إليه في كل غداء وعشاء ثريداً في قصعة عليه عراق، فيأكل ﷺ مع من يحضره حتى يشبعون.

ومحل المسجد هو مربدٌ[١] لسهل وسهيل، كانا يتيمين، فشراه ﷺ بعشرة دنانير، وأشاد بنيانه مع أصحابه، حتى كان ﷺ يشاركهم في نقل الحجارة، فيقول له أحد أصحابه وقد رآه يحمل الحجر على بطنه ﷺ: دعني أحمله عنك يا رسول الله... فيقول ﷺ: «**لا، إذهب فاحمل غيره**». فأخذوا في بنائه حتى كان عُلوّ حائطه قامة، فشكى إليه أصحابه الحر فظلله ﷺ بسعف على اسطوانات من خشب، فطلبوا منه أن يسقفه، فقال ﷺ: «**لا، عريش كعريش موسى، الأمر أعجل من ذلك**»، وبنى ﷺ منازله حول المسجد، وخط لأصحابه خططاً فبنوها، وشُرّعت أبوابها إلى المسجد، ومنها

---

١) المربد من الدار: هو ما وراءها من فضاء وأرض خالية.

باب علي عليه السلام والحمزة، فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بسد الأبواب إلا بابه صلى الله عليه وآله وسلم وباب وصيه علياً عليه السلام ، فغضبوا جميعاً حتى الحمزة، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم : «**يا عم، لا تغضبن من سد بابك وترك باب علي فوالله ما أنا أمرت بذلك ولكن الله أمر بسد أبوابكم وترك باب علي**» ، فقال رضي الله عنه : رضيت وسلمت لله ولرسوله. انتهى ما أردناه ملخصاً من (البحار) من (إعلام الورى)(١).

وقد أورد مضمونه بتفاوت متقارب عن (روضة الكافي) وما رواه المسعودي في (مروج الذهب) و (إثبات الوصية) ، وإن كان مجملاً فهو قريب من هذا المضمون.

واعلم أنه غير خفي على العالِم أن أمر الله تعالى بسد الأبواب إلا باب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام ليست من مختصاتنا فقط بل هي ثابتة عند الفريقين، وقد تعرّضنا لذلك في الشعاع الرابع عشر من (النظره النفسية) وذكرنا أن في الباب السابع عشر من (الينابيع) عشرة أخبار حررنا بعضاً منها، ومنهم: التقي الهندي في (منتخب كنز العمال)، ومنهم الإمام أحمد في (مسنده)، والموفق بن أحمد الخوارزمي وابن المغازلي بسنده عن عدة من الثقاة، فمنهم: ابن عباس، كلهم قالو: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد فقال: «**إن الله أوحى إلى نبيه موسى: أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنا وأخي علي**». انتهى حرفياً من (الينابيع)(١).

---

١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١١١ ـ ١١٣. وانظر: إعلام الورى: ج ١ ص ١٥٩ ـ ١٦٠.

١) ينابيع المودة: ج ١ ب ١٧ ص ٢٥٨.

وفيه أيضاً: عن كتاب (المناقب) عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام خطيباً فقال: «**إن رجالاً يجدون في أنفسهم شيئاً أن أسكنت علياً في المسجد وأخرجتهم! والله ما أخرجتهم وأسكنته، بل الله أخرجهم وأسكنه، إن الله (عز وجل) أوحى إلى موسى وأخيه: ﴿أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾**[1]**، ثم أمر موسى أن لا يُسكن مسجده، ولا ينكح فيه، ولا يدخله جنب إلا هارون وذريته، فمن ساءه فههنا**» ، وأشار بيده نحو الشام[1]. انتهى.

وهذان الحديثان مما لم نحرره في (النظره النفسية) وإنما حررناهما هنا سنداً لما قلناه من أن سد الأبواب إلا باب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام بأمر الله (سبحانه وتعالى) ، وليعلم القارئ من هذين الحديثين أن خصوصية علي عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم كخصوصية هارون من موسى، فليكن هذا ذكراً لذي البصائر بما أسلفناه من تحقيق "حديث المنزلة"[2] وعمومه المستلزم لمساواتهما (صلى الله عليهما وآلهما) بما عدا النبوة، وليتدبر أولو الألباب في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «**فمن ساءه... الخ**»كي يعرف صريحه في غضبه صلى الله عليه وآله وسلم وهجره لمن يحسد علياً ويَسيئه فضلُه...

---

١) سورة يونس، الآية ٨٧.

١) ينابيع المودة: ج ١ ب ١٧ ص ٢٥٩.

٢) انظر: ص ٩١ ـ ٩٣.

إن تحرير هذه الفائدة الجليلة هنا إنما حصلت من التعرض لكيفية نزول النبي ﷺ في المدينة، فلا خير إلا من خيره ﷺ ، ولم نتعرض لذلك إلا بمناسبة كلامنا على حفظه ﷺ بعصمة الله تعالى من كيد أعدائه، وهي مرامنا الأخير، وقد ظهرت بأجلى مظاهرها ـ كما عرفت ـ في قضية هجرته وتأييده بوصيه علي أمير المؤمنين عليه السلام والملائكة المقربين، فلم يزل ﷺ في كنف الله ورعايته وعصمته (تعالى وتقدس).

النظرة العاشرة

قصة بدر الكبرى، وفيها دليل عظيم على عناية الله بعصمة نبيه ﷺ عن أعدائه، وتأييده له ﷺ بالملائكة ووليه علي عليه السلام

القول فيما منّ الله (عز وجل) به على نبيه ﷺ بإظهار دعوته بقضية بدر الكبرى، وهي من أجلى مظاهر عصمة الله لنبيه ﷺ بمعنى حفظه له، فاستمع لما نتلوه عليك من كتاب الله المجيد، قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨)﴾.

قال الشيخ أمين الإسلام الطبرسي في (مجمع البيان) في تفسير الآيات ما نصه: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ﴾ يا محمد على التقدير الأول[1]: "قل: الأنفال لله ينزعها عنكم مع كراهتكم ومشقة ذلك عليكم؛ لأنه أصلح لكم".

---

١) وهو أن المراد بالانفال غنائم بدر، كما فسرها رحمه الله في أول السورة، وروى عن ابن عباس وغيره أنها للنبي ﷺ . (منه رحمه الله).

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ﴾ مع كراهة فريق من المؤمنين ذلك؛ لأن الخروج كان أصلح لكم من كونكم في بيتكم.

والمراد بالبيت هنا: المدينة، يعني: خروج النبي ﷺ منها إلى بدر، ويكون معنى ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ : دعاك إلى الخروج وأمرك به وحملك عليه كما يقال أضربت زيداً عمراً فضربه . وأما على التقدير الثاني ـ وهو أن يكون اتصاله بما بعده ـ فيكون معناه: "يجادلونك في الحق كارهين له كما جادلوك ـ يا محمد ـ حين أخرجك ربك، كارهين للخروج، كرهوه كراهية طباع، فقال بعضهم: كيف نخرج ونحن قليل والعدو كثير! وقال بعضهم: كيف نخرج على عمياء لا ندري إلى العير نخرج أم إلى القتال".

فشبّه جدالهم بخروجهم؛ لأن القوم جادلوه بعد خروجهم كما جادلوه عند الخروج فقالوا: هلاّ أخبرتنا بالقتال فكنّا نستعد لذلك!

فهذا هو جدالهم على تأويل مجاهد.

وأما على التقدير الثالث[١]: فمعناه: "أن هذا خير لكم كما أن إخراجك من بيتك على كراهية جماعة منكم خير لكم". وقريب منه ما جاء في حديث أبي حمزة الثمالي: «**فالله ناصرك كما أخرجك من بيتك**».

وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالوحي وذلك أن جبرئيل عليه السلام أتاه وأمره بالخروج.

---

١) وهو ما شد عن المشركين إلى المسلمين من عبد أو جارية من غير قتال وما أشبه ذلك.

عن عطاء قال: هو للنبي ﷺ خاصة، يعمل به ما يشاء. (منه رحمه الله).

وقيل: معناه: "أُخرجك ومعك الحق". وقيل: معناه: "أُخرجك بالحق الذي وجب عليك وهو الجهاد".

﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي طائفة منهم ﴿لَكَارِهُونَ﴾ لذلك؛ للمشقة التي لحقتهم، ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ معناه: "يجادلونك فيما دعوتهم إليه بعدما عرفوا صحته وصدقك بما ظهر عليك من المعجزات، ومجادلتهم، وقولهم: "هلاّ أخبرتنا بذلك" وهم يعلمون أنك لا تأمرهم عن الله إلا بما هو حق وصواب، وكانوا يجادلون فيه؛ لشدته عليهم، يطلبون بذلك رخصة لهم في التخلّف عنه أو في تأخير الخروج إلى وقت آخر". وقيل: "معناه: يجادلونك في القتال يوم بدر بعدما تبين صوابه وأنه مأمور به"، عن ابن عباس. وقيل: "بعدما تبين أنك يا محمد ـ لا تصنع إلا ما أمرك الله به".

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ معناه: "كأن هؤلاء الذين يجادلونك في لقاء العدو ـ لشدة القتال عليهم، حيث لم يكونوا مستعدين له، ولكراهتهم له من حيث الطبع ـ كانوا بمنزلة من يُساق إلى الموت وهم يرونه عياناً وينظرون إليه وإلى أسبابه.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ يعني: واذكروا الله إذ يعدكم الله أن إحدى الطائفتين لكم، إما العير وإما النفير.

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي تودون أن يكون لكم العير وصاحبها أبو سفيان بن حرب؛ لئلا تلحقكم مشقة دون النفير وهو الجيش من قريش. قال الحسن: كان المسلمون يريدون العير ورسول الله

يُريد ذَاتَ الشَّوْكَةِ كنّى بالشوكة عن الحرب لما في الحرب من الشدة. عن قطرب. وقيل: ذَاتُ الشَّوْكَةِ ذاتُ السلاح.

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ معناه: والله أعلم بالمصالح منكم. فأراد أن يظهر الحق بلطفه ويعز الإسلام، ويظفركم على وجوه قريش، ويهلكهم على أيديكم بكلماته السابقة وعداته في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ، وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

وقيل: بكلماته أي: بأمره لكم بالقتال.

﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ أي يستأصلهم، فلا يبقي منهم أحداً ـ يعني كفار العرب ـ ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ أي انما يفعل ذلك ليظهر الإسلام، ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ أي الكفر، بإهلاك أهله ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي الكافرون.

وذكر البلخي عن الحسن أن قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ﴾ الآية نزلت قبل قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ ، وهي في القراءة بعدها[١].

ثم ذكر K قصة بدر وأسبابها عن أصحاب السير، ومنهم: أبو حمزة، وعلي بن إبراهيم في تفسيره، وإليك نصه: "أقبل أبو سفيان بعير قريش من الشام.. وفيها أموالهم وهي اللطيمة، وفيها أربعون راكباً من قريش، فندب النبي ﷺ أصحابه للخروج إليها ليأخذوها، وقال: «**لعل الله أن ينفلكموها**». فانتدب الناس، فخف بعضهم وثقل بعضهم، ولم يظنوا أن رسول الله ﷺ

١) مجمع البيان: ج ٤ ص ٤٢٩ ـ ٤٣١.

يلقى كَيْداً ولا حرباً، فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان، والركب لا يرونها إلا غنيمة لهم. فلما سمع أبو سفيان بالنبي استأجر ضمضم ابن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم ويخبرهم "أن محمداً قد تعرّض لعيرهم في أصحابه".

فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة، وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت فيما يرى النائم ـ قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال ـ أن رجلاً أقبل على بعير له ينادي: "يا آل غالب، اغدوا إلى مصارعكم". ثم وافى بجمله على أبي قبيس، فأخذ حجراً فدهدهه من الجبل فما ترك داراً من دور قريش إلا اصابته فلذةٌ. فانتبهت فزعة من ذلك وأخبرت العباس بذلك وأخبر العباس عتبة بن ربيعة، فقال عتبة: "هذه مصيبة تحدث في قريش".

وفشت الرؤيا فيهم، وبلغ ذلك أبا جهل فقال: "هذه نبية ثانية في بني عبد المطلب، واللات والعزى لننظرن ثلاثة أيام، فإن كان ما رأت حقاً وإلا لنكتبن كتاباً بيننا أنه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالاً ونساء من بني هاشم". فلما كان اليوم الثالث أتاهم ضمضم يناديهم بأعلى الصوت: "يا آل غالب، يا آل غالب، اللطيمة اللطيمة، العير العير، أدركوا وما أراكم تدركون، إن محمداً والصُباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم، فتهيأوا للخروج". وما بقي أحد من عظماء قريش إلا أخرج مالاً لتجهيز الجيش، وقالوا: "من لم يخرج نهدم داره".

وخرج معهم العباس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب، وأخرجوا معهم القيان يضربون الدفوف،

وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فلما كان بقرب بدر أخذ عيناً للقوم فأخبره بهم، وفي حديث أبي حمزة: "بعث رسول الله ﷺ أيضاً عيناً له على العير اسمه عدي، فلما قدم على رسول الله ﷺ فأخبره أين فارق العير نزل جبرائيل على رسول الله ﷺ فأخبره بنفير المشركين من مكة، فاستشار أصحابه في طلب العير وحرب النفير، فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله!! إنها قريش وخيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلّت مند عزّت، ولم تخرج على هيئة الحرب".

وفي حديت أبي حمزة: قال أبو بكر: "أنا عالم بهذا الطريق، فارق عدي العير بكذا وكذا، وساروا وسرنا، فنحن والقوم على ماء بدر يوم كذا و كذا، كأنا فرسا رهان. فقال ﷺ : «**اجلس**» فجلس، ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك، فقال ﷺ : «**اجلس**» فجلس، ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله، إنها قريش وخيلاؤها، وقد آمنا بك وصدقنا، وشهدنا أن ما جئت به حق، والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس[١] لخضناه معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام: اذهب ﴿**ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ ولكنا نقول: امض لأمر ربك فإنا معك مقاتلون".

---

١) الجمر: النار المتّقدة. والغضا: شجر عظيم من الأثل، واحدته غضاة، وخشبه من أصلب الخشب، ولهذا يكون في فحمه صلابة، وهو حس النار، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ. و الهراس: كسحاب، شجر شائك. (هامش في المجمع). (منه رحمه الله).

فجزّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيراً على قوله ذاك، ثم قال: «**أشيروا عليّ أيها الناس**» وإنما يريد الأنصار؛ لأن أكثر الناس منهم، ولأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: "إنا براء من ذمتك حتى تصل إلى دارنا، ثم أنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع أبناءنا ونساءنا"، فكان صلى الله عليه وآله وسلم يتخوف أن لا يكون الأنصار تَرى عليها نصرته إلا على من دهمه بالمدينة من عدو، [و] أن ليس عليهم أن ينصروه خارج المدينة.

فقام سعد بن معاذ فقال: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله، كأنك أردتنا؟!"، فقال: «**نعم**»، قال: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، فمرنا بما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، واترك منها ما شئت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، ولعل الله تعالى أن يُريك منّا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله".

ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «**سيروا على بركة الله فإن الله (عز وجل) قد وعدني إحدى الطائفتين، ولن يخلف الله وعده، و الله! لَكأنّي أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وفلان وفلان**». وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرحيل، وخرج إلى بدر - وهو بئر - وفي حديث أبي حمزة الثمالي: "بدر، رجل من جُهينة، والماء ماؤه، وإنما سمي الماء باسمه".

وأقبلت قريش، وبعثت عبيدها ليستقوا من الماء، فأخذهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن عبيد قريش، قالوا: فأين العير؟ قالوا: لا علم لنا بالعير، فأقبلوا يضربونهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

يُصلي، فانفتل من صلاته وقال: «إن صدقوكم ضربتموهم وإن كذبوكم تركتموهم» ، فأتوه بهم فقال لهم: «من أنتم؟» ، قالوا: يا محمد، نحن عبيد قريش، قال: «**كم القوم؟**» قالوا: لا علم لنا بعددهم. قال: «**كم ينحرون في كل يوم من جزور؟**» ، قالوا: تسعة إلى عشرة. قال رسو الله ﷺ : «**القوم تسعمائة إلى ألف رجل**». وأمر ﷺ بهم فحُبسوا.

وبلغ ذلك قريشاً ففزعوا وندموا على مسيرهم، ولقي عتبة بن ربيعة أبا البُختري بن هشام فقال: "أما ترى هذا البغيّ! والله ما أبصرُ موضع قدمي، خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت، فجئنا بغياً وعدوانا، والله ما أفلح قوم بغوا قط، ولوددتُ أن ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير". فقال له أبو البختري: "إنك سيد من سادات قريش، فسر في الناس وتحمّل العير التي أصابها محمدٌ وأصحابه بنخلة ودم ابن الحضرمي فإنه حليفك".

فقال له: "عليَّ ذلك، وما على أحد منا خلاف إلا ابن الحنظلية ـ يعني أبا جهل ـ فصر إليه وأعلمه أني حمّلت العيرَ ودم بن الحضرمي، وهو حليفي، وعليَّ عقله.

قال: فقصدت خِباءه وأبلغته ذلك، فقال: "إن عتبة يتعصّب لمحمد، فإنه من بني عبد مناف وابنه معه، يريد أن يخذل بين الناس، لا، واللات والعزى، حتى نقحم عليهم يثرب، أو نأخذهم أسارى، فلندخلهم مكة وتتسامع العرب بذلك".

وكان أبو حذيفة بن عتبة مع رسول الله ﷺ، وكان أبو سفيان لما جاز بالعير بعث إلى قريش: "قد نجّى الله عيركم فارجعوا ودعوا محمداً والعرب، وادفعوه بالراح ما اندفع، وإن لم ترجعوا فردّوا القيان".

فلحقهم الرسول في الجحفة، فأراد عتبة أن يرجع فأبى أبو جهل وبنو مخزوم، وردوا القيان من الجحفة.

قال: وفزع أصحاب رسول الله ﷺ لمّا بلغهم كثرة قريش واستغاثوا وتضرعوا، فأنزل الله سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُم...﴾ وما بعده.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾.

قال الشيخ الطبرسي رحمه الله في المعنى ما نصه: "ثم ذكر سبحانه ما آتى المسلمين من النصر فقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ أي تستجيرون بربكم يوم بدر من أعدائكم وتسألونه النصر عليهم؛ لقلتكم وكثرتهم، فلم يكن لكم مفزع إلا التضرع إليه والدعاء له في كشف الضر عنكم.

والاستغاثة: طلب المعونة والغوث. وقيل: معناه: تستنصرونه.

والفرق بين المستنصر والمستجير: أن المستنصر طالب الظفر، والمستجير طالب الخلاص.

﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ والاستجابة: هي العطية على موافقة المسألة، فمعناه: فأغاثكم وأجاب دعاءكم، ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ أي مرسل إليكم مدداً لكم.

﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ أي متّبعين ألفاً آخر من الملائكة؛ لأن مع كل واحد منهم ردفاً له، عن الجبائي.

وقيل: معناه: مترادفين متتابعين، وكانوا ألفاً بعضهم في إثر بعض، عن ابن عباس وقتادة والسدي. وقيل: معناه: بألف من الملائكة جاؤوا على أثر المسلمين، عن أبي حاتم .

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ معناه: وما جعل الله الإمداد بالملائكة إلا بُشرى لكم بالنصر، ولتسكن به قلوبكم وتزول الوسوسة عنها، وإلا فمَلَكٌ واحد كافٍ للتدمير عليهم، كما فعل جبريل عليه السلام بقوم لوط فأهلكهم بريشة واحدة.

واختُلفَ في أن الملائكة هل قاتلت يوم بدر أم لا؟! فقيل: ما قاتلت ولكن شجّعت وكثّرت سواد المسلمين، وبشّرت بالنصر، عن الجبائي. وقيل: إنها قاتلت. قال مجاهد: "إنما أمدّهم بألف مقاتل من الملائكة، فأما ما قاله سبحانه في آل عمران بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف فإنه للبشارة"، وقد ذكرنا هناك ما قيل فيه.

وروي عن ابن مسعود أنه "سأله أبو جهل: من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص؟ قال: من قبل الملائكة. فقال: هم غلبونا لا انتم".

وعن ابن عباس: "أن الملائكة قاتلت يوم بدر وقتَلَتْ.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ الله﴾ معناه أنه لم يكن النصر من قبل الملائكة وإنما كان من قبَل الله؛ لأنهم عباده ينصر بهم من يشاء كما ينصر بغيرهم. ويحتمل أن يكون المعنى: ما النصر بكثرة العدد ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء، قلَّ العدد أم كثر.

﴿ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يمنع عن مراده ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله يجريها على ما تقتضيه الحكمة.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾ قد ذكرنا تفسيره عند قوله ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا﴾ والنعاس: أول النوم قبل أن يثقل. ﴿أَمَنَةً﴾ أي أماناً و ﴿مِّنْهُ﴾ أي من العدو، وقيل: من الله، فإن الإنسان لا يأخذه النوم في حال الخوف، فآمنهم الله تعالى بزوال الرعب عن قلوبهم، كما يقال: الخوف مسهّر والأمن منيّم. والأمنية: الدعة التي تنافي المخافة، وأيضاً فإنه قوّاهم بالاستراحة على القتال من العدو.

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء﴾ أي مطرة ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ ؛ وذلك لأن المسلمين قد سبقهم الكفار إلى الماء فنزلوا على كثب رمل وأصبحوا مُحْدثين ومُجْنبين، وأصابهم الظمأ، ووسوس إليهم الشيطان فقال: "إن عدوكم قد سبقكم إلى الماء وأنتم تصلّون مع الجنابة والحدث وتسوّخ

أقدامكم في الرمل"، فأمطرهم الله حتى اغتسلوا به من الجنابة، وتطهروا به من الحدث، وتلبّدت به أرضهم وأوحلت أرض عدوهم.

﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ أي وسوسته بما مضى ذكره عن ابن عباس. وقيل: معناه: ويذهب عنكم وسوسته بقوله "ليس لكم بهؤلاء طاقة"، عن ابن زيد. وقيل: معناه: ويذهب عنكم الجنابة التي أصابتكم بالاحتلام.

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ أي وليشدّ على قلوبكم، ومعناه: يشجع قلوبكم ويزيدكم قوّة قلب وسكون نفس وثقة بالنصر.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ أي أقدامكم في الحرب بتلبّد الرمل، عن ابن عباس ومجاهد وجماعة. وقيل: بالصبر وقوة القلب، عن أبي عبدة. والهاء في (به) ترجع إلى الماء المُنزل. وقيل: إلى ما تقدم من الربط على القلوب. ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ يعنى الملائكة الذين أمدّ بهم المسلمين، أي أني معكم بالمعونة والنصرة، كما يقال: "فلان مع فلان على فلان". والإيحاء: إلقاء المعنى على النفس من وجه يخفى، وقد يكون بنصب دليل يخفى إلا على من ألقي إليه من الملائكة.

﴿فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ يعني بشّروهم بالنصر، وكان المَلَك يسير أمام الصف في صورة الرجل ويقول: "أبشروا، فإن الله ناصركم"، عن مقاتل. وقيل: معناه: قاتَلوا معهم المشركين، عن الحسن. وقيل: ثبتوهم بأشياء تلقونها في قلوبهم يقوون بها، عن الزجاج.

﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ﴾ أي الخوف من أوليائي. ﴿فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾ يعني الرؤوس؛ لأنها فوق الأعناق، قال عطاء: يريد كل هامَة وجمجمة، وجائز أن يكون هذا أمراً للمؤمنين، وجائز أن يكون أمراً للملائكة، وهو الظاهر. قال ابن الأنباري: إن الملائكة حين أُمرت بالقتال لم تعلم أين تقصد بالضرب من الناس، فعلّمهم الله تعالى.

﴿وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ يعني الأطراف من اليدين والرجلين، عن ابن عباس وابن جريح والسدي. وقيل: يعني أطراف الأصابع، اكتفى الله به عن جملة اليد والرجل، عن ابن الأنباري.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ معناه: ذلك العذاب لهم، والأمر بضرب الأعناق والأطراف وتمكين المسلمين منهم بسبب أنَّهم خالفوا الله ورسوله. قال ابن عباس: معناه: "حارَبوا الله ورسولَه"، ثم أوعد المخالف فقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ في الدنيا بالإهلاك وفي الآخرة بالتخليد في النار.

﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ أي هذا الذي أعددت لكم من الاسر والقتل في الدنيا فذوقوه عاجلاً . ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ آجلاً في المعاد ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾ . قال الحسن: "ذلكم حكم الله فذوقوه في الدنيا، وإن لكم ولسائر الكافرين في الآخرة عذاب النار"، ومعناه: كونوا للعذاب كالذائق للطعام، وهو طالب إدراك الطعم يتناول اليسير بالفم لأن معظم العذاب بعده.

وبعد انتهاء المعنى ذكر رضي الله عنه القصة فقال ما نصة:

ولما أصبح رسول الله ﷺ يوم بدر عبّأ أصحابه فكان في عسكره فرسَان: فرس للزبير بن العوام وفرس للمقداد بن الأسود، وكان في عسكره سبعون جملاً، كانوا يتعاقبون عليها، وكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام و مرثد بن أبي مرثد الغنوي يتعاقبون على جمل لمرثد بن أبي مرثد، وكان في عسكر قريش أربعمائة فرس، وقيل: مائتا فرس، فلما نظرت قريش إلى قلة أصحاب رسول الله ﷺ قال أبو جهل: "ما هم إلا أكلة رأس، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد"، فقال عتبة بن أبي ربيعة: أترى لهم كميناً أو مدداً؟". فبعثوا عمير بن وهب الجمحي، وكان فارساً شجاعاً، فجال بفرسه حتى طاف على عسكر رسول الله ﷺ ، ثم رجع فقال: "ليس لهم كمين ولا مدد، ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع، أما ترونهم خُرساً لا يتكلمون، ويتلمّظون تلمّظ الأفاعي، ما لهم ملجأ إلا سيوفهم، وما أراهم يولّون حتى يُقتَلوا، ولا يَقتُلونَ حتى يَقتُلوا بعددهم، فارتأوا رأيكم". فقال له أبو جهل: "كذبت وجُبنت"، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ فبعث إليهم رسول الله ﷺ فقال: **«يا معشر قريش، إني أكره أن أبدأ بكم، فخلّوني والعرب، وارجعوا»** ، فقال عتبة: "ما ردّ هذا قوم قط وأفلحوا"، ثم ركب جملاً له أحمر، فنظر إليه رسول الله ﷺ وهو يجول بين العسكرين وينهى عن القتال، فقال ﷺ : **«إن يك عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر، وإن يطيعوه يرشدوا»** ، وخطب عتبة فقال في

خطبته: "يا معشر قريش، أطيعوني اليوم واعصوني الدهر، إن محمداً له إلٌّ[١] وذمة، وهو ابن عمكم، فخلّوه والعرب، فإن يكُ صادقاً فأنتم أعلى عيناً به، وإن يكن كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره"، فغاظ أبا جهل قوله وقال له: "جَبُنْتَ وانتفخ سَحَرُكَ!"، فقال: "يا مُصفَرّ إسته! مثلي يجبن؟! وستعلم قريش أيّنا ألأم وأجبن، وأيّنا المُفسد لقومه". ولبس درعه وتقدم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد، وقال: "يا محمد، أخرج إلينا أكفّاءنا من قريش"، فبرز ثلاثة نفر من الأنصار، وانتسبوا لهم، فقالوا: "ارجعوا، إنما نريد الأكفّاء من قريش"، فنظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب، وكان له سبعون سنة، فقال: **«قم يا عبيدة»**، ونظر إلى حمزة فقال: **«قم يا عم»**، ثم نظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: **«قم يا علي»** - وكان أصغر القوم - **«فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم، فقد جاءت قريش بخُيلائها وفخرها تريد أن تطفيء نور الله ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ »**،ثم قال: **«يا عبيدة، عليك**

---

١) الإل: قيل: العهد، وقيل: القرابة. انظر: (تفسير الطبري) في تفسر آية ٨ من سورة التوبة، قال الراغب في (مفردات غريب القرآن: ص ٢٠) : الال: كل حالة ظاهرة من عهد حلف وقرابة تئل تلمع فلا يمكن إنكاره.

وقال العلامة الطباطبائي رحمه الله في (الميزان: ج ٩ ص ١٥٧) : ولعل إلقاء المقابلة في الآية بين الال والذمة للدلالة على أنهم لا يحفظون في المؤمنين شيئاً من المواثيق التي يجب رقوبها وحفظها سواء كانت مبنية على أصول واقعية تكوينية كالقرابة التي توجب بوجه على القريب رعاية حال قريبه، أو على الجعل والاصطلاح كالعهود والمواثيق المعقودة بحلف ونحوه.

بعتبة بن ربيعة»، وقال لحمزة: «**عليك بشيبة**» وقال لعلي عليه السلام: «**عليك بالوليد**». فمرّوا حتى انتهوا إلى القوم، فقالوا: "أكفّاء كرام"، فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنها، فسقطا جميعاً، وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما، وحمل أمير المؤمنين علي عليه السلام على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه، قال علي: «**لقد أخذ الوليد يمينه بيساره فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض!**» ، ثم اعتنق حمزة وشيبة، فقال المسلمون: "يا علي، أما ترى أن الكلب قد نهز عمك؟"، فحمل عليه علي عليه السلام ثم قال: «**يا عم، طأطيء رأسك**» ، وكان حمزة أطول من شيبة، فأدخل حمزة رأسه في صدره، فضربه علي، فطرح نصفه، ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه.

وفي رواية أخرى: أنه برز حمزة لعتبة وبرز عبيدة لشيبة وبرز علي عليه السلام للوليد، فقتل حمزةُ عتبةَ، وقتل عبيدةُ شيبةَ، وقتل عليٌّ عليه السلام الوليدَ فضرب شيبةُ رجلَ عبيدة فقطعها، فاستنقذه حمزةُ وعليٌّ، وحمل عبيدةَ حمزةُ وعليٌّ حتى أتيا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاستعبر، فقال: "يا رسول الله، ألستُ شهيداً؟" قال: «بلى، أنت أول شهيد من أهل بيتي»، وقال أبو جهل لقريش: "لا تعجلوا ولا تبطروا كما بطر أبناء ربيعة، عليكم بأهل يثرب فاجزروهم جزراً، وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً، حتى ندخلهم مكة فنُعرّفهم ضلالتهم التي هم عليها". وجاء إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جشعم فقال لهم: "أنا جار لكم، ادفعوا إليّ رايتكم"، فدفعوا إليه راية الميسرة ـ وكانت الراية مع

بني عبد الدار ـ فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال لأصحابه: «غضّوا أبصاركم وعضّوا على النواجذ» ، ورفع يده فقال: «يا رب، إن تُهلك هذه العصابة لا تُعبد». ثم أصابه الغشي، فسُريَ عنه وهو يَسْلِتُ العَرَق عن وجهه، فقال: «هذا جبرائيل قد أتاكم ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ .

وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبيه، قال: "لقد رأينا يوم بدر أنَّ أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه من جسده قبل أن يصل إليه السيف"، قال ابن عباس: "حدثني رجل من بني غفار، قال: أقبلتُ أنا وابن عم لي، حتى صعدنا في جبل يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان، ننتظر الوقعة على من تكون الدَّبرةُ، فبينا نحن هنالك إذ دنت منّا سحابة فسمعنا فيها جَمْجَمَةَ الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم[1]"، ثم قال: "فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت".

وروى عكرمة عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبرائيل أخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب» . أورده البخاري في الصحيح.

قال عكرمة: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : "كنت غلاماً للعباس ابن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، وأسلمت أم الفضل، وأسلمتُ، وكان العباس يهاب قومه، ويكره أن يُخالفهم، وكان يكتم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهب ـ عدو الله ـ قد تخلّف عن بدر، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وكذلك صنعوا،

---

١) حيزوم: اسم فرس جبرائيل، وقد أراد القول: أقدم يا حيزوم. (منه رحمه الله).

لم يتخلّف رجلٌ إلا بعث مكانه رجلاً، فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش، كبَتَهُ الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوّةً وعزاً". قال: "وكنتُ رجلاً ضعيفاً، وكنتُ أعمل القِداح أنحتها في حُجرة زمزم، فوالله إني لجالس فيها أنحت القداح عندي أم الفضل جالسة ـ وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ـ إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرّ رجليه حتى جلس على طَنَب الحُجرة، فكان ظهره إلى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال الناس: "هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد قدم"، فقال أبو لهب: "هلم إليَّ يا ابن أخي فعندك الخبر"، فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: "يا ابن أخي، أخبرني: كيف كان أمر الناس؟"، قال: "لا شيء! والله إن كان إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاءوا، وأيمُ الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بُلقٍ، بين السماء والأرض، ما تليق شيئاً، ولا يقوم لها شيء".

قال أبو رافع: فرفعت طرف الحُجرة بيدي ثم قلت: تلك الملائكة، قال: فرفع أبو لهب يده وضرب وجهي ضربة شديدة، فثاورته، واحتملني فضرب بي الأرض، ثم برك عليّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمَد الحجرة فأخذته فضربته ضربة فلقت رأسهُ شَجّةً منكرة، وقالت: "تستضعفه إن غاب عنه سيده!"، فقام مولّيا ذليلاً، فوالله ما عاش إلاّ سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة[1] فقتله، ولقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً ما

---

١) بثرةٌ تخرج في الجلد كالعدسة،ش قاتلة كانت الناس تتقيها وتخشى عدوتها كالطاعون.

يدفنانه حتى أنتنَ في بيته، وكانت قريش تتقي العدسة كما يتقي الناس الطاعون، حتى قال لهما رجل من قريش: "ويحكما ألا تستحيان! إن أباكما قد أنتن في بيته، لا تغيبانه؟!"، فقالا: "إنا نخشى هذه القرحة"، قال: فانطلقا فأنا معكما"، فما غسّلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد، ما يمسّونه، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة إلى جدار، وقذفوا عليه بالحجارة حتى واروه".

وروى مُقْسِم عن ابن عباس قال: "كان الذي أسَرَ العباسَ أبا اليُسر كعبُ بن عمرو أخا بني سلمة، وكان أبو اليُسر رجلاً مجموعاً، وكان العباس رجلاً جسيماً، فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر: «كيف أسرت العباس يا أبا اليسر؟»، فقال: "يا رسول الله، لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيأته كذا وكذا"، فقال ﷺ : «لقد أعانك عليه ملك كريم»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وإليك تفسيرها حرفياً:

قال الشيخ رضي الله عنه: المعنى.. لما أمد الله سبحانه المسلمين بالملائكة ووعدهم النصر والظفر بالكفار، نهاهم عقيبه عن الفرار، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ قيل: إنه خطاب لأهل بدر. وقيل: هو عام.

﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً﴾ أي متدانين لقتالكم، قال الزجاج: "معناه: إذا واقفتموهم للقتال".

﴿فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ يعني: فلا تجعلوا ظهوركم مما يليهم، أي فلا تنهزموا؟

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ أي: ومن يجعل ظهره إليهم يوم القتال ووجه جهة الانهزام. واراد بقوله ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ذلك الوقت، ولم يرد به بياض النهار دون الليل.

﴿إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ﴾ أي: إلا تاركاً موقفاً إلى موقف آخر أصلحُ للقتال من الأول، عن الحسن. وقيل: معناه: إلاّ منعطفاً مستطرداً، كأنه يطلب عورة يمكنه إصابتها فينحرف عن وجهه، ويرى أنه يفر ثم يكر، والحرب كر وفر.

﴿أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ﴾ أي: منحازاً منضماً إلى جماعة من المسلمين يريدون العود إلى القتال ليستعين بهم.

﴿فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ﴾ أي: احتمل غضب الله واستحقه، وقيل: رجع بغضب من الله. ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾ أي: مرجعه إلى جهنم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

وأكثر المفسرين على أن هذا الوعيد خاص بيوم بدر خاصةً ولم يكن هم يومئذٍ أن ينحازوا لأنه لم يكن يومئذٍ في الأرض فئة للمسلمين، فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض، وهو قول أبي سعيد الخدري وابن عباس في رواية الكلبي والحسن وقتادة والضحاك.

ووردت الرواية عن ابن عمر قال: "بعثنا رسول الله ﷺ في سريّة فلقوا

العدو، فجاض الناس جيضة[1]، واتينا المدينة فتخبّأنا بها وقلنا: يا رسول الله، نحن الفرّارون. فقال: «**بل انتم العكّارون**[2]**، وأنا فئتكم**»″.

وقيل: إنه عام في جميع الأوقات وإنّ مَنْ فرّ مِن الزحف إذا لم يزيدوا على ضعفي المسلمين لحقه الوعيد، عن ابن عباس، وفي رواية أخرى هو قول الجبائي وأبي مسلم.

ثم نفى سبحانه أن يكون المسلمون قتلوا المشركين يوم بدر فقال: ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ**﴾ وإنما نفى الفعل عمّن هو فعله على الحقيقة، ونسبه إلى نفسه، وليس بفعل له من حيث كانت أفعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل والمؤدي إليه، من إقداره إياهم، ومعونته لهم، وتشجيع قلوبهم، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم والمشركين، حتى قتلوا.

﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى**﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ذكر جماعة من المفسرين ـ كابن عباس وغيره ـ أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر: «خذ قبضة من تراب فارمهم بها»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ لما التقى الجمعان ـ لعلي عليه السلام : «**أعطني قبضة من حصا الوادي**»، فناوله كفاً من حصا عليه تراب، فرمى به في وجوه القوم وقال: «**شاهت الوجوه**»، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينه وفمه ومنخريه منها شيء، ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم، وكانت تلك الرمية سبب هزيمة القوم″.

---

١) جاض عن القتال: أي فرّ منه. لسان العرب: ج ١ ص ٣٦٣ (جيض)

٢) العكّار: هو من يحمل على العدو ثم يتخلّف ثم يحمل كثيراً. (من هامش المجمع).

وقال قتادة وأنس: "ذكر لنا أن رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاث حصيّات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين أظهرهم، وقال: «شاهت الوجوه» فانهزموا".

فعلى هذا إنما أضاف الرمي إلى نفسه؛ لأنه لا يقدر أحد غيره على مثله، فإنه من عجائب المعجزات.

﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً﴾ أي: ولينعم عليهم به نعمة حسنة، أي فعلَ ذلك أنعاماً على المؤمنين. والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ راجع إلى النصر، أي: من ذلك النصر. ويجوز أن يكون راجعاً إلى الله تعالى.

﴿إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائكم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالكم وضمائركم وإنما يقال للنعمة بلاء كما يقال للمضرة بلاء؛ لأن أصل البلاء ما يظهر به الأمر من الشكر والصبر، فيبتلى سبحانه عباده، أي: يختبرهم بالنعم؛ ليظهر شكرهم عليها، وبالمحن والشدائد؛ ليظهر عندها الصبر الموجب للأجر. والبلاء الحسن ههنا هو النصر والغنيمة والأجر والمثوبة.

قوله (عز وجل): ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (١٨) إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩)﴾.

قال الشيخ رضي الله عنه: والمعنى: ﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى بلاء المؤمنين، خاطبهم سبحانه بعد أن أخبر عنهم، ومعناه: الأمر ذلكم الإنعام، أو ذلكم الذي ذكرت.

﴿وَأَنَّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ بالقاء الرعب في قلوبهم وتفريق كلمتهم قال ابن عباس: "يقول: إني قد أوهنت كيد عدوكم حتى قَتلتُ جبابرتهم وأسرت أشرافهم".

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ ﴾ قيل: إنه خطاب للمشركين، فإن أبا جهل قال يوم بدر حين التقى الفئتان: "اللهم أقْطَعَنا[1] للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فانصر عليه"، عن الحسن ومجاهد والزهري والضحاك والسدي.

وفي حديث أبي حمزة: قال أبو جهل: "اللهم ربنا ديننا القديم ودين محمد الحديث، فأي الدينين كان أحب إليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم". وعلى هذا فيكون معناه: إن تستنصروا لأهدى الفئتين فقد جاءكم النصر، أي نصر محمد وأصحابه. وقيل: إنه خطاب للمؤمنين، عن عطا وأبي على الجبائي، ومعناه: إن تستنصروا على أعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي.

قال الزجاج: ويجوز أن يكون معناه: إن تستحكموا وتستقضوا فقد جاءكم القضاء والحكم من الله.

﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ أي: تمتنعوا من الكفر وقتال الرسول والمؤمنين.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾ معناه: وإن تعودوا أيها الشركون إلى قتال المسلمين ﴿نَعُدْ﴾ بأن ننصرهم عليكم ونأمرهم بقتالكم.

﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً﴾ أي: ولن تدفع عنكم جماعتكم شيئاً.

---

١) مقتضي التركيب العربي الصحيح إما أن نقول: اللهم إنه أقطعُنا للرحم وأتانا ... الخ، أو نقول: أقطعَنا الرحم أتانا... الخ. (منه رحمه الله).

﴿وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والحفظ يمكنهم منكم وينصرهم عليكم، عن جماعة من المفسرين. وقيل: معناه: وإن تنتهوا ـ أيها المسلمون ـ عمّا كان منكم في الغنائم وفي الأسارى من مخالفة الرسول ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ، وإن تعودوا إلى ذلك الصنيع نعد إلى الإنكار عليكم وترك نصرتكم، ولن يغني عنكم حينئذٍ جمعكم شيئاً إذا منعناكم النصر، عن عطا والجبائي[١]. انتهى.

ومما يشير لقصة بدر في هذه السورة: قوله تعالى:

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتَّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَـكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَـكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأمُورُ (٤٤)﴾.

قال أمين الإسلام رضي الله عنه في تفسيرها ما نصه: المعنى... ثم بين سبحانه نصرته للمسلمين ببدر فقال سبحانه: ﴿إِذْ أَنتُم﴾ أيها المسلمون بالعدوة الدنيا، قال ابن عباس: "يريد: والله قدير على نصركم وأنتم أذلة، إذ أنتم نزول بشفير الوادي الأقرب إلى المدينة"، ﴿وَهُم﴾ يعني المشركون أصحاب النفير .

---

١) مجمع البيان: ج ٤ ص ٤٣١ ـ ٤٤٨.

﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ أي: نزول بالشفير الأقصى من المدينة، ﴿وَالرَّكْبُ﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه، وهم العير، ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي: في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر. قال الكلبي: "كانوا على شط البحر بثلاثة أميال، فذكر الله سبحانه مقاربة الفئتين من غير ميعاد، وما كان المسلمون فيه من قلّة الماء والرمَل الذي تسوخ فيه الأرجل مع قلة العدد والعدّة، وما كان المشركون فيه من كثرة العدد والعدّة، ونزولهم على الماء، والعير أسفل منهم، وفيها أموالهم، ثم مع هذا كلّه نصرَ المسلمين عليهم؛ ليُعلم أن النصر من عنده سبحانه.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتَّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ معناه: لو تواعدتم أيها المسلمون للاجتماع في الموضع الذي اجتمعتم فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد، عن ابن اسحاق. وقيل: معناه: لاختلفتم بما يعرض من العوائق والقواطع، فذكر الميعاد لتأكيد أمره في الاتفاق، ولولا لطف الله مع ذلك لوقع على الاختلاف، كما قال الشاعر:

جرت الرياح على محل ديارهم   فكأنهم كانوا على ميعاد

﴿وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾ معناه: ولكن قدر الله تعالى التقاءكم وجمع بينكم وبينهم على غير ميعاد منكم؛ ليقضي الله امراً كان كائناً لا محالة، وهو إعزاز الدين وأهله، ومعنى ﴿لِّيَقْضِيَ﴾ ليُظهر قضاءه، إذ الله تعالى قد قضى ما هو كائن. ومعنى قوله ﴿مَفْعُولاً﴾ أي واجباً كونه لا محالة، يقال للأمر الكائن: "لا محالة هذا أمر مفروغ منه"، وقيل: معناه: ليُتمَّ

أمراً كان في علمه مفعولاً لا محالةَ، من إظهار الإسلام وإعلاء كلمته على عبدة الأصنام.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فعل ذلك ليموت من مات منهم بعد قيام الحجة عليه بما رأى من المعجزات الباهرة للنبي ﷺ في حروبه وغيرها، ويعيش من عاش منهم بعد قيام الحجة عليه. وقيل: إن البيّنة هي ما وعد الله من النصر للمؤمنين على الكافرين، صار ذلك حجة على الناس في صدق النبي ﷺ فيما أتاهم به من عند الله. وقيل: معناه: ليهلك من ضلّ بعد قيام الحجة عليه، فتكون حياة الكافر وبقاؤه هلاكاً له، ويحيا من اهتدى بعد قيام الحجة عليه، فيكون بقاء من بقي على الإيمان حياة له. وقوله ﴿عَن بَيِّنَةٍ﴾ يعني بعد بيان.

﴿وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في ضمائرهم، فهو يجازيهم بحسب ما يكون منهم.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ﴾ العامل في (إذ) ما تقدم، وتقديره: أتاكم النصر إذ كنتم بشفير الوادي﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ﴾ . وقيل: العامل فيه محذوف، وتقديره: واذكر ـ يا محمد ـ ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ﴾ أي: يريك الله ـ يا محمد ـ هؤلاء المشركين الذين قاتلوكم يوم بدر.

﴿فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ معناه: يريكهم الله في نومك قليلاً، لتخبر المؤمنين بذلك فيجترئ المؤمنون على قتالهم. وهذا قول أكثر المفسرين، وهذا جائز؛ لأن الرؤيا في النوم هي

تصور يتوهم معه الرؤية في اليقظة، ولا يكون إدراكاً ولا علماً، بل كثير مما يراه الإنسان في نومه يكون تعبيره بالعكس مما رآه، كما يكون تعبير البكاء ضحكاً. قال الرمّاني: ويجوز أن يري الله الشيء في المنام على خلاف ما هو؛ لأن الرؤيا في المنام تخيل للمعنى من غير قطع، وأن جامعه قطع من الإنسان على المعنى، وإنما ذلك على مثل ما يخيل السراب ماءً من غير قطع على أنه ماء، ولا يجوز أن يلهمه اعتقاداً للشيء على خلاف ما هو به؛ لأن ذلك يكون جهلاً لا يجوز أن يفعله الله سبحانه.

والرؤيا على أربعة أقسام: رؤيا من الله (عز وجل) ولها تأويل، ورؤيا من وساوس الشيطان، ورؤيا من غلبة الأخلاط، ورؤيا من الأفكار، وكلها أضغاث أحلام، إلا الرؤيا من قبل الله تعالى التي هي إلهام في المنام.

ورؤيا النبي ﷺ هذه كانت بشارة له وللمؤمنين بالغلبة، وقال الحسن: معنى قوله: ﴿فِي مَنَامِكَ﴾ في موضع نومك، أي في عينك التي تنام بها وليس من الرؤيا في النوم، وهو قول البلخي، وهذا بعيد؛ لأنه خلاف الظاهر.

﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً﴾ على ما كانوا عليه لجبُنتم عن قتالهم وضعفتم ولتنازعتم في أمر القتال فكان يقول بعضكم: نقاتلهم، وبعض آخر يخالفونهم، ويقول بعضكم لبعض: تقدم أنت في القتال ويتأخر هو بنفسه.

﴿وَلَـكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ﴾ أي: سلم المؤمنين عن الفشل والتنازع واختلاف الكلمة واضطراب الأمر بلطفه لهم وإحسانه إليهم، حتى بلغوا ما أرادوه من عدوهم.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما في قلوبكم، يعلم أنكم لو علمتم كثرة عدوكم لرغبتم عن القتال.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً﴾ الكاف والميم كناية عن المؤمنين، والهاء والميم كناية عن المشركين. أضاف الرؤيا في النوم إلى النبي ﷺ لأن رؤيا الأنبياء لا تكون إلا حقاً، وأضاف رؤية العين إليهم. قلل اللهُ المشركين في أعين المؤمنين ليشتد بذلك طمعهم فيهم وجرأتهم عليهم، وقلل المؤمنين في أعين المشركين؛ لئلا يتأهبوا لقتالهم، ولا يكترثوا بهم فيظفر بهم المؤمنون، وذلك قوله تعالى: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾.

وقد وردت الرواية عن ابن مسعود قال: "قلت لرجل بجنبي: أتراهم سبعين رجلاً؟ فقال: هم قريب من مائة"، وقد روي أن أبا جهل كان يقول: "خذوهم بالأيدي أخذاً ولا تقاتلوهم"، ومتى قيل: كيف قلَّلهم الله في أعينهم مع رؤيتهم لهم؟ قالوا: فالقول: إنه يجوز أن يكون ذلك لبعض الأسبابُ المانعة من الرؤية، أما بغبار أو ما شاكله، فتخيلوهم بأعينهم قليلاً من غير رؤية من الصحة لجميعهم، وذلك لطف من ألطاف الله تعالى.

﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾ إنما كرره سبحانه مع ذكره في الآية الأولى لتكرر الفائدة؛ لأن المعنى في الآية الأولى جمعكم من غير ميعاد ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾ من الالتقاء على تلك الصفة. والمعنى هنا: أنه قلل كل فريق في عين صاحبه؛ ليقضي أمراً كان مفعولاً من إعزاز الدين بجهادكم، وقيل: أراد بالأول الوعد بالنصرة يوم بدر، وبالثاني الاستمرار

على النصر، وقيل: إنما كرر للتأكيد، وإنما قال: ﴿كَانَ مَفْعُولاً﴾ والمعنى: يكون مفعولاً في المستقبل؛ لتحقيق كونه لا محالة، حتى صار بمنزلة ما قد كان لعلمه سبحانه أنه كائن لا محالة، ﴿وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ﴾ مرَّ معناه[١].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ * وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

قال الشيخ الطبرسي رحمه الله في تفسيرها ما نصه:

المعنى: ثم أمر سبحانه بالقتال والثبات في الحرب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ أي: جماعة كافرة، ﴿فَاثْبُتُواْ﴾ لقتالهم ولا تنهزموا، وإنما أطلق الفئة لأن من المعلوم أن المؤمن لا يقاتل إلا الفئة الكافرة أو الباغية، فحذف للإيجاز.

﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً﴾ مستعينين به على قتالهم ومتوقعين النصر من قبله عليهم. وقيل: معناه: واذكروا ما وعدكم الله تعالى من النصر على الأعداء في الدنيا والثواب في الآخرة؛ ليدعوكم ذلك إلى الثبات في القتال.

﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ أي: لكي تفلحوا وتنجحوا بالنصر والظفر بهم وبالثواب عند الله يوم القيامة.

---

١) مجمع البيان: ج ٤ ص ٤٧٢ ـ ٤٧٥.

﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فما يأمرانكم به.

﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾ أي: لا تتنازعوا في لقاء العدو، ولا تختلفوا فيما بينكم فتجبُنوا عن عدوكم وتضعفوا عن قتالهم.

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ معناه: تذهب صولتكم وقوّتكم. وقال مجاهد: "نصرتكم"، وقال الأخفش: "دولتكم". و الريح ههنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد، تقول العرب: "هبّت ريح فلان"، إذا جرى أمره على ما يريد، و "ركدت ريحه" إذا أدبر أمره. وقيل: إن المعني ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله، عن قتادة وابن زيد، ومنه قوله ﷺ : «نُصِرْتُ بالصبا وأهْلِكَتْ عادٌ بالدبّور».

﴿وَاصْبِرُواْ﴾ على قتال الأعداء ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنصر والمعونة.

﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً﴾ أي: بطرين، يعني قريشاً، خرجوا من مكة ليحموا عيرهم فخرجوا ومعهم القيان والمعازف، يشربون الخمور وتعزف عليهم القيان، .

﴿وَرِئَاء النَّاسِ﴾ قيل: أنهم كانوا يدينون بعبادة الأصنام، فلما أظهروا التقرّب بذلك إلى الناس كانوا مرائين. وقيل: إنهم وردوا بدراً لِيُرُوا الناس أنهم لا يُبالون بالمسلمين، وفي قلوبهم من الرعب ما فيها، فسمّى الله سبحانه ذلك رئاء. ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: ويمنعون غيرهم عن دين الله.

﴿وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي: عالم باعمالهم فيجازيهم عليها ولا يخفى عليه منها شيء.

ثم ذكر رضي الله عنه إرسال أبي سفيان لقريش بالرجوع وامتناع أبي جهل، فقال ما نصه: قال ابن عباس: لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره أرسل إلى قريش: "أن ارجعوا"، فقال أبو جهل: "الله لا نرجع حتى نَردَ بدراً ـ وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب، يجتمع لهم بها سوقٌ كل عام ـ فنقيم بها ثلاثاً، وننحر الجُزر، ونُطعم الطعام، ونسقي الخُمور، وتعزف علينا القيان، وتَسمعَ بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبداً". فوافوها، فسُقُوا كؤوس المنايا، وناحت عليهم النوائح[1]، انتهى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

قال الشيخ رضي الله عنه :

المعنى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ دخلت الواو عطفاً على حال المشركين في خروجهم ﴿بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ يعني: وفي وقت تزيين الشيطان أعمالهم، وقيل: إنه يعني: واذكروا إذ زين الشيطان للمشركين أعمالهم، أي: حسّنها في نفوسهم؛ وذلك أن إبليس حسّن لقريش مسيرهم إلى بدر لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ﴿وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ أي لا يغلبكم أحد من الناس لكثرة عددكم وقوتكم.

---

١) مجمع البيان: ج ٤ ص ٤٧٦.

﴿وَإِنِّي﴾ مع ذلك ﴿جَارٌ لَّكُمْ﴾ أي: ناصر لكم ودافع عنكم السوء، وقيل: معناه: وإني عاقد لكم عقد الأمان من عدوكم من قوله: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾.

﴿فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ﴾ أي: التقت الفرقتان.

﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي: رجع القهقرى منهزماً وراءه.

﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ﴾ أي: رجعتُ عمّا كنت ضمنت لكم من الأمان والسلامة؛ لأني أرى من الملائكة الذين جاءوا لنصر المسلمين ما لا ترون، وكان إبليس يعرف الملائكة وهم كانوا يعرفونه.

﴿إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ﴾ أي أخاف عذاب الله على أيدي من أراهم.

﴿وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لا يُطاق عقابه، وقيل: معناه: أني أخاف يكون قد حل الوقت الذي أنظرتُ إليه، فإن الملائكة لا ينزلون إلا لقيام الساعة أو للعقاب. وقال قتادة: "كذَبَ عدو الله، ما به من مخافة ولكنه علم أنه لا قوّة له ولا منعة، وذلك عادة عدو الله لمن أطاعه، حتى إذا التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم".

وعلى هذا فيكون قوله: ﴿أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ﴾ معناه: أعلم ما لا تعلمون، وأخاف الله أن يهلكني فيمن يُهلك. واختُلفَ في ظهور الشيطان يوم بدر كيف كان؟ فقيل: إن قريشاً لما أجمعت المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناف بن كنانة من الحرب، وكاد ذلك أن يثنيهم، فجاء إبليس في جند من الشيطان فتبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جشعم

الكناني ثم المدلجي ـ وكان من أشراف كنانة ـ فقال لهم: ﴿لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ أي: مجير لكم من كنانة، كما قال الشاعر:

يا ظالمي أنّى تروم ظلامتي والله من كل الحوادث جاري

فلما رأى إبليس الملائكة نزلوا من السماء، وعلم أنه لا طاقة له بهم، نكص على عقبيه، عن ابن عباس والسدي والكلبي وغيرهم. وقيل: إنه لما التقوا كان إبليس في صف المشركين آخذاً بيد الحارث بن هشام، فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: "يا سراقة! أين؟ أتخذُلنا على هذه الحالة؟"، فقال له: "إني أرى ما لا ترون"، فقال: "والله! ما نرى إلا جعاسيس يثرب". فدفع في صدر الحرث وانطلق، وانهزم الناسن فلما قدموا مكة قالوا: "هزم الناس سراقة"، فبلغ ذلك سراقة فقال: "والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم "،فقالوا: "إنك أتيتنا يوم كذا"، فحلف لهم، فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان، عن الكلبي. وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام . وقيل: إن إبليس لا يجوز أن يقدر على خلع صورته ولبس صورة سراقة، ولكن الله تعالى جعل إبليس في صورة سراقة، علماً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنما فعل ذلك لأنه علم أنه لو لم يدعُ المشركينَ إنسانٌ إلى قتال المسلمين فإنهم لا يخرجون عن ديارهم حتى يقاتلهم المسلمون؛ لخوفهم من بني كنانة، فصوّره بصورة سراقة، حتى تم المراد في إعزاز الدين، عن الجبائي وجماعة. وقيل: إن إبليس لم يتصور في صورة الإنسان وإنما قال ذلك لهم على وجه الوسوسة، عن الحسن، واختاره البلخي. والأول هو المشهور في التفاسير.

ورأيت في كلام الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه "أنه يجوز أن يُقْدِرَ اللهُ تعالى الجن ومن جرى مجراهم على أن يجتمعوا ويعتمدوا ببعض جواهرهم على بعض؛ حتى يتمكن الناس من رؤيتهم، ويتشبهوا بغيرهم من أنواع الحيوان؛ لأن أجسامهم من الرقة على ما يمكن ذلك فيها، وقد وجدنا الإنسان يجمع الهوا ويفرّقه، ويغير صور الأجسام الرخوة، ضروباً من التغيير، وأعيانها لم تزد ولم تنقص، وقد استفاض الخبر بأن إبليس تراءى لأهل دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد، وحضر يوم بدر في صورة سراقة، وأن جبرئيل عليه السلام ظهر لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صورة دحية الكلبي... قال: وغير محال أيضاً أن يغير الله تعالى صورهم ويكشفها في بعض الأحوال فيراهم الناس؛ لضربٍ من الامتحان[1]. انتهى.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩) وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (٥١)﴾.

قال الشيخ رضي الله عنه ما نصه: المعنى... ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ هذا يتعلق بما قبله معناه ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ، ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ فلذلك

---

١) مجمع البيان: ج ٤ ص ٤٧٧ ـ ٤٧٨.

حذف الواو، وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان، ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وهم الشاكّون في الإسلام مع إظهارهم كلمة الإيمان، وقيل: إنهم فتية من قريش أسلموا بمكة واحتبسهم آباؤهم فخرجوا مع قريش يوم بدر، وهم: قيس بن الوليد بن المغيرة، وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج، والحارث بن زمعة، وأبو قيس بن الفاكهة بن المغيرة، لما رأوا قلة المسلمين قالوا: ﴿غَرَّ هَـؤُلاء دِينُهُمْ﴾ أي: غر المسلمون دينهم حتى خرجوا مع قلتهم لأجل دينهم إلى قتال المشركين مع كثرتهم، ولم يحسنوا النظر لأنفسهم حين اغتروا بقول رسولهم، فبيّن الله تعالى أنهم هم المغرورون بقوله ﴿دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ معناه: ومن يسلم لأمر ويثق به ويرضى بفعله وإن قلّ عددهم، فإن الله تعالى ينصرهم على أعدائهم وهو عزيز لا يُغلب، فكذلك لا يُغلب من توكل عليه، وهو حكيم يضع الأمور مواضعها على ما تقتضيه الحكمة.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ﴾ أي يقبضون أرواحهم عند الموت ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ يريد أستاءهم، ولكن الله سبحانه كنّى عنها، عن سعيد بن جبير ومجاهد، وقيل: وجوههم ما أقبل منهم، وأدبارهم ما أدبر منهم، والمراد: يضربون أجسادهم من قدّامهم ومن خلفهم، والمراد به: قتلى بدر، عن ابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبيرة وأكثر المفسرين.

وقيل: معناه: سيضربهم الملائكة عند الموت، قال الرماني: "وهذا غلط؛ لأنه خلاف الظاهر"، وروى الحسن قال: "إن رجلاً قال: يا رسول الله، إني

رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك! فقال ﷺ : «ذاك ضرب الملائكة». وروى مجاهد: "أن رجلاً قال للنبي ﷺ : إني حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه، فَنَدَرَ[١]، فقال: «سبقك إليه الملائكة».

﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: ويقول الملائكة للكفار استخفافاً بهم: "﴿ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ بعد هذا في الآخرة". وقيل: إنه كان مع الملائكة يوم بدر مقامعُ من حديد، كلما ضربوا المشركين بها التهبت النار في جراحاتهم، فذلك قوله: ﴿ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك العقاب لكم. ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: بما قدمتم وفعلتم، وإنما أضاف إلى اليد على التغليب؛ لأن أكثر الأفعال تكون باليد، والمراد بذلك: بجناياتهم الكفر والمعاصي.

﴿وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: لا يظلم عباده في عقوبتهم من حيث إنه إنما عاقبهم بجناياتهم على قدر استحقاقهم.

وفي هذا دلالة على بطلان مذهب المجبّرة في أنه يخلق الكفر ثم يعذب عليه، وأنه يجوز أن يعذب من غير ذنب، وأن يأخذ بذنب غيره؛ لأن هذا غاية الظلم، وقد بالغ (عز اسمه) في نفي الظلم عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[١]، انتهى.

---

١) ندرَ رأسُهُ، وندر الشيءُ: أي سقط. (هامش في المجمع).

١) مجمع البيان: ج ٤ ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠.

ومما نزل في شأن بدر من القرآن:

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيم (٦٩)﴾.

قال الشيخ رضي الله عنه في تفسيرها ما نصه:

المعنى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ أي: ليس له ولا في عهد الله إليه ﴿أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ من المشركين ليفدّيهم أو يمن عليهم ﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ أي: حتى يبالغ في قتل المشركين وقهرهم؛ ليرتدع بهم من وراءهم.

وقال أبو مسلم: الإثخان: الغلبة على البلدان، والتذليل لأهلها يعني: حتى يتمكن في الأرض.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾[1]، هذا خطاب لمن دون النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المؤمنين الذين رغبوا في أخذ الفداء من الأسرى في أول وقته، ورغبوا في الحرب للغنيمة، قال الحسن وابن عباس: يريد يوم بدر".

---

١) أقول هذا صريح في أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بريء من العتاب لا كما يزعمه بعض الجاهلين ممن لا ينزّه الأنبياء عن كل رذيلة وكل معصية كبيرة أوصغيرة كما هو مذهبنا. ولذلك تصدى علم الهدى رضي الله عنه في كتاب (تنزيه الأنبياء) لرد شبهتهم بالجواب الحاسم بالحجج الواضحة، ومنها: ظاهر الكتاب، فتدبر قوله تعالى: ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ تراها صريحة في المطلوب كما عرفت من تفسير أمين الإسلام، وأنت خبير أن هذه الآية يمتنع شمول الخطاب بها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فليس هو صلى الله عليه وآله وسلم داخلاً في ضمير المخاطبين قطعاً،

إذ من المحال أن يكون ﷺ من المهددين بالعذاب وهو الأمان الأكبر ﷺ للأمة من العذاب، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ فالآية التي استدل بها الجاهلون على عتابه وتخطئته هي الحجة القائمة عليهم في حسم شبهتهم، فكانت هي المعتمد في الأدلة التي أوضحها علم الهدى، فإنه رحمه الله سدّ عليهم طرق الإشكال من كل الجهات بالحجج النيرات، حتى قال في آخرها ما نصه: "وإذا كان القرآن لا يدل بظاهر ولا بفحوىً على وقوع معصية منه ﷺ في هذا الباب، فالرواية الشاذة لا يعوّل عليها ولا يُلتفت إليها.

وبعدُ، فلسنا ندري من أي وجه تضاف المعصية إليه ﷺ في هذا الباب؛ لأنه لا يخلو من أن يكون أوحى إليه ﷺ في باب الأسارى بأن يقتلهم أو لم يوح إليه فيه شيء، ووكل ذلك إلى اجتهاده ومشورة أصحابه، فإن كان الأول فليس يجوز أن يخالف ما أوحي إليه، ولم يقل أحد أيضاً في هذا الباب: إنه ﷺ خالف النص في باب الأسارى، وإنما يدّعي عليه أنه فعل ما كان الصوابُ عند الله خلافَهُ، وكيف يكون قتلهم منصوصاً عليه بعد الأسر وهو يشاور فيه الأصحاب ويسمع فيه المختلف من الأقوال.

وليس لأحد أن يقول: ״إذا جاز أن يشاور في قتلهم واستحيائهم، وعنده نص بالاستحياء، فهلاّ جاز أن يشاور وعنده نص في القتل؟ وذلك أنه لا يمتنع أن يكون أمر بالمشاورة قبل أن ينص له على أحد الأمرين، ثم أمر بما وافق إحدى المشورتين فاتّبعه״. وهذا لا يمكن للمخالف أن يقول مثله. وإن كان لم يوح إليه في باب الأسارى شي، ووكل إلى اجتهاده ومشورة أصحابه، فما باله يعاتب وقد فعل ما أدّاه إليه الاجتهاد والمشاورة؟ وأي لوم على من فعل الواجب ولم يخرج عنه؟ وهذا يدل على أن من أضاف إليه المعصية قد ضل عن وجه الصواب". انتهى. [**انظر**: تنزيه الأنبياء: ص ١٥٩ ـ ١٦٠].

وللسيد الجليل عبد الحسين شرف الدين رحمه الله في (الفصول المهمة) في ذلك كلام جليل في (فصل معذرة المتأولين) قد حقق فيه الصواب وأشار إلى سبب الرواية المختلفة، فراجع ص ٩٨ ترى فيه نور المستبصرين. (منه رحمه الله).

ويقول: "أخذتم الفداء من الأسرى في أول وقعة كانت لكم من قبل أن تُثخنوا في الأرض"، وعرض الدنيا: مال الدنيا؛ لأنه بمعرض الزوال.

﴿وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ أي: تريدون عاجل الحظ من عرض الدنيا والله يريد لكم ثواب الآخرة، ﴿وَاللّهُ عَزِيزٌ﴾ لا يُغلبُ أنصاره، فاعملوا ما يريده منكم لينصركم ﴿حَكِيمٌ﴾ يجري أفعاله على ما توجبه الحكمة. فصّل سبحانه بين إرادة نفسه وإرادة عباده، ولو كان ما أرادوه ـ على ما قاله المجبّرة ـ لم يصح هذا التفصيل.

﴿لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قيل في معناه أقوال:

أحدها: لولا ما مضى من حكم الله أن لا يعذب قوماً حتى يبين لهم ما يتقون، وأنه لم يبين لكم أن لا تأخذوا الفداء، لعذبكم بأخذ الفداء، عن ابن جريج . **وثانيها:** لولا أن الله حكم لكم إباحة الغنائم والفداء في أم الكتاب ـ وهو اللوح المحفوظ ـ لمسكم فيما استحللتم قبل الإباحة عذاب عظيم، فإن الغنائم لم تحل لأحد قبلكم، عن ابن عباس. **وثالثها:** لولا كتاب من الله سبق ـ وهو القرآن ـ فآمنتم به واستوجبتم بالإيمان به الغفران، لمسكم العذاب، عن الجبائي، قال: "والمراد به الصغائر".

ورابعها: أن الكتاب الذي سبق قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ ، والمعنى: لولا ما كتب الله في القرآن أو في اللوح المحفوظ أنه لا يعذبكم والنبي بين أظهركم لعذبكم ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً﴾ ، هذه إباحة منه سبحانه للمؤمنين أن يأكلوا مما غنموه من أموال المشركين.

﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ﴾ باتقاء معاصيه ﴿إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، انتهى المعنى[1].

ثم ذكر رضي الله عنه تمام القصة فقال ما نصه:

كان القتلى من المشركين يوم بدر سبعين، قتل منهم علي بن أبي طالب عليه السلام سبعة وعشرين، وكان الأسرى أيضاً سبعين، ولم يُؤسر أحدٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فجمعوا الأسارى وقرنوهم في الحبال، وساقوهم على أقدامهم، وقُتل من أصحاب رسول الله تسعة رجال، منهم: سعد بن خيثمة، وكان من النقباء من الأوس، وعن محمد بن إسحاق قال: "استشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلاً: أربعة من قريش وسبعة من الأنصار". وقيل: ثمانية، وقُتل من المشركين بضعة وأربعون رجلاً. وعن ابن عباس قال: "لما أمسى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ـ والناس محبوسون بالوثاق ـ بات ساهراً أول الليلة، فقال له أصحابه: "ما لك لا تنام؟"، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «**سمعت أنين عمّي العباس في وثاقه**» ، فأطلقوه، فسكتَ، فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ". وروى عبيدة السلماني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأصحابه يوم بدر في الأسارى: «**إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم، و ليستشهد منكم بعدتهم**» ، وكانت الأسارى سبعين، فقالوا: "بل نأخذ الفداء فنستمتع به، ونتقوى به على عدونا، وليستشهد منا بعدتهم"، قال عبيدة: "طلبوا الخيرتين كلتيهما، فقتل منهم يوم أحد سبعون".

---

١) مجمع البيان: ج ٤ ص ٤٩٣.

وفي كتاب علي بن ابراهيم: لما قَتل رسولُ الله ﷺ النضرَ بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، خافت الأنصار أن يقتل الأسارى، فقالوا: "يا رسول الله قتلنا سبعين وهم قومك وأسرتك أتجذّ أصلهم[١]؟ فخذ ـ يا رسول الله ـ منهم الفداء، وقد كانوا أخذوا ما وجدوه من الغنائم في عسكر قريش، فلما طلبوا إليه وسألوه نزلت الآية: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى... الآيات﴾ فأطلق لهم ذلك، وكان أكثر الفداء أربعة آلاف درهم، وأقله ألف درهم، فبعثت قريش بالفداء أولاً فأولاً، فبعثت زينب بنت رسول الله ﷺ من فداء زوجها أبي العاص بن الربيع، وبعثت قلائدَ لها كانت خديجةُ جهّزتها بها، وكان أبو العاص بن أخت خديجة، فلما رأى رسول الله ﷺ تلك القلائد قال: «رحم الله خديجة، هذه القلائد هي جهّزتها بها» ، فأطلقه رسول الله ﷺ بشرط أن يبعث إليه زينب ولا يمنعها من اللحوق به، فعاهده على ذلك، ووفى له.

وروي أن النبي ﷺ كره أخذ الفداء، حتى رأى سعد بن معاذ كراهية ذلك في وجهه، فقال: "يا رسول الله ـ هذا أول حرب لقينا فيه المشركين، والإثخان في القتل أحبّ إلي من استبقاء الرجال". وقال عمر بن الخطاب: "يا رسول الله، كَذّبوكَ وأخرجوك، فقدّمهم واضرب أعناقهم، ومكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، ومكّني من فلان أضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر". وقال أبو بكر: "أهلُكَ وقومُكَ استأن بهم واستبقهم، وخذ منهم فدية؛

---

١) جَذّه: قطعه مستأصلاً. (هامش في المجمع).

فيكون لنا قوّة على الكفار". قال ابن زيد: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لو نزل عذاب من السماء ما نجا منكم غير عمر وسعد بن معاذ» .

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «كان الفداء يوم بدر: كلٌّ رجل من المشركين بأربعين أوقية، والأوقية أربعون مثقالاً، إلاّ العباس فإنّ فداءه كان مائة أوقية، وكان أخذ منه حين أسر عشرون أوقية ذهباً، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ذلك غنيمة، ففادِ نفسكَ وابنَيْ أخيك نوفلاً وعقيلاً) فقال: "ليس معي شيء"، فقال: (اين الذهب الذي سلّمته إلى أم الفضل، وقلت: "إنْ حدث بي حدثٌ فهو لك وللفضل وعبد الله وقُثم"؟) فقال: "من أخبرك بهذا؟"، قال: (الله تعالى) ، فقال: أشهد أنك رسول الله، والله ما اطّلع على هذا أحد إلا الله تعالى»(١)، انتهى.

وما يتعلق بالقضية:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٠) وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

قال الشيخ أمين الإسلام رضي الله عنه :

المعنى: ثم خاطب الله سبحانه نبيه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم﴾ إنما ذكر الأيدي لأن من كان في وثاقهم فهو بمنزلة من يكون في أيديهم؛ لاستيلائهم عليه.

﴿مِّنَ الأَسْرَى﴾ يعني أسراء بدر الذين أخذ منهم الفداء.

---

١) مجمع البيان: ج ٤ ص ٤٩٣ ـ ٤٩٥.

﴿إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً﴾ أي: إسلاماً وإخلاصاً أو رغبة في الإيمان وصحة نية.

﴿يُؤْتِكُمْ خَيْراً﴾ أي: يُعطيكم خيراً ﴿مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء، إما في الدنيا والآخرة، وإما في الآخرة، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللّهُ غَفُورٌ﴾ للذنوب، ﴿رَّحِيمٌ﴾.

روي عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: "نزلت هذه الآية فيَّ وفي أصحابي، كان معي عشرون أوقية ذهباً، فأخذَتْ منّي فأعطاني الله مكانها عشرين عبداً، كلٌ منهم يضرب بمال كثير، وأدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية، وأعطاني زمزم، وما أحب أنّ لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا انتظر المغفرة من ربي".

قال قتادة: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفاً ـ وقد توضأ لصلاة الظهر ـ فما صلى يومئذ حتى فرّقه، وأمر العباس أن يأخذ منه ويحثي، فأخذ، فكان العباس يقول: "هذا خير مما أخذ منا، وأرجو المغفرة".

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾ معناه: وإن يرد الذين أطلقتهم من الأسارى خيانتك بأن يُعدّوا حرباً لك أو ينصروا عدواً لك، ﴿فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ﴾ بأن خرجوا إلى بدر وقاتلوا مع المشركين. وقيل: بأن أشركوا بالله وأضافوا إليه ما لا يليق به، ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ أي: فأمكنك منهم يوم بدر بأن غُلبوا

وأُسروا وسيمكنك منهم ثانياً إن خانوك ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ معناه: عليم بما يقولونه وبما في نفوسهم وجميع الأشياء، حكيم فيما يفعله(١)، انتهى.

ومضمون القصة رواها غير واحد من الفريقين، وإن اختلفوا في بعض المضامين بزيادة ونقيصة، أو تغيير في بعض الكيفيات باختلاف الروايات، كاختلافهم فيمن قتل أبا جهل (لعنه الله وأخزاه وجعل الجحيم مثواه) ، واختلافهم في كمّية المقتولين الذين قتلهم أمير المؤمنين عليه السلام ، وأمثال ذلك. وشيخنا أمين الإسلام لم يستوف القضية وإنما اخترنا ذلك حيث إنها من طريق الكتاب المجيد، وفي تفسيره فوائد جمة من المعارف ونحوها، ومضمون القصة كما رأيت.

وحيث إنها لم تكمل، فمن الراجح جداً أن نحرر شيئاً مما لم نذكره؛ لما فيه من مزيد الفائدة، وإن تكرر في التحرير شيء تبعاً لما نذكره من الرواية فلا بأس به، لاختلاف طريقه، ففيه تأييد لما ذُكر، ولنختارَ ـ فيما نجتبي تحريره ـ ما جاء عن طريق أهل السنة، ففيه إيذان بحب الوفاق، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ ، والإسلام مبني على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، فدونك بعضاً مما رواه أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بـ(ابن الأثير الجزري)، المتوفي سنة ستمائة وثلاثين، فقد ذكر في تاريخه الموسوم بـ(الكامل) قصة بدر، قال في أثناء ذلك ما نصه:

---

١) مجمع البيان: ج ٤ ص ٤٩٥ ـ ٤٩٦.

وخرج رسول الله ﷺ وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ ، ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال: «**والذي نفس محمد بيده! لا يُقاتلهم اليوم رجلٌ فيُقتل صابراً محتسباً غير مُدْبر إلا أدخله الله الجنة**» . وقال عمر بن الحمام الأنصاري وبيده ثمرات يأكلهن: "بخ بخ، ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء"، ثم القى الثمرات من يده، وقاتل حتى قتل[1]....ـ إلى أن

---

١) ينبغي لنا أن نتدبر في هذه القضية وأمثالها مما أشعرت بقوة البصيرة في الصحابة النبوية المستشهدة البدرية كي يكونوا لنا قدوة، فهم نعْمَ السَلَف الصالح، فإنهم للنبي ﷺ أتبع له من ظِلاله، ولأكثر الأنصار خصوصية معه ﷺ في حياته قد سلموا تسليماً، فليتهم بقوا على ذلك بعد وفاته وسدوا باب التأويل من جميع جهاته، فالنصوص على علي عليه السلام ولي الله بالولاية العامة متواترةٌ صريحةٌ لا تقبل التأويل ـ كما عرفت كمية منها ـ وإن شاء الله كانت عاقبة أمرهم إلى خير، كيف وقد تهافتوا في آخر سنة خمس وثلاثين على بيعة على أمير المؤمنين عليه السلام وكانوا من أنصاره في حروبه الجمل والنهروان وصفين.

قال المسعودي في (مروج الذهب [ج ٢ ص ٣٦١]) ما نصه: "وكان ممن شهد صفين مع علي من أصحاب بدر: سبعة وثمانون رجلاً، منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الأنصار، ومن أصحاب رسول الله ﷺ تسعمائة، وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمان مائة".

وفيه أيضاً [ص ٣٦١] قال: "وقعد عن بيعته جماعة عثمانية لم يروا إلا الخروج عن الأمر، منهم: سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر و [الذي] بايع يزيد بعد ذلك، والحجاج لعبد الملك بن مروان. انتهى.

أقول: إنا لَنُوكلُ صحّة هذا التأول وفساده إلى القرّاء المنصفين، فإن الرجل المذكور من صلحاء الجمهور، فما عذرهم عنه في تركه بيعة علي ولي الله ومبايعته ليزيد عدو الله السكّير الخمّير! الذي فِسْقُهُ غيرُ خفي على المسلمين، ويكفيه من ذلك قتلُ الحسين عليه السلام

سيد شباب أهل الجنة، بل اعترف بكفره ثلّة منهم، وقد نقلنا أقوالهم على التعيين في كتابنا (النظرة الحسينية) ومقولته (لعنه الله) مشهورة:

لعبت هاشم بالملك فلا   خبر جاء ولا وحي نزل

واعطف عليه الحجاج، ففسقه وولُوغه في الدماء غني بشهرته عن ذكره... ولعل الجمهور يعتذرون عن الرجل المذكور بأنه لم ينفرد عن بيعة علي أمير المؤمنين عليه السلام بل كان معه جماعة ـ على ما ذكره غير واحد من المؤرخين، ومنهم المسعودي، فقد عين في كتابه (المروج) جماعة بأسمائهم ـ منهم: ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، وأشار إلى غيرهم، بقوله: "وآخرين لم نذكر أسماءهم".

وممن ذكر: سعيد بن أبي وقاص، وهو سادس من دخلوا الإسلام، ومن العشرة المبشرين بالجنة في رواية أهل السنة. وممن ذكر من المتقاعدين عن البيعة: حسان بن ثابت، وهو صاحب الأبيات المشهورة عند الفريقين في يوم الغدير والتي أولها:

يناديهم يوم الغدير نبيهم   بخم واسمع بالنبي مناديا

ومنها قوله:

فقام به اذ ذاك رافع كفه   بكف علي معلن الصوت عاليا

هناك دعا اللهم والي وليه   وكن للذي عادى عليا معاديا

فيُجيبه النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك بقوله: «**لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما دمت ناصرنا...**».

فيا أيها المسلم المنصف، بحق أخوّة الإسلام تأمل لهذا القيد في ذلك الدعاء النبوي، فهل تجد مصداقه ظهر عند ترك حسّان بيعة أمير المؤمنين عليه السلام أم لا؟ هل كان حسّان في ذلك الحال موالياً لعلي عليه السلام ولي الله؟ فلابد أنك تقول: لا، وبمقتضى شعره فإن موالاة علي هي موالاة الله ورسوله صلى الله عليه وآله ؛ وذلك لازم دعاء النبي صلى الله عليه وآله التي لا تتخلف إجابته.

وأما سعد، فمقتضى كونه ـ كما يقال ـ من العشرة المبشرين بالجنة، لا بد أن يتمسك بالحق. ولا شك عند القوم أن أحد هؤلاء العشرة عليٌ عليه السلام ، وهو "مع الحق والحق معه" حسب النبوي المسلّم بين المسلمين. ولا نعلم الآن ـ أيها الإخوة ـ أن الحق عندكم مع سعد ومع حسان، أم مع علي عليه السلام ؟ ولكن لعل عند القوم التاركين لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام جواباً

قال ـ وكان أول من لقي أبا جهل: معاذ بن عمرو بن الجموح، وقريش محيطة به يقولون: "لا يخلص إلى أبي الحكم".

قال معاذ: "فجعلته من شأني، فلما أمكنني حملتُ عليه فضربته ضربة أطنّت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة، فطرح يدي من عاتقي فتعلقت بجلدة من جثتي، فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني جعلت عليها رجلي ثم تمطيت حتى طرحتها...".

وعاش معاذ إلى زمن عثمان.

للسؤال على لسان شيعتهم، فيجوز أن يقولوا: إن أكثرهم لم يكونوا من الناكثين ولا من القاسطين ولا من المارقين الذين قاتلوا أمير المؤمنين عليه السلام وقاتلهم بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصادق الأمين، وهذا ثابت عند غير واحد من الفريقين، ومنهم ابن أبي الحديد وكمال الدين، فمن لم يحارب علياً عليه السلام ومن ذُكر ـ كسعد وحسان وأضرابهم ـ أخف وطأة على الدين من معاوية وأضرابه، مع أن طلحة والزبير من العشرة المبشرين وقد كانوا من الناكثين بلا شك عند أحد من المسلمين، غاية الأمر أن عليهم إثبات دعوى توبتهم.

وعليه، إن سعداً وحساناً وأمثالهم من التاركين البيعة، الذين لم يحاربوا، أقلُّ ذنوباً من المحاربين، بالنظر إلى كونهم محاربين، وإلا فالتاركون البيعة ليسوا من الموالين لعلي عليه السلام قطعاً، ولازمه خروجهم من الموالين لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما قررناه.

وقد يقال: إن قعود سعد وأضرابه من وجوه المهاجرين أو من وجوه الأنصار عن البيعة سبب لبثّ الشبهات في الدين الإسلامي، وتشبث المبطلين المعادين لأمير المؤمنين عليه السلام لتلك الأوهام الباطلة المازجة للحق بالباطل، وغووا على التحقيق بالشبهات.

[أصابك النفر الماضي بما ابتدعوا] وما المسببُ لو لم ينجح السبب

[بيت للشيخ هاشم الكعبي الخوزستاني رحمه الله، المتوفى سنة ١٢٢١ هـ]. (منه رحمه الله).

ثم مر بأبي جهل معوذ بن أبي عفرة فضربه حتى أثبته، وتركه وبه رمق، ثم مرَّ به ابن مسعود وقد أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتلى، فوجده بآخر رمق، قال: "فوضعت رجلي على عنقه".

ثم قال: "هل أخزاك الله يا عدو الله؟"، قال: "وبم أخزاني؟ أمن رجل قتلتموه؟ أخبرني لمن الدائرة؟"، قلت: "لله ولرسوله ﷺ "، فقال له أبو جهل: "لقد ارتقيت يا رويع الغنم ـ مرتقاً صعباً" قال: فقلت: "إني قاتلك"، قال: "ما أنت بأول عبد قتل سيده، أما إن أشدّ شيء رقيته اليوم قتلُك إياي، ألا قتلني رجل من المُطيّبين الأخلاف؟"، فضربه عبد الله فوقع رأسه بين رجليه فحمله إلى رسول الله ﷺ ، فسجد شكراً لله.

وكان عبد الرحمن بن عوف قد غنم أدراعاً فمرَّ بأمية بن خلف وابنه عليّ فقال له: "نحن خير لك من هذه الأدراع"، فطرح الأدراع وأخذ بيده وبيد ابنه ومشى بها، فقال له أمية: "من الرجل المعلم بريشة نعامة في صدره؟"، قال: "حمزة بن عبد المطلب". قال أمية: "هو الذي فعل بنا الأفاعيل".

ورأى بلالُ أمية وكان يعذّبه بمكة، فيخرج به إلى رمضاء مكة فيُضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ويقول: "لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد"، فيقول بلال: "أحد أحد"، فلما رآه بلال قال أميَّة: "رأس الكفر! لا نجوتُ إن نجا"، فأحاط بهم المسلمون، وقُتل أميَّة وابنه علي. وكان عبد الرحمن يقول: "رحم الله بلالاً، ذهبت أدراعي

وفجعني بأسيري". وقال حنظلة بن أبي سفيان: إن حرب قتله علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما انهزم المشركون أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يُقتل أبو البختري ابن هشام؛ لأنه كان أخف القوم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بمكة، وكان ممن اهتم في نقض الصحيفة، فلقيه المجذر بن زياد البلَوي ـ حليف النصارى ـ ومعه زميل له، فقال له: "إن رسول الله نهى عن قتلك"، فقال: "وزميلي؟"، فقال المجذر: "لا والله"، قال: "إذن والله لأموتن أنا وهو، ولا تتحدث نساء قريش أني تركت زميلي حرصاً على الحياة"، فقتل، ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخبره.

ثم ذكر أسر العباس ومنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قتله، وصعود بني غفار الجبل، ومجيء الملائكة، وقتلهم المشركين، وقد ذكروا آنفاً، ثم قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تُطرح القتلى في القليب فطُرحوا فيه، إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأها، فذهبوا به ليخرجوه فتقطع، وطرحوا عليه من التراب والحجارة ما غيّبه، ولما ألقوا القوم في القليب وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: **«يا أهل القليب! بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس»**، ثم قال: **«يا عتبة، يا شيبة، يا أمية بن خلف، يا أبا جهل بن هشام** ـ وعدد من كان في القليب ـ **هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً»**، فقال له أصحابه: "أتكلّم قوماً موتى؟"، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا»**. ولما قال صلى الله عليه وآله وسلم: لأهل القليب ما قال، رأى في وجه أبي حذيفة بن عتبة الكراهية

وقد تغير، فقال: «**لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟**»، قال: "لا والله يا رسول الله، ما شككت في أبي وفي مصرعه، ولكنه له عقل وحلم وفضل، فكنت أرجو له الإسلام، فلما رأيت ما مات عليه من الكفر أحزنني ذلك"، فدعا له رسول الله ﷺ بخير.

ثم إن رسول الله ﷺ أمر فجُمع ما في العسكر، فاختلف المسلمون، فقال من جمعه: "هو لنا"، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو: "والله لولا نحن ما أصبتموه، نحن شغلنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم"، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ وهو في العريش: "والله ما أنتم بأحق به منّا، لقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن له من يمنعه، ولكن خفنا كرّة العدو على رسول الله ﷺ فقمنا دونه"، فنزع الله تعالى الأنفال من أيديهم وجعلها إلى رسول الله ﷺ ، فقسمها بين المسلمين على سواء.

ثم ذكر ارسال النبي ﷺ عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة مبشرين إلى المدينة، حتى ذكر قتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، وأسر سهيل، وإبقاء النبي ﷺ له، وإخباره بإسلامه.. إلى أن قال: ولما قدم به المدينة قالت له سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ : "أعطيتم بأيديكم كما تفعل النساء، ألا مُتمُ كراماً؟ فسمع رسول الله ﷺ قولها فقال لها: «**يا سودة، على الله وعلى رسوله؟**»، فقالت: "يا رسول الله، ما ملكت نفسي حين رأيته

أنْ قلتُ ما قلتُ"، وقال رسول الله ﷺ : «استوصوا بالأسرى خيراً»، وكان أحدهم يؤثر أسيره بطعامه[١]، انتهى.

أقول: يلزم صاحب البصيرة أن يتفطن في مثل هذه النكات النبوية؛ كي يستنير بها في محاجته الدينية، فتأمل في إنكار النبي ﷺ على سودة بنت زُمعة في قولها، يريد به ﷺ أن المسلم لا بد أن يُخلص في إسلامه، حتى من الميل إلى المحادّين الله ورسوله ﷺ ، مع أن سودة لم تتمنَ بقاءهم، غير أنها انهضمت لأسرهم مع كونهم أشرافاً عندها، ولا شرف عند النبي ﷺ إلا بالإسلام، فهو ﷺ يذودها وأمثالها عما يلوث الضمائر بما ينافي الإسلام. ثم تدبر في وصيته ﷺ بالأسارى كي يحصل لك منها ومن أمثالها درس في مكارم الأخلاق.

هذا، وقضية بدر وإن انتهى منها مرادنا بما حررناه، لكن فيما بقي مما يتعلق بها نكتة نبوية فيها مزايا أخلاقية ودينية، فيحسن أن نصطفي منها ما نستطرفه. فمن ذلك: قضية أبي العاص زوج بنت رسول الله ﷺ و إجارتها له، وقد تقدم أسره وفِداه آنفاً:

قال ابن الأثير ما مضمونه: أرسل أبو العاص زوجته بنت رسول الله ﷺ بصحبة حميّها كنانة بن الربيع نهاراً، فجرى بينه وبين قريش ما قضى بردّها إلى مكة، ثم أخرجها ليلاً وسلّمها إلى زيد بن حارثة حتى قدمت على أبيها رسول الله ﷺ وأقامت عنده.

---

١) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٢٦ ـ ١٣١.

ثم قال ما نصه: فلما كان قبل الفتح، خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام بأمواله وأموال رجالٍ من قريش، فلما عاد لقيته سريّة رسول الله ﷺ فأخذوا ما معهم، وهرب منهم، فلما كان الليل أتى إلى المدينة فدخل على زينب، فلما كان الصبح خرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة فكبَّر وكبَّر الناس، فنادت زينب من صفّة النساء: "أيها الناس! إني قد أجرت أبا العاص". فقال النبي ﷺ : «**والذي نفسي بيده! ما علمت بشيء من ذلك، وإنه ليجير على المسلمين أدناهم**». وقال لزينب: «**لا يخلص إليك، فلا يحل لك**». وقال للسرية الذين أصابوه: «**إن رأيتم أن تردّوا عليه الذي له، فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاءه عليكم، وأنتم أحق به**». قالوا: "يا رسول الله، بل نرده عليه"، فردّوا عليه ماله كله، حتى الشظاظ، ثم عاد إلى مكة فردّ على الناس مالهم، وقال لهم: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوّف أن تظنوا إنما أردت أكل أموالكم"، ثم خرج، فقدِم على النبي ﷺ فردّوا عليه أهله بالنكاح الأول، وقيل بنكاح جديد.

ومن ذلك: قضية إسلام عمير، فإليك نصها: وجلس عمير بن وهب الجُمحي مع صفوان بن أمية بعد بدر، وكان شيطاناً، وكان ممن يؤذي النبي وأصحابه، وكان ابن وهب في الأسارى، فقال صفوان: "لا خير في العيش بعد من أصيب ببدر"، فقال عمير: "صدقت، ولولا دَين عليَّ، وعيالٌ أخشى ضيعتهم، لركبت إلى محمد حتى أقتله". فقال صفوان: "دَينك عليَّ، وعيالك

مع عيالي أسوَتهم". فسار إلى المدينة فقدمها، فأمر النبي ﷺ عمر بن الخطاب بإدخاله عليه، فأخذ عمر بحمالة سيفه، وقال لرجال معه من الأنصار: "أُدْخلوا على رسول الله ﷺ ، واحذروا هذا الخبيث"، فلما رآه رسول الله ﷺ قال لعمر: «**اتركه**». ثم قال: «**أُدْنُ يا عمير، ما جاء بك؟**»، قال: "جئت لهذا الأسير"، قال: «**اصدقني**» ، قال: "ما جئت إلا لذلك"، قال: «**بل قعدت أنت وصفوان وجرى بينكما كذا وكذا**»، فقال عمير: "أشهد أنك رسول الله! هذا الأمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فالحمد الله الذي هداني للإسلام". فقال رسول الله ﷺ : «**فقّهوا أخاكم في دينه، وعلّموه القرآن، واطْلقوا له أسيره**» . ففعلوا، فقال: "يا رسول الله! كنت شديد الأذى للمسلمين، فأحب أن تأذن لي فأقدِمَ مكة فأدعو إلى الله، وأوذي الكفار في دينهم كما كنت أوذي أصحابك". فأذن له، فكان صفوان يقول: "أبشروا الآن بوقعة تأتيكم تنسيكم وقعة بدر". فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الله، فأسلم معه أناس كثير، وكان يؤذي من خالفه، انتهى مرادنا مما في (الكامل)(١).

وقدَّمنا لك أن في روايات القصة بعض الاختلاف وفيها بعض الزيادات عند بعض لم يذكره البعض الآخر، وقد عرفت مرامنا هو أن نجتبي بعض النكات؛ لما فيها من الخصوصية من الطرائف النبوية، وقضية بدر قد توسّع فيها ابن أبي الحديد في (شرح النهج) والكلام فيها مبسوط أكثر مما في (الكامل)، ففيه مما نبتغيه مما فيه مزايا جليلة، ومنها: قضية السائب ما نصه:

---

١) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٣٥ ـ ١٣٦.

قال الواقدي: وحدثني موسي بن محمد عن أبيه قال: "كان السائب بن أبي حبيش الأسدي يحدث في زمن عمر بن الخطاب فيقول: والله ما أسرني يوم بدر أحد من الناس، فيقال: فمن؟ فيقول: لما انهزمت قريش انهزمتُ معها فأدركني رجل أبيض طويل على فرس أبلق بين السماء والأرض، فأوثقني رباطاً، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً وكان عبد الرحمن ينادي في العسكر: "من أسرَ هذا؟"، فليس أحد يزعم أنه أسرني، حتى انتهى بي إلى رسول الله ﷺ فقال: "**إني رسول الله يا ابن أبي حبيش، من أسرك؟**»، قلت: "لا أعرفه، و كرهت أن أخبره بالذي رأيت"، فقال رسول الله ﷺ : «**أسره ملك من الملائكة كريم**[١]، **اذهب يا ابن عوف بأسيرك**»، فذهب بي عبد الرحمن. قال السائب: "وما زالت تلك الكلمة أحفظها، وتأخر إسلامي حتى كان منذ ما كان.

ومن ذلك: ما رواه الواقدي عن حكيم بن حزام، ونصه: يقول: لقد رأيتنا يوم قد وقع بوادي خلص بجاد[٢] من السماء قد سدّ الأفق، قال: ووادي خلص: ناحية الرويثة. قال: فإذا الوادي يسيل نملاً، فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء أيّد به محمد ﷺ فما كانت إلا الهزيمة.

---

١) فتبصر تجد ما فيها من النورانية، فهي من أعلام نبوته ﷺ ، (منه رحمه الله).

٢) قال الشيخ فخر الدين الطريحي رحمه الله في (المجمع) في مادة (بجد) ما نصه: والبجاد كساء من أكسية العرب، مخطط، ومنه قوله: كبير أناس في بجاد مزمل... فعليه أن هذا العربي رأى شيئاً يشبه الكساء المخطط. (منه رحمه الله).

وفيه برواية الواقدي قال: حدثني موسى بن يعقوب عن عمه قال: سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة يقول: سمعت مروان بن الحكم يسأل الحكيم بن حزام عن يوم بدر، فجعل الشيخ يكره ذلك حتى ألحّ عليه فقال حكيم: التقينا فاقتتلنا فسمعت صوتاً وقد وقع من السماء إلى الأرض مثل وقع الحصاة في الطست وقبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم القصبة فرمى بها فانهزمنا(١).

وفيه أيضاً برواية الواقدي عن عبد الله بن ثعلب بن صفير قال: سمعت نوفل بن معاوية الدؤلي يقول: "انهزمنا يوم بدر ونحن نسمع كوقع الحصا في الطساس بين أيدينا ومن خلفنا، فكان ذلك أشد الرعب علينا.

ثم قال ابن أبي الحديد: فأما الذين قالوا: "نزلت الملائكة ولم تقاتل" فقد ذكر الزمخشري في كتابه في تفسير القرآن المعروف بـ(الكشاف) : أن قوماً أنكروا قتال الملائكة يوم بدر، ثم ذكر أدلتهم، ومنها ما ملخصه: أن البشر لا تقوى على قوة مَلَك واحد فكيف تحتاج إلى ألف؟ فإن مَلكاً واحداً يستأصل قُريشاً بأدنى قوته. واستشهدوا بقوة جبرئيل في قصة مدائن لوط. وحيث لم يسعهم إنكار نزول الملائكة علّلوه أولاً: بتكثير سواد المسلمين، فقد قلّلهم الله في أعين المشركين حيث اقتضت المصلحة بحكمته تعالى وتقدس. وعلّلوه ثانياً: بأن تُثَبّت الملائكة قلوب المؤمنين ويشجعوهم على القتال، فإن الملائكة تصوروا بصور رجال.

---

١) فانظر إليها بعين بصيرتك كي يسترَّ بها فؤادك؛ لما فيها من المعجزة لهذا النبي الكريم والعناية الإلهية به صلى الله عليه وآله وسلم فهي وأمثالها من البُغيات الجليلة للمؤمنين. (منه رحمه الله).

ثم أجابهم الزمخشري بما نصه: ولقائل أن يقول: إذا كان قادراً على أن يقلل ثلاثمائة إنسان في أعين قريش حتى يظنوهم مائة، هو قادر على أمَّة يكثرهم في أعين قريش بعد التقاء حلقتي البطان، فيظنون ألفين وأكثر، من غير حاجة إلى إنزال الملائكة. فإن قلت: لعل في إنزالهم لطفاً للمكلفين؟ قلت: ولعل في محاربتهم لطفاً للمكلفين[١]. انتهى.

هذا... وقد أفدناك برجحان اختيارنا الكلام على غزوة بدر من طريق القرآن؛ لما فيه من تعظيمه للنبي الأعظم ﷺ حيث أعلمَ الخلق ما له ﷺ من عناية الحق تعالى.

وقد أنهينا ما رُمناه من مضمون القضية من (سورة الأنفال) ، لكن لما لم تزل فكرتنا متعلقة بالمزايا النبوية وقد جاء في قضية بدر في (**سورة آل عمران**) من آي الكتاب كمية، فلنصطف منها ما فيه دلالة على مكانة النبي الكريم ﷺ عند الحضرة الأزلية، حيث لا يريد تعالى إلا إعزاز الدعوة المحمدية، فتارة يكرم حبيبه ﷺ بالآيات الواضحات بالإخبار بالمغيبات، وطوراً بغلبته ﷺ أعداءه بالحجج النيرات، فإذا عجزوا عن ذلك قابلوه بالحروب.

ولم يزل في حياته ﷺ وسيف الحق ظاهر على سيف الباطل، ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ ، ومن ثم ترى الآيات الواردة في الكتاب العزيز المتضمنة قضية بدر وأمثالها كثيراً ما تشير إلى ما سيكون

---

١) شرح نهج البلاغة: ج ١٤ ص ١٦٢ ـ ١٦٤.

قبل أن يكون، وكثيراً ما تخبر النبيَ صلى الله عليه وآله وسلم بما في ضمائر الكفار أو المسلمين تلميحاً أو تصريحاً، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢)﴾.

قال أمين الإسلام رضي الله عنه : المعنى: لمّا تقدم ذكر ما أصاب القرون الخالية بالتكذيب للرسل من العذاب، حذّر هؤلاء من أن يحل بهم ما حل بأولئك فقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إما مشركي مكة أو اليهود ـ على ما تقدم ذكره ـ ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ أي ستهزمون وتصيرون مغلوبين في الدنيا، ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ أي تجمعون ، ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة، وقد فعل الله ذلك. فاليهود غُلبوا بوضع الجزية عليهم، والمشركون غلبوا بالسيف.

وإذا قُرىء (سيغلبون) بالياء، فقد يمكن أن يكون المغلوبون والمحشورون من غير المخاطبين، وأنهم قوم آخرون، ويمكن أن يكونوا إياهم، قال الفراء: "يقال: قُل لعبد الله: إنه قائم، وإنك قائم". وإذا قُرىء بالتاء فلا يجوز أن يُظن هذا، فلا يكونون غير المخاطبين.

﴿وَ بِئْسَ الْمِهَادُ﴾ أي بئس ما مُهّد لكم، وبئس ما مَهّدتُم لأنفسكم، عن ابن عباس. وقيل: معناه: بئس القرار، عن الحسن. و قيل: بئس الفراش المُمهد لهم.

وفي الآية دلالة على صحَّة نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأن مُخبَره قد خرج على وفق خبره، فدل ذلك على صدقه، ولا يكون ذلك على وجه الاتفاق؛ لأنه بيّن أخباراً كثيرة من المستقبل فخرج الجميع كما قال، فكما أنّ كل واحد منها كان معجزاً، إذ الله لا يطلع على غيبه ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ ،

كذلك هذه الآية، وإذا ثبت صدقه على أحد الخبرين ـ وهو أنهم سيغلبون ـ ثبت صدقه في الخبر الآخر ـ وهو أنهم يحشرون إلى جهنم ـ[١]. انتهى.

وأنت خبير بأن ما ذكر من التفسير لمعنى هذه الآية الكريمة لم يصرّح بأن نزولها قبل غزوة بدر أو بعدها.

وفي أسباب نزولها خلاف بين المفسرين، وقد ذكر ذلك الشيخ الأمين المذكور رضي الله عنه فإليكه حرفياً:

روى محمد بن إسحاق بن يسار عن رجاله قال: لما أصاب رسول الله قريشاً ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق قينقاع فقال: «يا معشر اليهود! احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر، وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم، وقد عرفتم أنّي نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم»، فقالوا: طياً محمد، لا يغرّنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنّا ـ والله ـ لو قاتلناك لعرفتَ أنّا نحن الناس". فأنزل الله هذه الآية.

وروي أيضاً عن عكرمة وسعيد بن جبير، عن ابن عباس.

ورواه أصحابنا أيضاً.

وقيل: نزلت في مشركي مكة، ستغلبون يوم بدر، عن مقاتل. وقيل: بل نزلت في اليهود، لما قُتل الكفار ببدر وهزموا، قالت اليهود: "إنه النبي الأمي الذي بشرنا به موسى، ونجده في كتابنا بنعته وصفته، وأنه لا تُرد له راية"، ثم قال بعضهم لبعض: "لا تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة أخرى"، فلما كان يوم أحد

---

١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٢٤٩.

ونُكب أصحاب رسول الله شكّوا وقالوا: "لا والله! ما هو به"، فغلب عليهم الشقاء، فلم يسلموا، وقد كان بينهم وبين رسول الله عهد إلى مدة لم تنقض، فنقضوا ذلك العهد قبل أجله، وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة في ستين راكباً، فوافقوهم، وأجمعوا أمرهم على رسول الله: "لتكونن كلمتنا واحدة"، ثم رجعوا إلى المدينة، فأنزل الله فيهم هذه الآية، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس[1]. انتهى.

ومن تأمل في هذا عرف أنّ النزول ليس بمترتب على ترتيب التلاوة كما صرح به أمين الإسلام وغيره في غير مورد من التفسير. فهذه الآية الكريمة يكون ترتيب نزولها بحسب ترتيب تلاوتها بناء على القول بنزولها بعد غزوة بدر، أما على القول بنزولها قبلها فلا؛ لأن الآية الأخرى ـ التي هي بعدها تلاوةً ـ تصرّح بنزولها بعد الغزوة، ونزول الآية الأولى بعد الغزوة يصرّح به ما في تفسير الآية التي تليها، وهي الثانية، سيما على القول بأن الخطاب في الآيتين لليهود، وهي حجة الله قائمة عليهم وعلى غيرهم من الجاحدين. ولقد صرح تعالى بالاحتجاج بها، فاقرأها، وتدبرها، وتأمل معناها، ترى فيها نور الحق واضحاً جلياً.

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ (١٣)﴾.

---

١) ن، م، ص ٢٤٨.

قال أمين الإسلام في تفسيرها ما نصه: المعنى: لما وعد سبحانه الظفر لأهل الإيمان بين ما فعله يوم بدر بأهل الكفر والطغيان فقال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ قيل: الخطاب لليهود الذين نقضوا العهد، أي: كان لكم ـ أيها اليهود ـ دلالة ظاهرة وقيل الخطاب للناس جميعاً ممن حضر الوقعة، وقيل: للمشركين واليهود. ﴿آيَةٌ﴾ أي حجة وعلامة ومعجزة دالة على صدق محمد ﷺ . ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ أي: فرقتين اجتمعتا ببدر من المسلمين والكافرين، ﴿فِئَةٌ﴾ فرقة ﴿تُقَاتِلُ﴾ تحارب﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في دينه وطاعته، وهم الرسول وأصحابه، ﴿وَأُخْرَى﴾ أي: فرقة أخرى ﴿كَافِرَةٌ﴾ وهم المشركون من أهل مكة، ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ﴾ أي: ضعفهم، ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ أي: في ظاهر العين.

واختُلف في معناه، فقيل: معناه: يرى المسلمون المشركين مثلي عدد أنفسهم قلّلهم الله في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين رجلاً تقوية لقلوبهم، وذلك أن المسلمين قد قيل لهم: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ فأراهم الله عددهم حسب ما حدّ لهم من العدد الذي يلزمهم أن يقدموا عليهم ولا يحجموا عنهم، وقد كانوا ثلاثة أمثالهم، ثم ظهر العدد القليل على العدد الكثير، عن ابن مسعود وجماعة من العلماء.

وقيل: إن الرؤية للمشركين، يعني يرى المشركون المسلمين ضعفي ما هم عليه، فإن الله تعالى قبل القتال قلّل المسلمين في أعينهم؛ ليجترئوا عليهم ولا ينصرفوا، فلما أخذوا في القتال كثّرهم في أعينهم؛ ليجبنوا، وقلّل

المشركين في أعين المسلمين؛ ليجترئوا عليهم، وتصديق ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ... الآية﴾ وذلك أحسن أسباب النصر للمؤمنين والخذلان للكافرين، وهذا قول السدي، وإنما يتأتى هذا القول على قراءة من قرأ بالياء، فأما قول من قرأ بالتاء فلا يحتمله إلا قول الأول، على أن يكون الخطاب لليهود الذين لم يحضروا، وهم المعنيون بقوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ وهم يهود بني قينقاع، فكأنه قال: "ترون أيها اليهود المشركين مثلي المسلمين، مع أن الله أظهرهم عليهم، فلا تغتروا بكثرتكم"، واختار البلخي هذا الوجه.

أو يكون الخطاب للمسلمين الذي حضروا الوقعة، أي: ترون أيها المسلمون المشركين مثلي المسلمين، وقال الفراء: يحتمل قوله: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ﴾ يعني: ثلاثة أمثالهم؛ لأنك إذا قلت: "عندي ألف وأحتاج إلى مثلها"، فأنت تحتاج إلى ألفين؛ لأنك تريد "أحتاج إلى مثلها مضافاً إليها"، لا بمعنى بدلاً منها، فكأنك قلت: "أحتاج إلى مثليها"، وإذا قلت: "أحتاج إلى مثليها"، فأنت تحتاج إلى ثلاثة آلاف، فكذلك في الآية، المعنى: يرونهم مثليهم مضافاً إليهم، فذلك ثلاثة أمثالهم. قال: "والمعجز فيه إنما كان من جهة غلبة القليل الكثيرَ. وأنكر هذا الوجه الزجاجُ؛ لمخالفته لظاهر الكلام وما جاء في آية الأنفال من تقليل الأعداد.

فإن قيل: كيف يصح تقليل الأعداد مع حصول الرؤية وارتفاع الموانع؟ وهل هذا إلاّ قول مَن جوّز أن يكون عنده أجسام لا يدركها أو يدرك بعضها دون بعض؟

قلنا: يحتمل أن يكون التقليل في أعين المؤمنين بأن يظنوهم قليلي العدد، لا أنَّهم أدركوا بعضاً دون بعض؛ لأن العلم بما يدركه الإنسان جملةً غير العلم بما يدركه مفصلاً، ولأنا قد ندرك جمعاً عظيماً بأسرهم ونشك في أعدادهم، حتى يقع الخلاف في حرز عددهم. فعلى هذا يكون الوجه تأويل تقليل الأعداد وقوله.

﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ النصر منه سبحانه على الأعداء يكون على ضربين: نصر بالغلبة، ونصر بالحجة، فالنصر بالغلبة إنَّما كان بغلبة العدد القليل للعدد الكثير، على خلاف مجرى العادة، وبما أمدهم الله به من الملائكة، وقوّى به نفوسهم من تقليل العدة، والنصر بالحجة، وهو وعده المتقدم بالغلبة لإحدى الطائفتين، لا محالة، وهذا ما لا يعلمه إلا علاّم الغيوب.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: في ظهور المسلمين مع قتلهم على المشركين مع كثرتهم وتقليل المشركين في أعين المسلمين وتكثير المسلمين في أعين المشركين.

﴿لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾ أي: لذوي العقول، كما يقال: "فلان بصير بالأمور"، ولا يُراد به الإبصار بالحواس الذي يشترك فيه سائر الحيوان[1].

فكم لله في قضيَّة بدر من آيات وحجج على الخلق بما أظهر من أعلام نبوَّة نبيِّه محمد ﷺ في سبل الحق، فعنايته (جلّ وعلا) بحبيبه ﷺ في هذه

١) ن، م، ص ٢٤٩ ـ ٢٥١.

القصة عظيمة بما لها من الخصوصية، حيث إنَّها كالأساس في ظهور الشريعة الأحمدية، فتجد مضمونها مكرراً في عدة سور، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً. وقد أفدناك بأنَّ لنا غرضاً فيما كان فيه مزيَّة نبويَّة، فمنها: قوله تعالى في سورة الأنفال:

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ (٦٥) الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)﴾.

قال الشيخ الأمين الطبرسي رحمه الله في تفسيرها ما نصه:

المعنى: ثم أمر سبحانه بقتال الكفار وحثَّ عليه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: كافيك الله ويكفيك متبعوك من المؤمنين، وقال الحسن: "معناه: الله حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين، أي: يكفيك ويكفيهم. قال الكلبي: "نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال".

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ أي: ابعث المؤمنين ﴿عَلَى الْقِتَالِ﴾ ، ورغبهم فيه بسائر أسباب التحريض والترغيب من ذكر الثواب الموعود على القتال وبيان ما وعد الله لهم من النصر والظفر واغتنام الأموال.

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ على القتال ﴿يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ﴾ من العدو ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ، واللفظ لفظ الخبر، والمراد به الأمر، ويدل على ذلك قوله فيما بعد: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ﴾ ؛ لأن التخفيف لا يكون إلا بعد التكليف.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ معناه: ذلك النصر من الله تعالى لكم على الكفار، والخذلان للكفار، بأنكم تفقهون أمر الله تعالى، وتصدقونه فيما وعدكم من الثواب، فيدعوكم ذلك إلى الصبر على القتال، والجد فيه، والكفار لا يفقهون أمر الله تعالى، ولا يصدقونه فيما وعدكم من الثواب، ولما علم الله تعالى أن ذلك يشق عليهم، تغيرت المصلحة في ذلك فقال: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ﴾ الحكم في الجهاد من وجوب قتال العشرة على الواحد وثبات الواحد للعشرة.

﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾ أراد به ضعف البصيرة والعزيمة ولم يرد ضعف البدن، فإنَّ الذين أسهموا في الابتداء لم يكونوا كلهم أقوياء البدن، بل كان فيهم القوي والضعيف، ولكن كانوا أقوياء البصيرة واليقين، ولما كثر المسلمون واختلط بهم من كان أضعف يقيناً وبصيرة، نزل: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ﴾ مائة صابرة على القتال ﴿يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ﴾ من العدو، ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ﴾ صابرة ﴿يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ﴾ منهم.

﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ أي: بعلم الله، وقيل: بأمره، فأمر الله تعالى الواحد بأن يثبّت الاثنين، وتضمن النصرة له عليها، وإنما لم يفصّل ولم يأمر من كان قوي

البصيرة بأن يثبت لعشرة، ومن كان ضعيف البصيرة بأن يثبت الاثنين؛ لأنهم كانوا يشهدون القتال مختلطين، فكان لا يمكن التميز بينهم.

ولو نص على من كان ضعيف البصيرة كان فيه إيحاشهم وانكسار قلوبهم وزيادة ضعفهم.

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: معونة الله مع الصابرين، ومعناه: والله معين الصابرين، وقيل: إن هذه الآية نزلت بعد الآية الأولى بمدة وإنْ قُرن بينهما في المصحف، وهي ناسخة الأولى، والمعتبر في الناسخ والمنسوخ بالنزول دون التلاوة. وقال الحسن: "إن التغليظ كان على أهل بدر، ثم جاءت الرخصة"[١]. انتهى".

ومن الآيات المشيرة إلى بدر ـ مما فيه حجة لله بإظهار دينه ونصرة نبيه ﷺ وقهره أعداءه بالسيف والحجة مطابقة لأخباره الواقع قبل أن يكون ـ: قوله تعالى في سورة القمر: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥)﴾.

قال أمين الإسلام رضي الله عنه في تفسيرها ما نصه:

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ ، أي: أم يقول هؤلاء الكفار: نحن جميع أمرنا ننتصر من أعدائنا، عن الكلبي. والمعنى: أنهم يقولون: "نحن يدٌ واحدة على من خالفنا، ننتصر ممن عادانا"، فيدلّون بقوّتهم واجتماعهم.

---

١) ن، م، ص ٤٩٠ ـ ٤٩١.

ووحّد ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ للفظ الجميع، فإنه واحد في اللفظ وإن كان اسما للجماعة، كالرهط والجيش، أي: كما أنهم ليسوا بخير من أولئك، ولا لهم براءة، فكذلك لا جمع لهم يمنع عنهم عذاب الله وينصرهم، وإن قالوا: نحن مجتمعون متناصرون، فلا نُرام ولا نُقصد، ولا يَطمع أحد في غلبتنا.

ثم قال سبحانه: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ أي: جمع كفار مكة، ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ أي ينهزمون فيولونكم أدبارهم في الهزيمة.

ثم أخبر سبحانه نبيه ﷺ أنه سيظهره عليهم ويهزمهم، فكانت هذه الهزيمة يوم بدر، فكانت موافقة الخبر للمخبر من معجزاته، انتهى .

و به انتهى ما أردنا تحريره مما أكرم الله (سبحانه وتعالى) نبيه ﷺ من ظهوره على المشركين في بدر[١]، وما أظهر له ﷺ فيها من معاجز ومزايا صرّحت بقربه لربه وعنايته الخاصة به ﷺ .

---

١) وهي التاسعة على ما في المجمع، وقد وقع أول قتال فيها من الغزوات. (منه رحمه الله).

النظرة الحادية عشرة

في إلفات القرّاء إلى مِنَح الله لنبيه ﷺ في مزاياه
ومنها: شجاعته وبعض آياته في بدر، وأخلاقه، وكلماته الحكمية

قد عرفت مما حررناه من ذكر هجرة النبي ﷺ وغزوته بدر الكبرى من أنَّ المقصود منه: الدليل على ما قلناه من تحقيق العصمة له ﷺ بالمعنى الثاني، وهو حفظ[1] الله (جل وعلا) له ﷺ من كيد الأعداء، وسوء إراداتهم. وقد ثبت بما عرفت من الأدلة على عناية الحق تعالى به ﷺ بما أكرمه به من الآيات البينات في ذات قضيتي هجرته وغزوته ﷺ، فمن تدبر ذلك ظهرت له أعلام نبوته ﷺ بغلبته أعداءَه بسيفه وحجته، مع قلة عدد أصحابه والتبصّر ببصيرة الحق في حفظ الله حبيبَه ﷺ من جهّال قومه وعُتاتهم، فانظر كيف منعهم عن قتله مع أغراضهم في ذلك، وقد أقام ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة «صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين» ، ولم

---

١) لا يتوهم أن حفظ الله لنبيه ﷺ كحفظه لمن سواه من الناس بمعنى: إن لم يقدّر عليه القضاء المحتوم فله حفظ من الله حتمي، فلا ميزة للنبي ﷺ، لا، بل له الميزة؛ لأن حفظ غيره بسبب الأسباب العادية، وحفظه ﷺ بالعناية الخاصة الإلهية، ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ . (منه رحمه الله).

يزل ﷺ في عناية الله ونصرته بإمداده بالمعجزات النبوية وتهيئة الأسباب الإلهية. ومن أعظم الأسباب القوية: ما مَنَّ الله به على عمه أبي طالب عليه السلام من التوفيق العظيم لنصرته ﷺ ، ولقد كان أبو طالب عليه السلام هو الكافل والمحامي العظيم عن ذلك النبي الكريم ﷺ ، وهو الركن الأول القويم للدين، كما أن ابنه علي أمير المؤمنين عليه السلام الركن الثاني، وغير خفي قيام الدين بسيفه وجهاده عليه السلام.

فلولا أبو طالب وابنه ... لما مثل الدين شخصاً فقاما

فذاك بمكة آوى وحامى ... وهذا بيثرب جسَّ الحماما

وكفى الشيعة هذا دليلاً على إسلام أبي طالب عليه السلام، فإنه من ضروريّضات مذهبنا، ولسنا في هذا المقام بصدد إثبات ذلك، ولقد بسطنا الكلام عليه بأوضح الأدلة ـ منا ومن غيرنا ـ في (النظرة النبوية)[١]، وقد عرفت أنَّ المهم هو إلفات القاريء إلى ما أشرنا إليه من التأمّل في قضية هجرته ﷺ وما جرى له مع أعدائه في مكة، وغزوة بدر، فتنبّه ـ أيها المسلم بأُذُنٍ واعية ـ إلى ما جرى له ﷺ من العناية الربانية، فكم في تلك القضية من خصوصيات نبوية، وارجع لما حررناه من تلك القضية، ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى... الآية﴾ ، فأنت إذا تدبرت تفسيرها اتّضح لك شدّة عناية الله تعالى بنبيه ﷺ .

١) لا زال مخطوطاً، يحتفظ به سبطه الأستاذ أبي منصور فؤاد بن الحاج حسين تقي الزاير.

وإضافة الرمي إليه تعالى فيه إشعار بأن ذلك ليس من القدرة البشرية بل من المواهب الإلهية والخصوصيات النبوية. فانظر إلى ملء كفٍ من حصىً وترابٍ كان هو السبب القوي في هزم تلك الجموع القرشية الجاهلية، أوَلَيس هذا من القدرة الربانية؟ أو ليس هذا من الألطاف الإلهية الفائضة على الذات المحمديَّة؟

ومن آيات الله تعالى في حقه ﷺ في هذه القضية: قوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً﴾ وقد تقدم تفسيرها، فهل هذا إلا بالمدد الرباني؟

ومن ذلك: إمداده تعالى نبيه ﷺ بالملائكة. والغرض من هذه أن نلفتك إلى أن تقرأ القصة بتدبر؛ لتعلم أنه ﷺ ذو الحظ العظيم، ولابد أن تتيقن أنه المتفوق على من سواه من الناس في يوم بدر في كل فضيلة، فلا يعتريك بعض الأوهام الفاسدة من أنه لم تظهر منه ﷺ شجاعة أزيد من غيره! بل له ﷺ النصيب الأعلى فيها، كيف لا! ومن المعلوم عند كل مسلم أنه ﷺ في أعلى مراتب الكمالات الإنسانية، ولا شك أن الشجاعة منها، فلابد أن يكون حائزاً على أعلى مراتبها(١)، وقد نوّه بذلك أفضل

---

١) من مصاديقها: ظاهرة الأعلام عند الأصحاب في كل غزواته ﷺ، وعددها ستة وعشرون أو سبعة وعشرون، على خلاف بين المؤرخين والمفسرين، ذكر ذلك شيخنا أمين الإسلام في سورة آل عمران وغيرها، ومنهم: الشيخ الجليل المسعودي في (مروج الذهب)، وإليك ما ذكره، وقد اخترناه لسبقه، ولما فيه من التفصيل، قال ما نصه: وكانت غزواته ﷺ بنفسه ستاً وعشرين غزوة. ومنهم من رأى أنها سبع وعشرون، والأولون

جعلوا منصرف النبي ﷺ من خيبر إلى وادي القرى غزوة واحدة، والذين جعلوها سبعة وعشرين جعلوا غزوة خيبر مفردة، ووادي القرى منصرفة إليها غزوة أخرى غير خيبر، فوقع التنازع في أعداد الغزوات من هذا الوجه؛ وذلك أن النبي ﷺ حين فتح الله له خيبراً انصرف منها إلى وادي القرى من غير أن يأتي المدينة، وكان أول غزواته ﷺ من المدينة بنفسه إلى (ودان) وهي المعروفة بغزوة الأبواء، ثم غزوة بواط إلى ناحية رضوى، ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع، ثم غزوة بدر الأولى، وكان خروجه طالباً لكرز بن جابر، ثم غزوة بدر الكبرى، وهي بدر الثانية التي قُتل فيها صناديد قريش وأشرافها، وأُسِر من أُسِر من زعمائهم، ثم غزوة بني سليم، حتى بلغ الموضع المعروف بالكدر (ماء لبني سليم) ثم غزوة السويق طلباً لأبي سفيان بن حرب، فبلغ فيها الموضع المعروف بـ(قرقرة الكدر)، ثم غزوة غطفان إلى نجد، وتُعرف هذه الغزوة بـ(غزوة ذي أمر)، ثم غزوة بحران، وهي موضع بالحجاز من فوق الفرع، ثم غزوة أحد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة ذات الرقاع، من نجد، ثم غزوة بدر الأخيرة، ثم غزوة دومة الجندل، ثم غزوة المُريسيع، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة فريضة، ثم غزوة بني لحيان، من هذيل بن مدركة، ثم غزوة ذي قرد، ثم غزوة بني المصطلق، من خزاعة، ثم غزوة الحديبية، لا يريد قتالاً، فصده المشركون، ثم غزوة خيبر، ثم اعتمر ﷺ عمرة القضاء، ثم فتح مكة، ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك. قاتل منها في تسع غزوات: بدر وأحد والخندق وقريضة وخيبر والفتح وحنين والطائف وتبوك. هذا قول محمد بن إسحاق.

فأما ما ذهب إليه الواقدي فإنه وافق ابن إسحاق في قتال النبي ﷺ في هذه التسع الغزوات، وزاد: أن النبي ﷺ قاتل في غزوات وادي القرى؛ وذلك أن غلامه المعروف بـ(مدعم) رُمي بسهم فقُتل، وقاتل في يوم الغابة فقتل من المشركين ستة نفر، وقتل يومئذ مجرز بن نضلة. ففي قول الواقدي أنه قاتل في إحدى عشرة غزوة، وفي قول ابن اسحاق في تسع. فقتاله في التسع باتفاق منهما. وزاد الواقدي على ما ذكرنا.

وقد قيل: إن أول غزوة غزاها ﷺ ذات العشيرة. وقد تنازع من سَلف من أهل السير والأخبار في عدّة سراياه وبعوثه. فقال القوم: إن عدة سراياه وبعوثه بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله خمس وثلاثين بعثة وسرية. وذكر محمد بن جرير الطبري في كتابه في التاريخ، قال: حدثني الحارث: قال: حدثنا أبي سعد، قال: قال محمد بن عمرو الواقدي: كانت سرايا النبي ﷺ ثمانياً وأربعين سرية، وقيل: إن سراياه ﷺ وبعوثه كانت ستة وستين. **انتهى**. [انظر: ج ٢ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢].

هذا، وفي روايات أئمتنا الطاهرين المعصومين عليهم السلام قد أحصت مواطن النبي ﷺ : ثمانين، وذلك في روايتين: ١] عن الصادق عليه السلام في جوابه لمن سأله عمن نذر التصدق بمال كثير ولم يعيّنه؟ فأجاب عليه السلام بكفاية التصدق بثمانين درهماً، واستشهد بقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**﴾ وإن عددها كذلك. كذا في (الوسائل) للشيخ الجليل الثقة محمد بن الحسن بن علي بن محمد الحر العاملي رحمه الله . ٢] وكذلك ورد هذا المعنى عن الإمام الهادى عليه السلام في جوابه للمتوكل كما في (الوسائل) و (مجمع البيان) لأمين الإسلام رحمه الله . ومضمونه أورده الشيخ الكاشاني رحمه الله في (الصافي) عن (الكافي) والعياشي رحمه الله والقمي رحمه الله في تفسيريهما، وزاد في (الوسائل) طريقين: الأول: من (تحف العقول) للشيخ الجليل الحسن بن علي بن شعبة رحمه الله. والثاني: عن (الاحتجاج) للشيخ الجليل، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي رحمه الله، ومضمون ما عن الصادق عليه السلام عن الشيخ ثقة الإسلام الكليني رحمه الله والشيخ الصدوق رحمه الله والشيخ الجليل أحمد بن أبي عبد الله البرقي رحمه الله.

هذا، وينبغي أن نتأمل في هذا المضمون وفيما سبق من عد غزواته وسراياه ﷺ والخلاف في عددها، فلعلنا نتحصل على توفيق لرفع التنافي، فإن البناء على أن السرايا خمسٌ وثلاثون وأن الغزوات ستٌ وعشرون أو سبعٌ وعشرون، صريح التنافي بأن مجموع المَواطن نيفٌ وستون، وهو في الرواية المعصومية ثمانون، وكذلك على قول الواقدي بأنها ثمان وأربعون، فإنها مع مجموع الغزوات خمسٌ وسبعون، ولعل ذلك أقرب من

الناس وأشجعهم بعده صلى الله عليه وآله أعني أمير المؤمنين علياً عليه السلام، ففي (مكارم الأخلاق)[١] لشيخنا رضي الدين الفضل بن الحسن الطبرسي (طاب ثراه)، قال عليه السلام: «**لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وآله وهو أقربنا للعدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً**».

وفيه: عنه عليه السلام أيضاً، قال: «**كنا إذا احمرّ البأس ولقي القوم القوم، اتّقينا برسول الله صلى الله عليه وآله ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه**».

وفيه أيضاً: عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس، لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس قِبَلَ الصوت،

القول بأن السرايا ستٌّ وستون، فإن ذلك مع مجموع الغزوات ثلاث وتسعون، والمدّعى في المقام ثلاث روايات عن المعصومين عليهم السلام كما عرفت، وهي من القسم الصحيح أو الحسن أو الموثق، فإن العمل عليه عند غير واحد من فقهائنا فيمن نذر التصدق بمال كثير، ولكن الأحكام الشرعية في الفروع يكفي في الحكم بها من طريق الأخبار ما ذكر من الصحة، فلا يشترط القطع بصدورها، وإلا لو كانت الروايات المشار إليها مقطوع بها لكانت حاكمة بلا ريب على الأقاويل المتقدمة، لكنها حيث كانت ظنّية الصدور فلا يتحقق دفعها للخلاف المتقدم إلا بنحو من التأويل.

ولعل المراد بالثمانين موطناً هي تلك التي نصرَ الله فيها نبيه صلى الله عليه وآله مطلقاً، سواء كانت قبل هجرته صلى الله عليه وآله أم بعدها، ومنها: ما جرى له صلى الله عليه وآله في مكة عند خروجه منها، وفي طريقه، وأمثال ذلك. فيتوجه هذا الاحتمال على القول الوسط من أن مجموع السرايا والغزوات خمسٌ وسبعون بعد الهجرة وخمسة مواطن قبلها، ولا ضير في خطابه صلى الله عليه وآله بضمير الجماعة. وهل نصرة الله إلا له صلى الله عليه وآله وبه صلى الله عليه وآله؟ (منه رحمه الله).

١) مكارم الأخلاق: الفصل ٢ ص ١٨ ـ ١٩.

قال: فتلقّاهم رسول الله ﷺ وقد سبقهم وهو يقول: «**لم تراعوا**» وهو على فرس لأبي طلحة، وفي عنقه السيف. قال: فجعل الناس يقول: "لم تراعوا".

هذا.. ونحن في غنىً عن إثباتها؛ لما عرفت من كماله ﷺ الممكن في كل الفضائل، وإنما ذكرنا هذه النبذة تشريفاً لكتابنا بما جاء فى أحواله وأخلاقه ﷺ فإن ذلك من لوازم موضوع هذا الكتاب، حيث إنه في المدائح الإلهية للحضرة الأحمدية، فينبغي لنا أن نأخذ من كل عنوان من هذا الفصل نبذة نزداد حباً له ﷺ وقرباً لربه (جلّ وعلا).

ففي الكتاب المذكور برواية الشيخ المذكور:

في علامة رضاه وغضبه ﷺ : عن ابن عمر قال: كان النبي ﷺ يُعرف رضاه وغضبه بوجهه، كان إذا رضي فكأنما يلاحك الجُدر ضوءُ وجهه ﷺ ، وإذا غضب احمرّ وجهه ﷺ .

قال أبو البدر: سمعت أبا الحكم الليثي يقول: كالمرآة توضع في الشمس فيُرى ضوءُها على الجدار، يعني يُلاحك الجدار.

ومعنى قوله: يلاحك الجدار: أي يسطع عليها ويلازمها.

في الرفق بأمّته ﷺ : عن أنس قال: قال: كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن شاهدا زاره، وإن كان مريضاً عاده.

في مزاحه وضحكه ﷺ : عن الحسن بن علي عليهما السلام قال: سألت خالي هنداً عن صفة رسول الله ﷺ فقال: كان إذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضّ طرفه، جُل ضحكه التبسّم، يفتر عن مثل حب الغمام.

في بكائه ﷺ : عن أنس بن مالك: رأيت إبراهيم بن رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه، فدمعت عينا رسول الله ﷺ ثم قال: «**تدمع العين ويحزن القلب ولا أقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بك ـ يا إبراهيم ـ لمحزونون**».

في مشيه ﷺ : ففيه عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج مشى أصحابه أمامه وتركوا ظهره للملائكة.

وروي أن رسول الله ﷺ **لا يدع أحداً يمشي معه أذا كان راكباً حتى يحمله معه، فإن أبى قال: «تقدم أمامي وأدر كني في المكان الذي تريد»**.

في جُمَل من أحواله وأخلاقه ﷺ من كتاب (النبوة) :

عن علي عليه السلام قال: «ما صافح رسول الله ﷺ أحداً قط فنزع ﷺ يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده، وما فاوضه أحد قط في حاجة أو حديث فانصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف، وما نازعه أحد الحديث فيسكت حتى يكون هو الذي يسكت، وما رؤي مقدماً رجله بين يدي جليس له قط، ولا خُيّر بين أمرين إلا أخذ ﷺ بأشدِّهما، وما انتصر لنفسه من مَظلمة حتى ينتهك محارم الله فيكون حينئذٍ غضبه لله (تبارك وتعالى) ، وما أكل متّكئا قط، حتى فارق الدنيا، وما سُئل شيئاً قط فقال: "لا"، وما ردّ سائلاً حاجةً قط إلا بها أو بميسور من القول، وكان ﷺ أخف الناس صلاة

في تمام، وكان أقصر الناس خطبة وأقلهم هدراً، وكان ﷺ يعرف بالريح الطيب إذا أقبل، وكان إذا أكل مع القوم كان أول من يبدأ وآخر من يرفع يده، وكان إذا أكل أكل مما يليه، فإذا كان الرطب والتمر جالت يده، وإذا شرب شرب ثلاثة أنفاس، وكان يمص الماء مصاً ولا يعبه عباً، وكان يمينه لطعامه وشرابه وأخذِه وإعطائه، فكان لا يأخذ إلا بيمينه ولا يُعطي إلا بيمينه، وكان شماله لما سوى ذلك من بدنه.

وكان يحب التيمّن في كل أموره: في لبسه وتنعله وترجله، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا تكلم تكلم وتراً، وإذا استأذن استأذن ثلاثاً، وكان كلامه فصلاً يتبينه كل من سمعه، وإذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه، وإذا رأيته قلت: أفلج الثنيتين وليس بأفلج، وكان نظره اللّحظ بعينه، وكان لا يكلم أحداً بشيء يكرهه، وكان إذا مشى كأنما ينحطّ من صبب، وكان يقول: "إنّ خياركم أحسنكم أخلاقا"، وكان لا يذم ذوّاقاً ولا يمدحه، ولا يتنازع أصحابه عنده، وكان المحدث عنه يقول: لم أر بعيني مثله ـ قبله ولا بعده ـ ﷺ ».

وفيه أيضاً: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال: إن الله «جل جلاله؛ يُقرئُك السلام ويقول لك: «هذه بطحاء مكة، إن شئت أن كون لك ذهبا". قال: فنظر النبي ﷺ إلى السماء ثلاثا ثم قال: «**لا يا رب، لكن أشبع يوماً فأحمدك وأجوع فأسألك**»[(١)].

---

١) مكارم الأخلاق: الفصل ٢ ص ١٩ ـ ٢٣.

في صفاته صلى الله عليه وآله وسلم : عن الإمام الحسن الزكي عليه السلام قال : سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي، وكان وصافاً عن حلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به... قال: «قلت له: صف لي منطقهُ؟ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير»[1]. انتهى.

وللشيخ الجليل العلامة المجلسي رحمه الله في (بجاره) كلمة شريفة في آخر باب فصاحته صلى الله عليه وآله وسلم ، فدونك نصها: أقول: فصاحته صلى الله عليه وآله وسلم لا تحتاج إلى البيان، وما نُقل عنه من الخُطب وجوامع الكلم لا يَقدر على التكلم بواحدة منها إنسٌ ولا جان، وهي فوق طاقة الإنسان، ودون كلام الرحمن[2]، انتهى.

أقول: إنه لحقُّ اليقين، ويكفينا من ذلك خطبته صلى الله عليه وآله وسلم في يوم الغدير، وقد تقدم شطر منها. والدليل على كماله صلى الله عليه وآله وسلم غني عن البيان، ولكن خدمته من جلائل الطاعات، فمن ذلك: ما حرره الثقة الجليل المسعودي في (مروج الذهب) فهو جدير بالذكر، فلنتشرف به، فدونك نصه:

قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله المسعودي: بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين ومبشراً للناس أجمعين وقرنه الله بالآيات والبراهين النيرات، وأتى بالقرآن المعجز، فتحدى به قوماً وهم الغاية في

---

١) ن، م، ص ١٢.

٢) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ١٥٨.

الفصاحة والنهاية في البلاغة، وأولوا العلم باللغة والمعرفة بأنواع الكلام، من الرسائل والخطب والسجع، والمقفى، والمنثور والمنظوم، والأشعار، في المكارم وفي الحث والزجر، والتحضيض والإغراء، والوعد والوعيد، والمدح والتهجين، فقرع به أسماعهم وأعجز به أذهانهم، وقبح به أفعالهم، وذمَّ به آراءهم، وسفَّه به أحلامهم، وأزال به دياناتهم، وأبطل به سنّتهم، ثم أخبر عن عجزهم مع تظاهرهم ﴿لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[١] مع كونه عربياً مبيناً.

وقد تنازع الناس في نظم القرآن وإعجازه[٢]. وليس الغرض من هذا الكتاب وصف أقاويل المختلفين والأخبار عن كلام المتنازعين؛ إذ كان كتاب تاريخ لا كتاب بحث ونظر.

[وقد] ثبت عنه ﷺ بالعلم الموروث، ونُقل إلينا الباقي عن الماضي من بعد قيام الأدلة على صدقه، وما أورد من المعجزات والدلائل والعلامات التي أظهرها الله على يديه؛ ليؤدي رسالات ربه إلى خلقه، أنه قال: «**أوتيت جوامع الكلم**» . وقال: «**اختُصر لي الكلام**» ، مخبراً عمّا أوتيه من الحكمة والبيان غير القرآن المعجز، وهو ما أوتيه ﷺ من الحكمة والنطق اليسير والكلام القصير المفيد بالمعاني الكثيرة والوجوه المتفرقة، مع ما فيه من

---

١) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

٢) وقد قدمنا في الجزء الأول من الكتاب ما فيه شفاء لأولي الألباب. (منه رحمه الله).

الحكمة وتمام المصلحة، وكان كلامه ﷺ أحسن المقال وأوجزه، لقلَّة ألفاظه وكثرة معانيه.

فمن ذلك: قوله ﷺ عند عرضه لنفسه على القبائل بمكة وأبو بكر وقومه على بكر بن وائل، وتقدم أبي بكر إليهم، وما جرى بينه وبين دغفل من الكلام في النسب: «**البلاء الموكل بالمنطق**» ، وهذا مما سبق إليه من الكلام ولم يُضَف إلى غيره من الأنام.

ثم إخباره عن الحرب وقوله: «**الحرب خدعة**» ، فعُلم بهذا اللفظ اليسير والكلام الوجيز أن آخر مكايد الحرب القتال بالسيف، إذ كان بدوها خدعة كما قال ﷺ ، وهذا يعرفه كل ذي رأي صحيح وذي رياسة وسياسة.

ثم قال ﷺ: «**العائد في هبته كالعائد في قَيْئِه**» زاجراً بهذا القول للواهب أن يسترجع شيئاً وهبه، إذ كان القيء لا يرجع فيه من قاءه. وللناس في هذا المعنى كلام كثير وخطبٌ طويل، وإنما الغرض فيما نذكر إيراد كلامه ﷺ ووصف قوله الذي لم يتقدمه به أحد من الناس.

وقوله ﷺ: «**احثوا في وجوه المداحين التراب**» المراد من ذلك: إذا كذب المادح، ولم يرد ﷺ إذا شكر الإنسان غيره ما أولاه أو وصفه بما هو فيه، أو قال ما له أن يقول أن يُحثى في وجهه التراب.

ولو كان هذا معنى قوله ﷺ إذن ما مدح أحد أحداً إذ كان هذا النهى عموماً للصادق والكاذب، وأن يُحثى في وجه الجميع التراب، وهذا خلاف ما جاء به التنزيل حيث يقول (عز وجل) مخبراً عن نبيه يوسف عليه السلام وقوله

للملك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[١] فقدم مدح نفسه ووصف حاله.

وجميع ما يذكر في هذا الباب يستفيض في السيَر والأخبار متقاربٌ عند العلماء، متداول بين الحكماء، يتمثل به كثير من الناس، وتستعمل العوام كثيراً منه في ألفاظها، وتورده في أمثالها وخطاباتها. والأكثر منهم لا يعلم أن رسول الله ﷺ أول من تكلم به وسبق الى إيراده.

وقال ﷺ: «**مَطلُ الغني ظلم، ومن اتبع على ملء فليتبع**»، وقوله: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف». «رأس الحكمة معرفة الله». «يا خيل الله اركبي وبالجنة أبشري». «الآن حمي الوطيس». «لا ينتطح فيها عنزان». «لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين». «لا يجني على المرء إلا يده». «ليس الخبر كالمعاينة». «السديد من غلب نفسه». «بورك لأمتي في بُكورها». «ساقي القوم آخرهم شرباً». «المجالس بالأمانات». «لو بغى جبل على جبل لدُكَّ الباغي منهما». «ابدأ بمن تعول». «مات حتف أنفه». برد بذلك الفجأة، وأنه مات من غير علة، ولا حال أوجبت ولا سبب من أسباب الموت تقدمت. «لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مَغنماً والزكاة مغرماً». «قيّدوا العلم بالكتابة». «خير المال عين ساهرة لعين نائمة». «المسلم مرآة المسلم». «رحم الله من قال خيراً فغنم وسكت عن شره فسلم». «المرء كثير بأخيه». «اليد العليا خير من اليد السفلى». «ترك

---

١) سورة يوسف: الآية ٥٥.

الشر صدقة». «فضل العلم خير من فضل العبادة». «الغنى غنى النفس». «الأعمال بالنيات». «أيُّ داءٍ أدوأ من البخل». «الحياء خير كله». «الخيل معقود بنواصيها الخير». «السعيد من وعظ بغيره». «عدة المؤمن كأخذ باليد». «إن من الشعر لحكمة ومن البيان لسحراً». «عفو الملوك بقاء للمُلك». «ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء». «المكر والخديعة في النار». «المرء مع من أحب وله ما اكتسب». «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا». «المستشار مؤتمن». «من قتل دون ماله فهو شهيد». «لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث». «الدال على الخير كفاعله». «الندم توبة». «الولد للفراش وللعاهر الحجر». «كل معروف صدقة». «لا يشكر الله من لا يشكر الناس». «لا يؤوي الضالة إلا ضال». «حبك الشيء يعمي ويصم». «السفر قطعة من العذاب».

وقوله للأنصار: «إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع».

وقوله: «المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرَّم حلالاً». «الرجل أحق بصدر مجلسه وصدر دابته». «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة». «الظلم ظلمات يوم القيامة». «تمام التحيَّة المصافحة». «جبلت النفوس على من أحب إليه». «آمنك من أعتبك». «ما نقص مالٌ من صدقة». «التائب من الذنب كمن لا ذنب له». «الشاهد يرى ما لا يرى الغائب». «خذ حقك في عفاف وافٍ أو غير وافٍ». «أعطوا الأجير أجرته قبل أن يجف عرقه». «أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف يوم القيامة». «الجنة تحت

ظلال السيوف». «ليس بمؤمن من خاف جاره بَوَائِقَه». «اتقوا النار ولو بشقٍّ ثمرة». «أعروا النساء يلزمن الحجاب». «الكلمة الطيبة صدقة». «لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه». «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». «ما أَمْلَقَ تاجرٌ صدوق». «الدعاء سلاح المؤمن». «خير الأمور أوسطها». «إذا أتاكم الزائر فأكرموه». «أشفقوا تُحمدوا وتُؤجروا». «الإيمان الصبر والسماحة». «أفضلكم أفضلكم معرفة». «ما هلك أمروء عن مشورة». «ما عال امرءٌ اقتصد». «ما هلك امرءٌ عَرف قدره». «شرُّ العمى عمى القلب». «الكذب مُجانب للإيمان». «ما قلَّ وكفى خير مما كثر وألهى». «من أثنى فقد كافى». «قلة الحياء كفر». «المؤمنون هيّنون ليّنون». «شر الندامة يوم القيامة». «شر المعذرة عند الموت». « أَقِيلُوا عَثَرَات الكرام». «اطلبوا الخير عند صِباح الوجوه». «الدنيا حُلوة خَضِرةٌ وإن الله مستعملكم فيها ينظر كيف تعملون». «انتظار الفرج عبادة». «كادت الفاقة أن تكون كفراً». «لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة». «في كل عام ترذلون». «زِر غبّا تزدد حباً». «الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس (أو قال: جميع الناس)».

وقوله: «لا يلقى الله أحد إلا ناعماً». «من عمل خيراً قال: يا ليتني زدت، ومن عمل غير ذلك قال يا ليتني قصرت»، وهذا مثل قوله: «إياكم والتسويف وطول الأمل فإنه كان سبباً لهلاك الأمم»، وقوله: «ليس منّا من غشّنا». وهذا القول يحتمل معاني كثيرة، منها: أنه يكون إخباراً، أن من غش المسلمين على حسب الحال في الوقت، وأن بعض أهل الكتاب أو

المنافقين أخبر عنه بما كان من فعله. ويحتمل أن يكون على طريق الزجر والنهي عن الغش. وقد قيل غير ذلك، والله أعلم.

مثله ما روى عنه أبو مسعود البدري، أنه قال: «لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة أحد إلا مات». فاستفاضت هذه الرواية عن أبي مسعود عن النبي ﷺ، فجزع الأكثر، فأفضي ذلك إلى علي رضي الله عنه فقال: «صدق أبو مسعود فيما قال، وذهب عنه المُراد بذلك، وإنما مُراد النبي ﷺ أن لا يبقى على وجه الأرض أحد بعد رأس مائة من رأى النبي ﷺ إلا مات».

وقوله ﷺ: «استعينوا على أموركم بالكتمان، وعلى قضاء حوائجكم بالإسرار».

قال المسعودي: وقد جمع كثير ممن تقدم وممن شاهدناه كثيراً من ألفاظ النبي ﷺ فأوردوها في كتبهم، وذكروها في تصنيفهم، وقد أفرد أبو محمد الحسن بن الحسن بن دُريد لذلك كتاباً ترجمه بكتاب (المُجتبى) يذكر فيه جُملاً من ألفاظه ﷺ، وكذلك ذكر أبو إسحاق الزجّاجي النحوي، صاحب أبي العباس المبرّد، وأبو عبد الله نفطويه، وجعفر بن محمد ابن حمدان الموصلي، وغير هؤلاء ممن تقدمهم وتأخر عنهم، أوردنا من ذلك في هذا الكتاب ما سهُل إيراده، وتأتّى لنا ذكره على حسب الحاجة إليه واستحقاق الموضع له، وإن كنا قد أتينا على جميع ما يحتاج إليه في

هذه المعاني فيما سلف من كُتبنا، وتقدم من تصنيفنا، فأغنى ذلك عن إعادتها، والله تعالى ولي التوفيق[1]. انتهى.

وما ذكره المسعودي وغيره في هذا المقام وأمثاله ما هو إلا قبْسة من شعاع أنوار فضله ﷺ . فلنذكر لك شعاعاً من أضواء مقاماته ﷺ عند ربه (جلّ جلاله)... [في النظرة التالية].

١) مروج الذهب: ج ٢ ص ٢٨٧ في (ذكر بعض مَن جمع موجز أقوال الرسول ﷺ) .

النظرة الثانية عشرة

في الإشارة إلى بعض علو مقاماته صلى الله عليه وآله وسلم ومقامات آله عليهم السلام وبعض من تشرف بخدمته صلى الله عليه وآله وسلم

أقول: يحق لعلماء المسلمين أن يتسابقوا لخدمة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، وكفاهم داعياً إلى التشرف بخدمته صلى الله عليه وآله وسلم كونه أعظم المنعمين على العالمين من أهل السماوات والأرضين، كيف! وهو صلى الله عليه وآله وسلم السفير الأعظم بين الله وبين خلقه، وسبب الفيوض لكافة الموجودين، إذ هو أول صادر صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول الأزري رحمه الله:

أي خلق الله أعظم منه ... وهو الغاية التي غيَّاها

لم يكن أكرم النبيين حتى ... علم الله أنه أزكاها

ويقول الحجة الجشي رحمه الله في مدحه صلى الله عليه وآله وسلم[1]:

خير من في ساحة الكون قَطَن ... عجزت عن درك معناه الفِطَن

حيث كان الكنز[2] في كنت بَطَن ... كشف الأستار عنه ذو المنن

---

1) ديوان العلامة الجشي: ص ٣٢ من القصيدة الثالثة.

2) إشارة للحديث القدسي: «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف**». يريد أن يَرى خَلْقُهُ ظُهورَهُ بظهور آثاره. ولا شك أن من أجلّ آثاره أفضل

ولخلـــق الخلـــق كـــان الســـببا فـــأراه ظـــاهراً مـــا حجبـــا

وهــو العلــة فــي إبــقائــهـا

ويقول في قصيدته الهائية الطويلة في مدحه صلى الله عليه وآله وسلم:

فلتصـفه بكـل وصـف عظـيم إن فيـــه تعظـــيم مـــن أولاه

أي وربي، إنه صلى الله عليه وآله وسلم لأعظم العظماء، ولا غرو وقد جعله ربه مفتاح كل خير، فالفيوضات الإلهية المتنوعة بأنواع الخير في الأكوان كلها بتوسط أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم، فلا علم ولا عمل إلا بسببه صلى الله عليه وآله وسلم، ولا وصول إلى الله إلا من طريقه، فكل من كان له حظ في خدمته صلى الله عليه وآله وسلم فهو السعيد في الدارين، ولذا ترى أولي الألباب العارفين بقدره صلى الله عليه وآله وسلم يتسابقون إلى التشرف بنشر فضله صلى الله عليه وآله وسلم. ولكل نصيبه من ذلك بقدر ما يمنحه الله (جل جلاله).

وإني لحريص أن أدخل في زمرتهم ـ جعلنا الله منهم ـ فلنتشرف بما أورده بعض أجلاء علمائنا من بيان فضله صلى الله عليه وآله وسلم في صفاته والثناء عليه صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة أوردها الشيخ إبراهيم الكفعمي رضي الله عنه في (مصباحه) في الفصل

الممكنات فهو صلى الله عليه وآله وسلم المظهر العظيم لربه الأعظم، فإنه (تعالى وتقدّس) عن الظهور للمخلوقات ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ﴾ ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ وقول الشيخ في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان الكنز لا يتّجه إلا بنحو من التأويل، ومنه: ما أشرنا إليه من أنه أكبر المظاهر لربه تعالى. (منه رحمه الله).

التاسع والأربعين، فإنها قد راقتني وكهربت نفسي؛ لما شع فيها من أنوار فضله ﷺ، ويا حبذا أن تكون خاتمة لكتابنا.

قال رحمه الله: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾، اللهم صل على محمد وآل محمد ما تقعقعت[1] في الخضراء قابة وسعت في الغبراء دابّة[2]، اللهم صل على محمد وآل محمد ما تقعقعت في الخضراء قابة، وما سعت على الغبراء دابّة، اللهم صل على محمد وآل محمد ما حركت الشمال لنخل الدقيق وما حركت الشمال النخل الدقيق، اللهم صل على النبي الأمي الهاشمي العربي المكي المدني السراج المضي والرسول الرضي، صاحب الوقار والسكينة، المدفون بالمدينة، النذير المؤيد، والبشير المسدد، والسيد الممجد أبي القاسم محمد.

كشــف الــدجى بجمالــه[3] بلـــــغ العلــــــى بكمالــــــه
حســـنت جميـــع فعالـــه صـــــلوا عليــــه وآلـــــه

---

١) القعقعة: جمع قعاع، وهي تتابع أصوات الرعد. والقعقعة: حكاية أصوات السلاح ونحوه. (المصباح). (منه رحمه الله).

٢) الخضراء: السماء. والقابة: الرعدة. والغبراء: الأرض. والدابة: كل ما يدب على وجه الأرض. (منه رحمه الله).

٣) من هنا إلى آخر الخطية مستخرج من كتاب (مطالب السؤول) وكتاب (بحث الناقب) وكتاب (الشيخ رجب) وكتاب (مشارق الأنوار) وكتاب (الدر النضيد) وكتاب (مثير الأحزان) ومن كتب غيرها لا أعرف اسماءها. تمت من (المصباح). (منه رحمه الله).

فهذا النبي الأمي الهاشمي العربي الملكي المدني، الذي فضّله الله تعالى على كل خليقةٍ خلقها، وكتب بيده:

(ألف) القوام المحمدي ومُشقّها.

و (باء) بهائه، ما أبهاها وما أشرقها.

و (تاء) تواضعه، كبا جواد الفكر دونها فما لحقها.

و (ثاء) ثبات قواعد مجده، قطعت الأنبياء دونها عَلَقَها.

و (جيم) جماله، من نظرها عَشِقَها.

و (حاء) حلمه، أرخت على الخائنين ستورها فما أوثقها.

و (خاء) خُلْقه وخَلْقه ما أحلاها وما أليقها.

و (دال) دلالته، دلّت على أنه صعد السماوات واخترقها.

و (ذال) ذكائه، ما أحسنها بسديد رأيه وأحذقها.

و (راء) ريّا ثناياه، عطّر الأكوان فأعبقها.

و (زاء) زينة جلائه، جلّت فلا تنظر العيون نسقها.

و (سين) سيادته، تجاوزت السماوات وعلَتْ افقها.

و (شين) شمائله، فاقت فيها أسناها وأسمقها.

و (صاد) صيانته، مُنشئ الأكوان بقلم الغز حققها.

و (ضاد) ضياء طلعته، محت ظلمةَ الشرك وجلت غسقها.

و (طاء) طَوْلُهُ، عم الخليقة، طوائفها وفرقها.

و (ظاء) ظهوره، ملأ البلاد، مغربها ومشرقها.

و (عين) علمه وعمله، ملأ ينبوعهما الأكوان وطبّقها.

و (غين) غنى نفسه، ما أحوجها الدهر وما أملقها.

و (فاء) فخره، أثبتها القلم في اللوح المحفوظ وعلقها.

و (قاف) قربه، أدنته من سدرة المنتهى حتى شاهد فراشها الذهب ونبقها وورقها.

و (كاف) كفّه، وكَفَت الماء، وسبّحت فيها الحصيات، فسبحان من ببركة تلك الراحة أنطقها.

و (لام) لوائه المنشور، شدّ عُرى الحنيفية وأوثقها.

و (ميم) مرتبته، عَلَتْ، والباري بنوره سرْدَقها.

و (نون) نور جبينه، أخجلت البدر مذ أبدت شفقها.

و (هاء) هدايته، ما ضل مَن عاين فَلَقها.

و (واو) ولايته، أثبتت في القلوب محبته، فما أصدقها.

و (لام ألف) لولا محمد ما فتق الباري السماوات ولا رتقها.

و (ياء) ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ**﴾ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ**﴾ ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**﴾ ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾ ، ما أعظمها وأعرقها.

طلعــةٌ كالبــدر مــا أشــرقها ومعــانٍ جــلّ مــن دققهــا

ألــف القامــة مــن قوّمهــا لام ذاك الصدغ من علقهـا

مــيم ذاك الفــم مــن دوّرهــا حاجب كـالنون من عرّفهـا

مُقلــة كالصــاد فــي تلويزهــا أحسنَ الصَنعةَ مـن حققهـا

صــف معانيــه لنــا يــا واصــفُ ثــم قـل يـا قـوم مـا أليقهـا

مـن دعـا الأشـجار فانقـادت لـه　　　تحفـر الأرض فمـا أشـوقها
ثـم لمـا يبسـت أغصـانها　　　حـين مـا لامسـها أورقهـا
حُصيّات سبّحت فـي كفـه　　　جـل مـن فـي كفـه أنطقهـا
ضـمن الظبيـة مـن صـيّادها　　　تُرضـع الأولاد مـا أشـفقها
أرضـعتهم ثـم عـادت مسـرعة　　　أسـلم الصـياد إذ أعتقهـا
رمـدت عـين علـي المرتضـى　　　ريقـه فـي خيبـر أشـرقها
مِن علـى العـرش علـت رتبتـه　　　وبنـون النـور قـد سـردقها
كـم دمـاء دينـه أخفقهـا　　　كـم دمـاء دينـه أهرقهـا
فـانظروا يـا قـوم أنـوار النبـي　　　تمـلأ الأرض فمـا أشـرقها
فعليـه الله صـلى دائمـاً　　　ما أغرب الشمس وما أشرقها

فاسمه ﷺ في السماء الدنيا المجتبى، وفي الثانية المرتضى، وفي الثالثة المز كى، وفي الرابعة المصطفى، وفي الخامسة المنتجب، وفي السادسة المطهر والمنتخب، وفي السابعة القريب والحبيب.

شعر:

مـاذا يقولـون فـي أوصـافه الشُعَرا　　　وكل مدح طويل فيه قد قصُـرا
لو قيل ما قيل في معناه مـا حصـرا　　　أعين الورى فهم معناه فليس يُرى
في القـرب والبعد فيه غير منفحم

وتسمّيه المقربون: عبد الواحد. والسَفرة: الأول. والبررة: الآخر. والكروبيون: الصادق. والروحانيون: الطاهر. والأولياء: القاسم. ورضوان:

الأكبر. والجنّة: عبد الملك. وأهل الجنة: عبد الديان. والحور: عبد المعطي. ومالك: عبد المختار. وأهل الجحيم: عبد الجبار. والزبانية: عبد الرحيم. وأهل الحميم: عبد المنان. وعلى ساق العرش: رسول الله. وعلى الكرسي: نبي الله. وعلى طوبى: صفي الله. وعلى لواء الحمد: صفوة الله. وعلى باب الجنة: خيرة الله. وعلى القمر: قمر الأقمار. وعلى الشمس: نور الأنوار.

الوجه يبدو كمثل الصبح في فلق ... والقلب من خوف مولاه على قلق
جل الإله الذي سواه من علق ... فاق النبيين في خلق وفي خلق
ولم يدانوه في علم ولا كرم

وتسميه الشياطين: عبد الهيبة. والجن: عبد الحميد. وعند الموقف: الداعي. وعند النيران: الصاحب. وعند الحساب: الواعي. وعند المقام: المحمود والخطيب. وعند الكوثر: الساقي. وعند العرش: المفضل. وعند الكرسي: عبد الكريم. وعند القلم: عبد الحق. وعند جبرئيل: عبد الغفار. وعند ميكائيل: عبد الوهاب.وعند اسرافيل: عبد الفتاح. وعند عزرائيل: عبد التواب.

إليه كل البها والحسن يفتقر ... ومن ضياء سناه البدر يفتخر
إن رمت علماً بمن حارت به الفكر ... فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

وتسميه الريح: عبد الأعلى. والسحاب: عبد السلام. والبرق: عبد المنعم. والرعد: عبد الوكيل. وعند الاحجار: عبد الجليل. والتراب: عبد

العزيز. والطيور: عبد القادر. والسبع: عبد القاهر. وعند الجبل: عبد الرفيع. والبحر: عبد المؤمن. والحيتان: عبد المهيمن. وعند الزنج: المهيب. والروم: عبد الحكيم. والترك: الصالح. وأهل مصر: المختار. وأهل مكة: الأمين. وأهل المدينة: الميمون. والعرب: الأمي. والعجم: أحمد.

يا واصف المصطفى والله لست تفي لو قلت في وصفه دوماً ولم تقف
له خصائص في الأكوان والصحف كالزهر في ترف والبدر في
والبحر في كرم والدهر في همم

فهو النبي العربي الذي حنَّ إليه الجذع اليابس، وقد دثر، وقبّل البعير قدميه إجلالاً له وعفر، وانشق إجابة لتصديق دعوته القمر، واخضر العود اليابس في يديه وأثمر، وكان يرى من خلفه كما يرى من بين يديه إذا نظر، ولا ينام قلبه كنوم عينيه كنوم البشر، ولا يؤثّر في الرمل وطء قدمه الشريفة ويؤثّر في الحجر، ويظله غمام السماء إذا سار وسفر، وركب البراق واخترق السبع الطباق كلمح البصر، الجوهر الفرد الذي ليس له ظل إذا سكن أو خطر.

كم أخجلتْ في السماء بدراً ملاحتُه كم أعجزت بالندى بحراً سماحته
كم أعيت العُرْب في نطق فصاحته كم أبرأت وَصَباً باللمس راحته
وأطلقت إرباً من ربقة اللمم

ثم اشتق سبحانه من نور نبيه ﷺ نور وليه علي بن أبي طالب عليه السلام صاحب اللواء والكوثر، وجعله مشاركاً له فيما غاب من الفضل وحضر،

ومساوياً لشرفه في العين والخبر، وتالياً لمقامه في العقب والأثر، وباذلاً لنفسه دونه في الخوف والخطر. الولي الذي لا ينكره إلا من ضلَّ وكفر، ولا يشك في رفيع رفعته إلا من في أمِّه نظر، المولى الذي تاهت في ابتداء معرفته عميقات الفكر، الوصي الذي تُعرض عليه أعمال البشر، الحاكم الذي ولاّه الله حساب من آمن وكفر، القسيم الذي بيده مفاتيح الجنة وسقر، ودابة الأرض التي يتقلّب في الصور، الإمام المأمول، والمسؤول عن حبه بين اللحود والحفر، والاسم المكتوب على وجه الماء والحجر وعلى الشمس والقمر.

يا منبع الأسرار يا سر المهيمن في المالك
يا قطب دائرة الوجود وعين منبعه كذلك
والعين والسين التي منها تلقنت الملائك
ما لاح صبح للهدى إلا وأسفر عن جمالك
يا بن الأطايب والنجائب والفواطم والعواتك
أنت المؤمل والرجا أنت الأمان من المهالك
أنت الصراط المستقيم قسيم جنات الأرائك
والنار مفزعها إليك وأنت مالك أمر مالك

فهو سيد العرب، وموضع العجب، المخصوص بأشرف الحسب والنسب، الهاشمي الأم والأب، واسطة قلادة الفتوّة ونقطة دائرة المروّة

وملتقى شرف الأبوّة والبنوّة، ووارث علم الرسالة والنبوة. الجواد الذي لا يكبو والسيف الذي لا ينبو وذو الحلم الذي لا يصبو.

سـارت بـأنوار علمـك السـيرُ وحـدثت عـن جلالـك السـور

والواصـفون المُحْـدِثون غلـوا وبـالغوا فـي عُـلاك واعتـذروا

فباسمه العظيم دعا آدم عليه السلام ربه فلباه وافتخر به إذ تاب[1] عليه واصطفاه، وافتخر به نوح عليه السلام إذ نجاه الله من طوفانه وطماه، وافتخر به

---

١) حق العبارة أن يقول: "إذ تاب عليه به وبآله"، حتى يتحقق إظهار سببية الافتخار. وهكذا في باب الفقرات المتعلقة بهذا المعنى فيمن ذكر من الأنبياء عليهم السلام.

ثم إنه لا يخفى أن المقصود من نجاة الأنبياء بسببه عليه السلام إنما هو توسّلهم عليهم السلام لربّهم (تعالى وتقدس) بمحمد وآله (عليهم أفضل الصلاة والسلام). وعلي عليه السلام هو من أظهر أفراد الآل؛ لاتّصاله الديني والرحِمي بالسيد الأكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ففضله عليه السلام بفضل سيده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقول هذا العالم الجليل بأن الأنبياء افتخروا بنجاتهم بسببه عليه السلام إنما هو لدخوله في السببية التي أصلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو عليه السلام الجزء العظيم من ذلك السبب الكريم، وليس له عليه السلام ولا لغيره من آله المعصومين عليهم السلام وغيرهم من المؤمنين فضل إلاّ بتوسط السيد الأكبر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما هو مسلّم عند الشيعة وأكثر المسلمين.

واستجابة دعاء الأنبياء بسببهم عليهم السلام مستفيضة به الأخبار عند الفريقين، وقد وقفنا على أربعة عشر خبراً ـ كما أشرنا لذلك في كتابنا (النظرات) ـ منها: مما أورده القندوزي في الباب الرابع والعشرين، عن ابن المغازلي، بسنده، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟ فقال: «**سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فتاب عليه وغفر له**». [ينابيع المودة: ج ١ ص ٢٨٨].

إبراهيم عليه السلام إذ خلّصه الله من النار ونجّاه، وافتخر به إسماعيل عليه السلام إذ به من الذبح العظيم فداه، وافتخر به يوسف عليه السلام إذ أخرجه [الله] به من الجب وملّكه مصر وأعطاه، وافتخر به يعقوب عليه السلام إذ دعا الله به فردّ عليه وُلْدِه وبصره بعد عماه، وافتخر به لوط عليه السلام إذ به ﴿نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ وحماه، وافتخر به أيوب عليه السلام إذ به كشف الله ضره وبلواه وأهله ومثلهم معهم أعطاه، وافتخر به داود عليه السلام إذ به شدّ الله ملكه والحكمة وفصل الخطاب آتاه، وافتخر به سليمان عليه السلام إذ به المُلكَ أولاه وجعل الريح الرخاء تجري بأمره إلى مرتضاه، وافتخر به إدريس إذ به رفعه الله مكاناً علياً وآواه، وافتخر به يونس ذو النون عليه السلام إذ أخرجه الله به من الظلمات الثلاث وكلاه، وأنبت عليه شجرة من يقطين ومن الغم أنجاه، وافتخر به زكريا عليه السلام إذ نادى ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ فوهب له به يحيى عليه السلام وأعطاه، وافتخر به دانيال عليه السلام إذ به خلّصه الله من السباع ورعاه، وافتخر به ذو القرنين إذ به ملّكه الأرض ونصره على من ناواه، وافتخر به صالح عليه السلام إذ أيده الله بناقته ومن شر ثمود كفاه، وافتخر به هود عليه السلام إذ به

ومن ذلك: ما في (البحار [ج ٢٦ ص ٣٢٥]) ـ نقلاً عن قصص الأنبياء ـ بإسناده عن ابن فضال، عن الرضا عليه السلام قال: «**لما أشرف نوح عليه السلام على الغرق دعا الله بحقنا فدفع الله عنه الغرق، ولما رُمي إبراهيم عليه السلام في النار دعا الله بحقنا فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً، وإن موسى عليه السلام لما ضرب طريقاً في البحر، دعا الله بحقنا فجعله يبساً، وإن عيسى عليه السلام لما أراد اليهود قتله، دعا الله بحقنا فنجى من القتل، فرفعه إليه**». انتهى. (منه رحمه الله).

نجّاه الله وقطع به دابر من كفر به وعاداه، وافتخر به شعيب عليه السلام إذ به أخذت الرجفة من كذّبه وعصاه، وافتخر به موسى عليه السلام إذ به كلمه الله وناداه، وفلق له البحر باسمه وأغرق فرعون ومن والاه، وافتخر به يوشع بن نون عليه السلام حين ردّ الله به عليه الشمس وأجابه حين دعاه، وافتخر به عيسى عليه السلام إذ كلّم به الميت وناجاه، وافتخر به محمد صلى الله عليه وآله وسلم[1] إذ فدّاه بنفسه

---

١) قد يُوردُ البعض هنا إشكالاً، فيقول: كيف يقول هذا العالم: بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم افتخر بعلي عليه السلام، والنبي بلا ريبة سيد الكل في الكل، فأمير المؤمنين علي عليه السلام يفتخر بكونه فادياً وناصراً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحق له عليه السلام الفخر، فلا فضل لأحد من المخلوقين إلا بسببه صلى الله عليه وآله وسلم؟

فالجواب: ودفع الاشكال جلي عند أولي الألباب. فكل عاقل يسلّم أن الفخر بالشرف، وهو أقسام، وأوله شرف الذات، فكل إنسان له حظّه من شرف الإنسانية بحسب استعداد ذاته وسعيه في التحلي بفضائل الأخلاق، والتخلي من رذائلها، ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**﴾ ، ولكن «**الناس معادن كمعادن الذهب والفضة**» كما في النبوي المتقدم، وأمير المؤمنين عليه السلام من أعلى المعادن، فمعدنه معدن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد حاز عليه السلام قصب السبق في كل خير بسعيه وجدّه بلا ريبة عند كل منصف من المسلمين، فلا فضل لأحد عليه، ولا أحد خير منه سوى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ هو صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى رتب الكمال الإمكاني، وأقرب الرتب إليه صلى الله عليه وآله وسلم هو ابن عمه وأخوه ونفسه (سلام الله عليه). وقد قيل:

وبذا جاء في الكتاب دليلٌ   آيةٌ لا امتراءَ في معناها

وقيل:

نفس الرسول عليٌ والكتاب لنا   فقل تعالوا نراها بالمراد قضت

ولا يشك ذو التمييز في علو فضل الشخص لكثرة مفاخره، فكلما ازدادتْ، عَلا مجده. فمن كان ذا حسبٍ ونسبٍ وحلمٍ وعلمٍ وشجاعةٍ وكرمٍ وزهدٍ وتقوىً وعفةٍ وورع... إلى غير ذلك من فضائل الأخلاق، كان أرفع من الخالي من بعضها وإن تساويا في شرف الذات.

نعم، إذا امتاز أحدهما بشرفه الذاتي بالقرب الإلهي والفيض القدسي والكمال الإنساني، وما يترتب على ذلك من الخير الكوني والإصلاح البشري، وكان للآخر بعض من ذلك، مع ماله من زيادة في شرف النسب مثلاً، صح له أن يفتخر بتلك الزيادة.

ولعله يفتخر على الشخص الأشرف به، كما جرى للحسين عليه السلام مع أبيه أمير المؤمنين علي (عليهم الصلاة والسلام) في رواية رواها الشيخ التقي الحائري المازندراني في (الشجرة) ورويت في (تظلم الزهراء). فيا حبذا أن نزداد من برد حبهم عليهم السلام بتحريرها، فإليك نصها من فى كتاب (التظلم) [ص ٢٢١] عن كتاب (المنتخب) [ص ١٧٣] : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالساً ذات يوم، وعنده علي بن أبي طالب إذ دخل الحسين، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعله في حجره وقبّل بين عينيه وقبّل شفتيه، وكان للحسين عليه السلام ست سنين. فقال علي عليه السلام يا رسول الله أتحب ولدي الحسين؟ قال: كيف لا أحبه وهو عضو من أعضائي. فقال: يا رسول الله، أيّنا أحب إليك أنا أم الحسين؟ فقال الحسين عليه السلام : يا أبتي من كان أعلى شرفاً كان أحب إلى رسول الله وأقرب إليه منزلة. فقال علي عليه السلام : أتفاخرني يا حسين؟ قال: نعم إن شئت يا أبتاه. فقال أمير المؤمنين: أنا لسان الصادقين، أنا وزير المصطفى، أنا مفتاح الهدى... حتى عدّ من منافبه نيفاً وسبعين منقبة، ثم سكت. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للحسين: اسمعت يا أبا عبد الله وهو عشر معشار ما قاله من فضائله، ومن ألف ألف فضيلة، وهو فوق ذلك وأعلى. فقال الحسين: الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين وعلى جميع المخلوقين... ثم قال: أما ما ذكرت يا أبتي يا أمير المؤمنين فأنت فيه صادق آمين. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أذكر أنت فضائلك يا ولدي. فقال الحسين عليه السلام : أنا الحسين بن علي بن ابي طالب رامي فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وجدي محمد المصطفى سيد بني آدم أجمعين لا ريب فيه يا أبتي، أمي أفضل من أمك عند الله وعند الناس أجمعين، وجدي خير من جدك وأفضل عند الله وعند الناس أجمعين، وأبي خير من أبيك عند الله، وعند الناس أجمعين، وأنا ناغاني في المهد جبرائيل وتلقاني إسرافيل. يا أبتي أنت عند الله أفضل مني وأنا أفخر منك بالاباء والأمهات والأجداد... ثم إنه اعتنق أباه وجعل يقبّله، وعلي عليه السلام أيضاً يقبّله ويقول: زادك الله شرفاً وتعظيماً وفخراً وعلماً

وحلماً، ولعن قاتليك يا أبا عبد الله. ثم رجع الحسين إلى جده وألقى بنفسه في حجره فضمه النبي ﷺ. انتهى.

وبهذا ونحوه تعرف صحة الافتخار بصلاح الآباء والأجداد، وتستنبط منه حسن الافتخار بالأولاد والأصحاب والإخوان الصالحين، وكذا الأعمام والأحفاد النجباء والأزواج الفاضلات، وهذا جارٍ في محاورات العرب بلا ريبة، فالرجل يفتخر بأقربائه وإن كان فيهم أدنى منه في الفضل بدرجات، فإنه بذلك يحصل له جوامع الفضل، وربما يبتدىء بمن فخره به متحقق، وفضله منه حاصل، كما تراه كثيراً في كلام سيد الفصحاء أمير المؤمنين عليه السلام، فهو عليه السلام عند إرادة افتخاره لغاياته الإلهية يبدأ بسيده ومُشرّفه وابن عمه سيد الكل في الكل محمد رسول الله ﷺ. ومن ذلك الشعر المنسوب إليه برواية الفريقين:

محمد النبي أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي

وجعفر الذي يضحي ويمسي ... يطير مع الملائكة ابن أمي

وبنت محمد سكني وعرسي ... مشوب لحمها بدمي ولحمي

وسبطا أحمد ولداي منها ... فأيكم له قسم كقسمي

إلى آخر الأبيات. وقد ذكرناها في كتابنا (النظرة النفسية) عن إخواننا السنة ومنهم: ابن أبي الحديد، وقد استشهد ببعضها في الاستدلال على سبق إيمان علي عليه السلام على غيره، ومحل شاهده: قوله عليه السلام: «**سبقتكم إلى الإسلام طراً**».

وأقول: يلزم ابن أبي الحديد من صحة نسبة هذه الأبيات للإمام علي عليه السلام النص الصريح عليه عليه السلام لقوله عليه السلام فيها:

فأوجب لي ولايته عليكم ... رسول الله يوم غدير خم

وماذا يقول ابن أبي الحديد في هذا القول، أصحيح أم لا؟ ولابد له من الالتزام بالصحة

ووقاه، وساواه في الشرف، وفي الشدائد واساه، وقال ﷺ : «من كنت مولاه فعلي مولاه». وافتخر به جبرائيل عليه السلام إذ كان خادمه ومولاه. وما حمل في معركة قط إلاّ حمل معه بإذن الله، ووقف ببابه سائلاً فآثره بقوته في طِواه،

لتسليمه، كون «علي مع الحق» كما أشرنا إليه في غير موضع من كتبنا... ولسنا في هذا المقام بصدد تحقيق ذلك. وفيما قدمناه في أثناء الكتاب كفاية وافية، وإنما غرضنا تحقيق حسن افتخار الأفضل بالمفضول من الأقرباء والأصحاب. وقد تحقق واندفع الإشكال عن افتخار النبي ﷺ بالوصي عليه السلام مع أنه ﷺ فخره عليه السلام . ففخر علي عليه السلام فخره به ﷺ .

وقد أشار ﷺ في حديث ذكر فيه خصالاً شاركه أخوه ووصيه عليه السلام فيها، وخصه عليه السلام بخصال فقال ﷺ ما معناه: (وأعطي عليٌ ثلاثاً ولم أشاركه فيها: أعطي زوجة ولم أعطَ مثلها...) ومحل شاهدنا من الحديث قوله ﷺ : (واعطي ابن عمّ ولم أعطَ مثله..). وأي رجل يساوي رسول الله ﷺ ؟ فما فضل علي إلا به ﷺ ، وأي رجل في البشر عنده ختنٌ وناصرٌ ومحام وفادٍ مثل علي ولي الله عليه السلام لمحمد رسول الله ﷺ ؟ فَحَقَّ للنبي ﷺ أن يفتخر بمثل هذا الناصر المواسي بكل معنى المواساة، حتى تعجّب الروح الأمين جبرائيل عليه السلام من صبره ومواساته، فقال: «**إنها لهي المواساة يا محمد**»، فقال ﷺ : «**إنه منّي وأنا منه**» [الكافي: ج ٨ ص ١١٠ ح ٩٠]، فأي شرف كهذا الشرف، وحقَّ له أن يفخر.

ومن ذلك: شعره عليه السلام على ما نسبه غير واحد من الأعلام، منهم: كمال الدين في (مطالب السؤل) [ص ٦٢] قال عليه السلام :

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي ... معه ربيت وسبطاه هما ولدي

جدي وجد رسول الله منفرد ... وفاطم زوجتي لا قول ذي فَنَدِ

صدقته وجميع الناس منه في بَهَم ... من الضلالة والإشراك والنكد

(منه رحمه الله)

وافتخر به ميكائيل عليه السلام وقال: (من مثلي وقد قبّلت من علي فاه)، وافتخر به إسرافيل عليه السلام إذ حرّك مهده الشريف وناغاه، وافتخر به عزرائيل عليه السلام فقال: (من مثلي وقد أمرت أن أقبض أرواح شيعته بإذنه ورضاه). وافتخر به رضوا وقال: (من مثلي وقد أمرت أن أزخرف الجنان لعلي ومن والاه). وافتخر به مالك عليه السلام فقال: (من مثلي وقد أمرت أن أسعّر النار لمن أبغض علياً وعاداه). وافتخر به البيت الحرام إذ كان فيه مولده ومَرْباه، ورُفع بشرفه، وحَطّ عنه الجبت ورماه. وافتخرت به الجنة إذ كُتب على أبوابها (علي ولي الله). وافتخرت به النار إذ كُتب على حيطانها (أنا حرامٌ على من أحب علياً ووالاه). وصافحته الأملاك والأفلاك حين ارتقى على منكبي رسول الله. إمام توسل به كل متوسل إلى الله.

الصوّام القوّام، الحليم الأواه. هذا النبأ العظيم ما فيه خلاف، هذا لملائكة الله مطاف، هذا المولى لعبد شمس ومناف، هذا حرم الله لمن كان يخاف، من زار ضريحه كمن حج وطاف، فهو سيف الله المؤيد بالنصر، وحجره الدافع لأهل العناد والغدر، وقطب رحي الجهاد في البر والبحر.

جـوادُ رهـان حق شمـس ضحـى العُلى

سماح بحار الجود قطب رحى الحرب

لقد شهدت بدر بمقامه، وكانت حنين من بعض أيامه، واسأل أحداً عن فعل قناته وحسامه، ويوم خيبر إذ فتح الله على يديه، والخندق إذ خرّ عمرو ولقمه ويديه، وسل عنه ليلة الهرير التي حاضت فيها ذكور لَهَازِمِهَا

وخُرصانها[١] بأيدي فرسانها، وصدرت بحمرة بهرامها، بعد ورودها بزرقة كيوانها، واتصلت بها مصافحة الصفاح بصفحات رؤوسها وأبدانها واتخذت الصوارم واللهازم من الطلاء والكلاء أبدالاً عن أجفانها، قد تحطمت رماحها وتثلّمت صِفاحها، واخترمت أرواحها، فالناس فيها يتلاطمون تلاطم السيول والأمواج، ويتصادمون تصادم الفحول عند الهياج، لا يمتاز المحق من المبطل؛ لتراكم ظلام الليل الداج، وتفاقم نقع العجاج، حتى أسفر صباحها، وهم بين مُجدّ مُسبّح ومُجدّل طريح، ومخذول جريح، ومقتول نطيح، هذا والإمام عليه السلام فيها كالهزَبر الهصور، والنمر الجسور، لا يعترضه في إدحاض الباطل توهّم فتور ولا قصور، يختطف نفوساً ويقتطف رؤوساً، ويسقي القاسطين من صابّ المصائب كؤوساً بحربه الفاصم وضربه القاصم وسيفه الحاسم ورمحه الناظم.

١) الخرصان: الرماح، واحدها خرص، مثلثة الخاء (بالفتح والضم والكسر). واللهاذم: الأسنة القاطعة، واحدها لهذم. والطل بضم الطاء: الأعناق وهو المراد هنا. والطلا: الدم، وبالكسر الولد الصغير من أولاد الغنم والحُمُر، وكل ما يُطلى به أيضاً، وبالفتح الولد من ذوات الظلف والشخص أيضاً. وبهرام: نجم أحمر شديد الحمرة، ولذلك يسميه المنجمون: "الأحمر"، وهو المريخ. وكيوان نجم أزرق إلا أن فيه صفرة، وهو بطيء السير، وهو يقطع زحل الفلك في ثلاثين سنة، ويقيم في كل برج سنتين ونصف. وأما بهرام فإنه يقطع الفلك في سنتين، ويقيم في البرج سبعة وأربعين يوماً إذا أسرع، وربما قام في البرج شهرين، هذا إذا كان مستقيماً فأما إذا رجع في برج فإنه يقيم ستة أشهر. (منه رحمه الله).

مـولى تَلَـوْتُ مديحـه فوجدتـه　　أحلـى مـن الرشـفات فـي
وطلبـت مجتهـداً نهايـة وصـفه　　فوجدته ما ليس بالمتناهي(١)

١) لا يتوهم أن في هذا ارتفاع فيُرمى قائله بالغلو، تمسكاً بأن عدم التناهي من خصائص الواجب (جل وعلا)، وإن هذا لحقٌّ، ولكن المنصف العارف بقدر أمير المؤمنين عليه السلام وولي رب العالمين لا يستكثر ذلك عليه، فلا أقلّ من تجويز ذلك في الشعر من طريق الكناية عن كثرة مناقبه عليه السلام ، ولو يُتأمّل فيه لأمكن حمله على جهة الحقيقة بنحو من التأويل كما سنوضحه إن شاء الله تعالى.

إذا مـا الكرامـات اعتلى قـدر ربهـا　　وجـل بهـا أعلـى ذرى درجاتـه
فـإن عليـاً ذا المناقـب والعُـلا　　كراماتـه العليـا أقـل صـفاته

وأنت خبير بأن معنى هذا البيت شبيه بسابقه، ويعني: أن الجامع بينهما علو صفات علي عليه السلام إلى أعلى مقامات العُلى، فلا تكاد يدركها بشر سوى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ما معناه: "يا علي، لا يعرفك إلا الله وأنا". [انظر: هامش ٤ ص ١٣٥].

وما أحسن ما قاله السيد باقر الهندي (طاب ثراه) [انظر: أدب الطف: ج ٩ ص ٢٢٧] :

لـيس يـدري بكنـه ذاتـك مـا هـو　　يــا ابــن عــم النبــي إلا الله
ممكـن واجـب حـديث قـديم　　عنـك تنفـي الأنـداد والأشـباه
لك معنى أجلى من الشمس لكـن　　خـبط العـارفون فيـه وتـاهوا
أنـت فـي منتهـى الظهـور خفـي　　جـلّ معنـى عـلاك مـا أخفـاه
صـعدوا نحـو أوجـه خطـرات الـ　　وهـم وهمـاً فضـل دون مـداه
قلـت للقـائلين فـي أنـك الله　　أفيقـوا فـالله قـد سـوّاه

هـــو مشـــكاة نـــوره والتجلـــي   ســـر قـــدس جهلـــتم معنـــاه

وإن لم يقنع المشكك في أمر أمير المؤمنين عليه السلام لتعسّر فهم هذه المعاني الروحانية عليه، فلينظر ببصيرته إلى فضائله (سلام الله عليه) الجليَّة، وليدرسها درس تحقيق، حتى ينتزع كمال أوصاف الإنسانية، فيظهر له منها أشعة شموس قدسية لا يعلم نهايتها إلا واهبها (جل وعلا) . فلنُشر إليه بثلاث منها، ففيها كفاية لكل أذنٌ واعية، فمنها:

أ/ قضية تفديَته سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ، فكم فيها من فضائل جمة لا نهاية لها إلا عند خالقها، فلو لم تكن تلك التفدية ولم يسلم سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله فلا إسلام ولا دين. إذن ففضائل المسلمين ـ أنواعا وأفراداً، من علوم وأعمال متنوعة في آثارها، من الطاعات والمبرّات، من مبعثه صلى الله عليه وآله إلى يوم الدين ـ كلها ببركات النبي العظيم صلى الله عليه وآله وشريكه فيها أخوه أمير المؤمنين عليه السلام إذ هو السبب الوحيد في نجاته صلى الله عليه وآله من أعدائه، فمن ذا يُحصي هذه الكمالات الحاصلة له عليه السلام؟

ب/ وكذلك الكلام في ضربته لعمرو التي يقول فيها الصادق الأمين صلى الله عليه وآله : «**ضربة علي لعمرو بن عبد ود تعدل أعمال الثقلين**». وغير خفى عدم القدرة على إحصاء فضائل المسلمين من الجن والأنس ذكوراً وإناثاً، فآثارها له عليه السلام، وهي لا تكاد تتناهى.

ج/ وكذلك صفة العلم التي اتصف بها عليه السلام ، فقد حاز تسعة أعشار العلم، والعشر العاشر هو علم الناس بها... وهذا مما أورده الفريقان. وأجر العلم الذي يُعطاه المتعلم كله في دفتر المعلّم متسلسلاً من مبدئه إلى آخر المتعلمين، كما جاءت به أخبار الصادقين عليهم السلام . ولا شك عند كل مسلم في أنّ كل عالم من علماء المسلمين عيال على أمير المؤمنين عليه السلام ، فكيف يكون الوصف المنتزع من هذه الأثار متناهياً ويُدركه فكر المخلوق وواهبها الذي لا تنقص خزائنها ولا ينتهي فيضه؟ ومن أراد التفصيل فليراجع الشعاع الثاني عشر من كتابنا (النظرة النفسية).

والخلاصة: أن المقصود من عدم نهاية أوصاف أمير المؤمنين عليه السلام عدم قدرة البشر على معرفة حدّها ما سوى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، وإلا فعلي عليه السلام حادثٌ ممكنٌ، وكل ممكن

وبالجملة، فقد خصه الله بخصائص تكاد توصف بالتضادد وحلاّه بلطائف تجمع أشتات التعاند إذ بين قط الهام وخفة الأقدام، وإذلال الحماة، وتجديد الكماة، وبين رقة القلب، وهموع الطرْف، وانسكاب الدمع والتأوّه والحنين والفؤاد الحزن والرحمة للمسكين خلالٌ لا تتأتى إلا لمنقطع القرين.

جمعت في صفاتك الأضداد   فلهذا عزت لك الأنداد
زاهد حاكم حليم شجاع   ناسك فاتك فقير جواد
شيمٌ ما جمعن في بشر قط   ولا حاز مثلهن العباد

اللهم وصل على الزهراء فلقة القمر، وسيدة نساء البشر، في البدو والحضر، وعلى ابنها السبطين الشمسين القمرين، اللذين هما للرسول بمنزلة السمع والبصر. وعلى زين العابدين أزهد أهل البدو والحضر، الأصغر والاكبر. وعلى الباقر ذي الفضل الجامع والبيان البارع، العالم بكتب الأنبياء والسور. وعلى الصادق مفتاح المغالق، صاحب أسرار التنزيل والنُكت والفُقر. وعلى الكاظم في الدين القويم والنهج المستقيم، أصبر من صبر وأشكر من شكر. وعلى الرضا كهف الورى نور الهدى- مظهر الآيات في الماء والحجر والشجر. وعلى الجواد ذي الخُلق الحميد والشرف المجيد، العالم بالتنزيل والتأويل فيما يخفى ويظهر. وعلى الهادي ذي الأيادي الجسام والنعم العظام، والبدر المنير الأبلج الأزهر. وعلى العسكري دافع

محدود الصفات، فلابد لأمير المؤمنين عليه السلام في فضله من حد يعلمه الله (سبحانه وتعالى) ونبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. (منه رحمه الله).

المغارم، كاشف العظائم، الكريم الظفرن والعظيم الخطر. وعلى الإمام المهدي المستور المشهور المنتظر. صلاة لا انقطاع لمديدها، ولا اتّضاع لمَشِيدها، ولا امتناع لمزيدها. فهم شجرةٌ أصلها النبي، وفرعها الوصي، ولقاحها النور الفاطمي، وأغصانها ورثة الحكم الإلهي، وخزنة العلم السماوي، وثمرتها علمهم الرضي، ونورهم المضي، وضياؤهم البهي، وبهاؤهم السني، وأوراقها كل مؤمن تقي[1]. وهم الكفاة والولاة والهداة والسقاة وسفينة النجاة، وهم الأنوار العلوية المشرفة من الشمس الفاطمية في السماء المحمدية، والأسرار الإلهية، المودعة في الهياكل البشرية، والأغصان النبوية اليانعة في الدوحة الأحمدية، والذرية الزكية، والعترة الهاشمية، الهادية المهدية، لا شرقية ولا غربية.

بحار جود فلا غاروا ولا نضبوا
بدور فخر فلا غابوا ولا أفلوا
إن يغضبوا صفحوا أو يوزنوا رجحوا
أو يوهبوا سمحوا أو يحكموا عدلوا[1]

انتهى المراد من الخطبة.

---

١) ونعم ما قيل:

يا حبذا دوحة في الخلد نابتة   ما مثلها نبتت في الخلد من شجر
المصطفى اصلها والفرع فاطمة   ثم اللقاح علي سيد البشر

١) مصباح الكفعمي: ص ٩٥٧ ـ ٩٦٥.

فيا أيها المؤمن الكريم إن نور الإيمان نبراس البصائر الروحية يرقى بالنفوس الشيعية بأشعته القدسية إلى معرفة الحقائق المحمدية، فكل متمسك بعرى الإيمان الأحمدي العلوي الحسني الحسيني السجادي الباقري الصادقي الكاظمي الرضوي الجوادي العلوي العسكري المهدي يستحب له استحباباً راجحاً أن يقرأ ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ وآل الرسول، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.

فَلَعَمْرُ الحق، إن كل ملتزم بهذا الدعاء، متبصر في معناه، لابدَّ وأن يوصله بنور هديه إلى الدرجات العالية التي أشرقت فيها شموس الحق الجلية من تلك الصفات المعصومية في هذه الخطبة السنية، فيستنشق ما فاح من تلك النفحات الإلهية، ويرى أن ما قاله هذا العالم الجليل قمين[١] بمطابقة الحق اليقين، الذي لا مرية فيه بنص الكتاب المبين.

ولعمري إنه قد أصاب الهدف في تجسيمه لتلك الصفات الحميدة المنتزعة من تنويهات الله (عزّ وجل) بهم عليهم السلام على لسان حبيبه وصفيه جدهم الأكرم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**شجرة النبوة وموضع الرسالة**» . فلا غرو في قول هذا العالم النبيل: "فهم شجرة أصلها النبي وفرعها الوصي".

فارتباطهم عليهم السلام بذلك الحبل النبوي، وتفرعهم من ذلك الأصل المحمدي، واستقاؤهم ببحر فضله الإلهي، غير خفي على المسلمين، حتى أشركهم صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة عليه، ونهى عن الاقتصار عليه فيها نهياً حتمياً،

---

١) قمين من (قَمَنَ) وتعني جدير. الصحاح: ج ٦ ص ٢١٨٤.

بالرواية المسلّمة عند الفريقين: «**لا تصلوا على الصلاة البتراء**». وقد تقدم تحقيق ذلك في الجزء الأول[١].

وإن هذا العالم الكبير قد سلك الصراط المستقيم في هذه الخطبة المباركة التي تشرف بها بعطف آل النبي ﷺ عليه في هذه الصلوات الشريفة، وقد نال بذلك شرف الكرامة. وإني اخترتها خاتمةً لكتابي لِما جاذبني فيها من المغناطيس النبوي الإمامي، ولنعم الختام. ولقد كنت عازماً على الختم لما حررناه من الصلوات الشريفة، فوافق في يوم السبت العشرين من ذي القعدة سنة ١٣٨٠ هـ، فمن حُسن توفيق الله (عزّ وجل) أن منّ عليّ ببركات نبيه وآله (صلى الله عليهم أجمعين) أن دعوت بدعاء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يوم العشرين من أدعية أيام الشهر في (الصحيفة العلوية)[٢]، فوجدت جلّه ثناءٌ وصلواتٌ على النبي الأعظم ﷺ وهو أفضل من الصلوات السابقة بلا ريبة، فاستخرت الله تعالى على تحريره، فأمر (جل وعلا)... فإليك نصه: «**اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَبارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَما صَلَّيْتَ وَبارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ عَلى إِبْراهيمَ وَآلِ إِبْراهيمَ إِنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ، صَلاةً تُبَلِّغُنا بِها رِضْوانَكَ وَالْجَنَّةَ وَتَنْجُو بِها مِنْ سَخَطِكَ وَالنّارِ. اَللَّهُمَّ ابْعَثْ نَبِيَّنا مُحَمَّداً ﷺ مَقاماً مَحْمُوداً يَغْبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ.**

---

١) راجع: من صفحة ٥٠ إلى ٥٧.

٢) للشيخ عبد الله بن صالح السماهيجي البحراني رحمه الله المتوفى في ٩ جمادى الثاني ١١٣٥هـ.

اَللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ، وَاخْصُصْهُ بِأفْضَلِ قِسَمِ الْفَضائِلِ وَبَلِّغْهُ أفْضَلَ السُّؤْدَدِ وَمَحَلِّ الْمُكَرَّمينَ. اَللَّهُمَّ اخْصُصْ مُحَمَّداً ﷺ بالذِّكْرِ الْمَحْمُودِ وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ. اَللَّهُمَّ شَرِّفْ بُنْيانَهُ، وَعَظِّمْ بُرْهانَهُ، وَاسْقِنا بِكَأسِهِ، وَأَوْرِدْنا حَوْضَهُ، وَاحْشُرْنا في زُمْرَتِهِ، غَيْرَ خَزايا وَلا نادِمينَ، وَلا شاكّينَ، وَلا مُبَدِّلينَ، وَلا ناكِثينَ، وَلا مُرْتابينَ، وَلا جاحِدينَ، وَلا مَفْتُونينَ، وَلا ضالّينَ، وَلا مُضِلّينَ، قَدْ رَضينَا الثَّوابَ وَأَمِنَّا الْعِقابَ، نُزُلاً مِنْ عِنْدِكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزيزُ الْوَهَّابُ.

اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ ﷺ إمامِ الْخَيْرِ، وَقائِدِ الْخَيْرِ، وَعَظِّمْ بَرَكَتَهُ عَلى جَميعِ الْعِبادِ وَالْبِلادِ وَالدَّوابِّ وَالشَّجَرِ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ. اَللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّداً ﷺ مِنْ كُلِّ كَرامَةٍ أَفْضَلَ تِلْكَ الْكَرامَةِ، وَمِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ أَفْضَلَ تِلْكَ النِّعْمَةِ، وَمِنْ كُلِّ يُسْرٍ أَفْضَلَ ذلِكَ الْيُسْرِ، وَمِنْ كُلِّ عَطاءٍ أَفْضَلَ ذلِكَ الْعَطاءِ، وَمِنْ كُلِّ قِسْمٍ أَفْضَلَ ذلِكَ الْقِسْمِ؛ حَتّى لايَكُونَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ أَقْرَبَ مِنْهُ مَجْلِساً، وَلا أَحْظى عِنْدَكَ مَنْزِلَةً، وَلا أَقْرَبَ مِنْكَ وَسيلَةً، وَلا أَعْظَمَ لَدَيْكَ شَرَفاً، وَلا أَعْظَمَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلا شَفاعَةً مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ ، في بَرْدِ الْعَيْشِ وَالرَّوْحِ وَقَرارِ النِّعْمَةِ، وَمُنْتَهَى الْفَضيلَةِ وَسُؤْدَدِ الْكَرامَةِ، وَرَجاءِ الطُّمَأْنينَةِ وَمُنَى الشَّهَواتِ، وَلَهْوِ اللَّذّاتِ، وَبَهْجَةٍ لا تُشْبِهُها بَهَجاتُ الدُّنْيا. لَلَّهُمَّ آتِ مُحَمَّداً ﷺ الْوَسيلَةَ، وَ أَعْطِهِ الرِّفْعَةَ وَالْفَضيلَةَ، وَاجْعَلْ فِي الْعِلِّيّينَ دَرَجَتَهُ، وَفِي الْمُصْطَفَيْنَ مَحَبَّتَهُ، وَفِي الْمُقَرَّبينَ كَرامَتَهُ، وَنَحْنُ نَشْهَدُ لَهُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ رِسالَتَكَ، وَنَصَحَ لِعِبادِكَ، وَتَلا آياتِكَ، وَ أَقامَ حُدُودَكَ، وَصَدَعَ بِأَمْرِكَ، وَأَنْفَذَ حُكْمَكَ، وَوَفى بِعَهْدِكَ، وَجاهَدَ في سَبيلِكَ، وَعَبَدَكَ

مُخْلِصاً حَتَّى أَتاهُ الْيَقينُ، وأَنَّهُ ﷺ أَمَرَ بطاعَتِكَ وَ أَئْتَمَرَ بها، ونَهى عَنْ مَعْصِيَتِكَ وانْتَهى عَنْها، وَوالى وَلِيَّكَ بِالَّذي تُحِبُّ أَنْ تُوالِيَهُ، وَعادا عَدُوَّكَ بالَّذي تُحِبُّ أَنْ تُعادِيَهُ، فَصَلَواتُكَ عَلى مُحَمَّدٍ إمامِ الْمُتَّقينَ، وَسيِّدِ الْمُرْسَلينَ، وَخاتَمِ النَّبِيّينَ، ورَسُولِكَ، يا رَبَّ الْعالَمينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فِي اللَّيْلِ اِذا يَغْشى. اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَالِ مُحَمَّدٍ فِي النَّهارِ اِذا تَجَلّى. وَصَلِّ عَلَيْهِ فِي الآخِرَةِ وَالأُولى، وأَعْطِهِ الرِّضا وَزِدْهُ بَعْدَ الرِّضا. اَللَّهُمَّ أَقِرَّ عَيْنَ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَنْ يَتَّبِعُهُ مِنْ أُمَّتِهِ وأَزْواجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وأَصْحابِهِ، وَاجْعَلْنا وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَأُمَّتَهُ جَميعاً وَأَهْلَ بُيُوتِنا وَمَنْ أَوْجَبْتَ حَقَّهُ عَلَيْنا، الأَحْياءَ مِنْهُمْ وَالأَمْواتَ مِمَّنْ قَرَّتْ بِهِ عَيْنُهُ. اَللَّهُمَّ وَأَقْرِرْ عُيُونَنا جَميعاً بِرُؤْيَتِهِ، ثُمَّ لا تُفَرِّقْ بَيْنَنا وَبَيْنَهُ. اَللَّهُمَّ وَأَوْرِدْنا حَوْضَهُ وَاسْقِنا بِكَأْسِهِ، وَاحْشُرْنا في زُمْرَتِهِ وَتَحْتَ لِوائِهِ، وَلا تَحْرِمْنا مُوافَقَتَهُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ قَديرٌ. وَالسَّلامُ وَالصَّلاةُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الطَّيِّبينَ الأَخْيارِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ ...»[1]. انتهى المراد من الدعاء.

وغير خفي مزية أفضلية صلاة المعصوم على من سواه من منشيء الصلوات على النبي ﷺ ، فإن الأوصياء المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) حفّاظ الشرع الشريف، فما يفعلون فعلاً ولا يقررون قولاً ولا يأمرون بعبادة ـ من دعاء أو غيره ـ إلا بأمر من الله ورسوله ﷺ .

١) الصحيفة العلوية والتحفة المرتضوية: ص ٢٧٣.

وسيدهم وأبوهم أمير المؤمنين له الشأن العظيم على من سواه كما هو بديهي عند كل ذي علم، فهو عليه السلام من أجلّ من ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.

فهذه الكيفية وأمثالها من الكيفيات من المأثور في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم لا بدَّ أن تكون لها خصوصية. وأما أداء الوجوب أو الندب على الخلاف المتقدم (في الجزء الأول) في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، فيكفي فيه أيّ كيفية، شريطة ضم الآل عليهم السلام ، وقد قدمنا هناك طرفاً جليلاً في تحقيق ذلك، ولكن الكيفية التي تشع فيها أنوار التشيع هي ما ذُكرت فيها الصلاة عليهم بأسمائهم (سلام الله عليهم) مفصلة كما في الخطبة السابقة من ذلك العالم، وهو ليس بمبتدع بل متبع لما في المأثور عنهم عليهم السلام ، ومن ذلك: الصلاة الواردة في دعاء شهر رمضان في كل يوم، كما أورده غير واحد من علمائنا، منهم: السيد التقي الجليل ابن طاووس، والشيخ الجليل الكفعمي، ومن ذلك ما ورد عن مولانا وإمام زماننا الخَلَف المنتظر المهدي ابن الحسن (عجل الله فرجه، وسهل مخرجه) في دفتر خاص أرسله لبعض أوليائه ـ على ما أورده بعض علمائنا الأعلام ـ عن (غيبة) الشيخ الطوسي و (الدلائل) للطبري، بسند متصل إلى يعقوب بن يوسف الضرّاب، في قضيةٍ طريفة شريفة وقعت في سنة حجّه ـ وهي سنة ٢٨١ هـ [١].

---

١) تركنا تحريرها في متن الكتاب لأننا ختمناه بالصلوات المناسبة للخاتمة، وأنعم بها من خاتمة، ولكن القضية المشار إليها قد شعّت فيها شموس الحق والإيمان، فكهربَتْ

بأشعتها نفوساً طُبعت بالنور النبوي على الحب المحمدي العلوي الإمامي، فكأن تلك النفوس الشيعية تطير شعاعاً فتمتزج بتلك الأشعة القدسية، فتجاذبها إلى تحرير أمثال هذه القضية. فالحمد لله الذي منّ علينا بولايتهم عليهم السلام «**طيباً لِخَلْقِنا، وَطَهارَةً لأَنْفُسِنا**». فإليك القضية بسندها من كتاب (الغيبة [ص ٢٢٦ ـ ٣٠٠]) وكتاب (دلائل الإمامة [ص ٥٤٥ ـ ٥٤٩]) : عن أحمد بن على الرازي، عن أبي الحسين محمد بن جعفر الأسدي قال: حدثني الحسين بن عامر الأشعري القمي، قال: حدثني يعقوب بن يوسف الضرّاب الغسّاني رحمه الله ـ في منصرفه من أصفهان ـ .... وفي (دلائل الإمامة) قال: نقلت هذا الخبر من أصل بخط شيخنا أبي عبد الله الحسين بن عبد الله الغضائري، قال: حدثني أبو الحسن علي بن عبد الله القاشاني، قال: حدثنا الحسين بن محمد سنة ثمان وثمانين ومائتين بعد منصرفه من أصفهان، قال: حدثني يعقوب بن يوسف بأصبهان... ثم قال: أقول: ووجدت في أصل منضمّ بأصول أخر عندي كلها رواية عن هارون بن موسى التلعكبري ما هذا لفظ الأصل...

وعنه (أيده الله) قال: حدثنا أبو المفضّل محمد بن عبدالله بن المطلب، قال: حدثني أبو القاسم موسى بن محمد الأشعري القمي، قال: حدثني يعقوب بن يوسف أبو الحسن الضرّاب في سنة تسعين ومائتين ـ واللفظ لكتاب (الغيبة) ـ في سنة إحدى وثمانين ومائتين، وكنت مع قوم مخالفين من أهل بلدنا. فلما قدمنا مكة تقدم بعضهم فاكترى لنا داراً في زقاق بين سوق الليل، وهي دار خديجة عليها السلام تسمى دار الرضا عليه السلام ، وفيها عجوز سمراء فسألتها ـ لما وقفت على أنها دار الرضا عليه السلام ـ ما تكونين من أصحاب هذه الدار؟ ولمَ سُمّيت دارَ الرضا؟ فقالت: "أنا من مَواليهم، وهذه دار الرضا علي بن موسى عليهما السلام ، أسكنّيها الحسن بن علي عليهما السلام، فإني كنت من خدمه". فلما سمعت ذلك منها أنست بها، وأسررت الأمر عن رفقائي المخالفين، فكنت إذا انصرفت من الطواف بالليل أنام معهم في رواق في الدار، ونُغلق الباب، ونُلقي خلف الباب حجراً كبيراً كنّا نديره خلف الباب.

فرأيت غير ليلة ضوء السراج في الرواق الذي كنّا فيه شبيهاً بضوء المَشعل، ورأيت الباب قد انفتح ولا أرى أحداً فتحه من أهل الدار، ورأيت رجلاً رَبعةً أسمرَ إلى الصفرة، ما هو

قليل اللحم، في وجهه سجّادة، عليه قميصان وإزار رقيق قد تقنّع به، وفي رجله نعل طاق، فصعد إلى الغرفة في الدار حيث كانت العجوز تسكن، وكانت تقول لنا: "إن في الغرفة ابنة لا تدع أحداً يصعد إليها"، فكنت أرى الضوء الذي رأيته يضيء في الرواق على الدرجة عند صعود الرجل إلى الغرفة التي يصعدها، ثم أراه في الغرفة من غير أن أرى السراج بعينه، وكان الذين معي يرون مثل ما أرى، فتوهّموا أن يكون هذا الرجل يختلف إلى ابنة العجوز، وأن يكون قد تمتّع بها، فقالوا: "هؤلاء العلوية يرون المتعة، وهذا حرام لا يحل" فيما زعموا، وكنّا نراه يدخل ويخرج ونجيء إلى الباب وإذا الحجر على حاله الذي تركناه، وكنّا نغلق هذا الباب خوفاً على متاعنا، وكنّا لا نرى أحداً يفتحه ولا يُغلقه، والرجل يدخل ويخرج والحجر خلف الباب إلى وقتٍ نُنَحّيه إذا خرجنا. فلما رأيت هذه الأسباب ضُربَ على قلبي، ووقعتْ في قلبي فتنة، فتلطفتُ العجوز، وأحببت أن أقف على خبر الرجل، فقلت لها: "يا فلانة! إني أحب أن أسألك وأفاوضك من غير حضور مَن معي، فلا أقدر عليه، فأنا أحب إذا رأيتِني في الدار وحدي أن تنزلي إلي لأسألك عن أمر". فقالت لي مسرعة: "وأنا أريد أن أُسرّ إليك شيئاً فلم يتهيأ لي ذلك؛ من أجل مَن معك". فقلت: "ما أردتِ أن تقولي؟"، فقالت: "يقول لك ـ ولم تذكر أحداً ـ لا تُخاشِنْ أصحابك وشركاءَك ولا تُلاحّهم، فإنّهم أعداؤك فدارهم". فقلت لها: "من يقول؟"، فقالت: "أنا أقول". فلم أجسر ـ لما دخل قلبي من الهيبة ـ أن أراجعها، فقلت: "أي أصحابي تعنين؟"، فظننت أنها تعني رفقائي الذين كانوا حُجاجاً معي، قالت: "شركاؤك الذين في بلدك وفي الدار معك". وكان جرى بيني وبين الذين معي في الدار عَنَتٌ في الدين، فسعوا بي حتى هربت واستترت بذلك السبب، فوقفت على أنها عنتْ أولئك، فقلت لها: "ما تكونين أنت من الرضا؟"، فقالت كنت خادمة للحسن بن علي عليهما السلام ، فلما استيقنت ذلك قلت: لأسألنّها عن الغائب عليه السلام ، فقلت: "بالله عليكِ رأيته بعينك؟"، فقالت: "يا أخي! لم أرَهُ بعيني، فإني خرجت وأختي حُبلى، وبشّرني الحسن بن علي عليهما السلام بأني سوف أراه في آخر عمري، وقال لي: تكونين له كما كنتِ لي، وأنا اليوم منذ كذا بمصر،

وإنما قدمت الآن بكتابةٍ ونفقةٍ وجّه بها إلي على يدي رجل من أهل خُراسان لا يفصح بالعربية، وهي ثلاثون ديناراً، وأمرني أن أحجّ سنتي هذه، فخرجتُ رغبةً منّي في أن أراه". فوقع في قلبي أن الرجل الذي كنتُ أراه يدخل ويخرج هو هو. فأخذت عشرة دراهم صحاحاً، فيها ستة رضوية من ضرب الرضا عليه السلام قد كنت خبّأتها لألقيها في مقام إبراهيم عليه السلام ، وكنت نذرت ونويت ذلك، فدفعتها إليها وقلت في نفسي: أدفعها إلى قوم من ولد فاطمة عليها السلام أفضل مما [من أن] أُلقيها في المقام وأعظم ثواباً، فقلت لها: "ادفعي هذه الدراهم إلى من يستحقها من ولد فاطمة عليها السلام "، وكان في نيتي أن الذي رأيته هو الرجل، وإنما تدفعها إليه، فأخذَتْ الدراهم وصعدتْ وبقيتْ ساعةً ثم نزلتْ، فقالت: "يقول لك: ليس لنا فيها حقٌ، اجعلها في الموضع الذي نويت، ولكن هذه الرضوية خذ منّا [منها] بدلها وألقها في الموضع الذي نويت"، ففعلت، وقلت في نفسي: الذي أمرتْ به عن الرجل. ثم كان معي نسخة توقيع خرج إلى القاسم بن العلاء بآذربيجان فقلت لها: "تعرضين هذه النسخة على إنسان قد رأى توقيعات الغائب"، فقالت: "ناولني، فإني أعرفها"، فأريتها النسخة وظننت أن المرأة تُحسن أن تقرأ، فقالت: "لا يمكنني أن أقرأ في هذا المكان". فصعدت الغرفة، ثم أنزلته فقالت: "صحيح، وفي التوقيع أبشّركم ببشرى ما بشرتُ به وغيره. ثم قالت: "يقول لك: إذا صليت على نبيك صلى الله عليه وآله وسلم كيف تصلي عليه؟ فقلت: "أقول: اللهم صل على محمد وآل محمد، وبارك على محمد وآل محمد، كأفضل ما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد". فقال: "لا ! إذا صليت عليهم فصلِّ عليهم كلهم وسمهم"، فقلت: "نعم". فلما كانت من الغد نزلتْ ومعها دفترٌ صغير، فقالت: "يقول لك: إذا صلّيت على النبي فصل عليه وعلى أوصيائه على هذه النسخة". فأخذتها وكُنت أعمل بها، ورأيت عدة ليال قد نزل من الغرفة وضوء السراج قائم، وكنت أفتح الباب وأخرج على أثر الضوء وأنا أراه (أعني الضوء) ولا أرى أحداً ـ حتى ـ يدخل المسجدَ، وأرى جماعة من الرجال من بلدان شتى يأتون باب هذه الدار، فبعضهم يدفعون إلى العجوز رقاعاً معهم، ورأيت

وإليك نسخة الدفتر الذي خرج حرفياً:

"بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم، اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد سَيِّدِ الْمُرْسَلينَ وَخاتَمِ النَّبِيّينَ وَحُجَّةِ رَبِّ الْعالَمينَ، الْمُنْتَجَبِ في الْميثاقِ الْمُصْطَفى في الظِّلالِ، الْمُطَهَّرِ مِنْ كُلِّ آفَة، الْبَريءِ مِنْ كُلِّ عَيْب، الْمُؤَمَّلِ لِلنَّجاةِ، الْمُرْتَجى لِلشَّفاعَةِ، الْمُفَوَّضِ اِلَيْهِ دينُ الله. اَللّـهُمَّ شَرِّفْ بُنْيانَهُ، وَعَظِّمْ بُرْهانَهُ، وَأَفْلِجْ حُجَّتَهُ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ، وَاَضِئْ نُورَهُ، وَبَيِّضْ وَجْهَهُ، وَأَعْطِهِ الْفَضْلَ وَالْفَضيلَةَ وَالْمَنْزِلَةَ وَالْوَسيلَةَ وَالدَّرَجَةَ الرَّفيعَةَ، وَابْعَثْهُ مَقاماً مَحْمُوداً يَغْبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ. وَصَلِّ عَلى أَميرِ الْمُؤْمِنينَ، وارِثِ الْمُرْسَلينَ، وَقائِدِ الْغُرِّ الْمحَجَّلينَ، وَسَيِّدِ الْوَصِيّينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعالَمينَ. وَصَلِّ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، إِمامِ الْمُؤْمِنينَ، وَوارِثِ الْمُرْسَلينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعالَمينَ. وَصَلِّ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ اِمامِ الْمُؤْمِنينَ وَوارِثِ الْمُرْسَلينَ وَحُجَّةِ رَبِّ الْعالَمينَ. وَصَلِّ عَلى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ إِمامِ الْمُؤْمِنينَ، وَوارِثِ الْمُرْسَلينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ

العجوز قد دفعتْ إليهم كذلك الرقاع، فيكلمونها وتكلمهم، ولا أفهم عنهم، ورأيت منهم في منصرفنا جماعة في طريقي إلى أن قدمت بغداد.

انتهت القضية وبها انتهاء الحواشي في هذا الكتاب المبارك.

وقد انتهى القلم من تحريرها بخط بضعتنا في أوائل الساعة السادسة من يوم الثلاثاء الموافق ثلاثة وعشرين من شهر ذي القعدة الحرام، قريب الزوال، وذلك في البرج الثاني من بروج السنة الشمسية، وهو البرج الثاني من برج الربيع، سنة ١٣٨٠ هـ ، والحمد لله الذي وفقنا لمرضاته في خدمة حبيبه محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين) ونسأله تعالى أن يجعله مقبولاً يوصلنا به إلى رضوانه، ويجعلنا ممن تقرّ به عين نبيه المصطفى وآله الطاهرين (صلوات الله عليهم وسلامه وتحياته ورحمته وبركاته). (منه رحمه الله).

الْعالَمينَ. وَصَلِّ على مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، إمامِ الْمُؤْمِنينَ، وَوارِثِ الْمُرْسَلينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعالَمينَ. وَصَلِّ على جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّد، إمامِ الْمُؤْمِنينَ، وَوارِثِ الْمُرْسَلينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعالَمينَ. وَصَلِّ عَلى مُوسَى بْنِ جَعْفَر، إمامِ الْمُؤْمِنينَ وَوارِثِ الْمُرْسَلينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعالَمينَ. وَصَلِّ على عَلِيِّ بْنِ مُوسى، إمامِ الْمُؤْمِنينَ، وَوارِثِ الْمُرْسَلينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعالَمينَ. وَصَلِّ على مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، إمامِ الْمُؤْمِنينَ، وَوارِثِ الْمُرْسَلينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعالَمينَ. وَصَلِّ عَلى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّد، إمامِ الْمُؤْمِنينَ، وَوارِثِ الْمُرْسَلينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعالَمينَ. وَصَلِّ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، إمامِ الْمُؤْمِنينَ، وَوارِثِ الْمُرْسَلينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعالَمينَ. وَصَلِّ عَلَى الْخَلَفِ الْهادِي الْمَهْدِيِّ، إمامِ الْمُؤْمِنينَ، وَوارِثِ الْمُرْسَلينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعالَمينَ. اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وأَهْلِ بَيْتِهِ الأَئِمَّةِ الْهادينَ، الْعُلَماء الصّادِقينَ، الأَبْرارِ الْمُتَّقينَ، دَعائِمِ دينك، وَأَرْكانِ تَوْحيدِكَ، وَتَراجِمَةِ وَحْيِكَ، وَحُجَجِكَ عَلى خَلْقِكَ، وَخُلَفائِكَ فى أَرْضِكَ، الَّذينَ اخْتَرْتَهُمْ لِنَفْسِكَ، وَاصْطَفَيْتَهُمْ عَلى عِبادِكَ، وَارْتَضَيْتَهُمْ لِدينِكَ، وَخَصَصْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ، وَجَلَّلْتَهُمْ بِكَرامَتِكَ، وَغَشَّيْتَهُمْ بِرَحْمَتِكَ، وَرَبَّيْتَهُمْ بِنِعْمَتِكَ، وَغَذَّيْتَهُمْ بِحِكْمَتِكَ، وَأَلْبَسْتَهُمْ نُورَكَ، وَرَفَعْتَهُمْ في مَلَكُوتِكَ، وَحَفَفْتَهُمْ بِمَلائِكَتِكَ، وَشَرَّفْتَهُمْ بِنَبِيِّكَ (صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ) . اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَعَلَيْهِمْ صلاةً زاكِيَةً، نامِيَةً، كَثيرَةً، دائِمَةً، طَيِّبَةً، لا يُحيطُ بِها إلاّ أَنْتَ، وَلا يَسَعُها إلاّ عِلْمُكَ، وَلا يُحْصيها أَحَدٌ غَيْرُكَ... إلى آخره.

وفيه دعاء منه عليه السلام لنفسه.

وقد انتهى مُرادنا مما أردناه من الصلوات ـ التي جعلناها خاتمة لكتابنا ـ في يوم الاثنين في ثلثي الساعة الأخيرة من نهاره، الموافق٢٢/١١ اثنين وعشرين من شهر ذي القعدة الحرام، سنة ١٣٨٠ ألف وثلاث مائة وثمانين هجرية، بخط بضعتنا فاطمة حفظها الله، والحمد لله من أول الدنيا إلى فنائها، ومن الآخرة إلى بقائها. ونسأل الله الكريم أن ينفعنا بانتفاع إخواننا المؤمنين والمؤمنات بما حررنا في فضل خاتم النبيين سيدنا وشفيعنا رسول الله محمد ابن عبد الله وآله الطيبين الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

وإنه ـ لعمري ـ مما أقر الله به عيني في حياتي، وإن شاء الله ـ ببركة دعاء إخواني الأخيار من شيعة آل محمد الأطهار ـ يجعله الله تعالى قرة عين لي في تلك الدار فـ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ ، ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾.

هذا ونرجو من القرّاء الكرام لهذا الكتاب أن يكونوا ممن يعرف الرجال بالحق لا ممن يعرف الحق بالرجال، ولينظروا إلى ما قيل ولا ينظروا إلى من قال؛ حتى يحصل التمييز بطريق الإنصاف والمعرفة إلى ما حُرر في هذا الكتاب؛ لما فيه من الجامعية للفضائل النبوية من المدائح الإلهية وما يتفرع عليها من آثار الخيرات العلوية الإمامية، وإن فيه لفنوناً متنوعة.

والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً.

وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

وقد قع الفراغ من تصحيح النسخة الثانية آخر ساعة من يوم الجمعة الموافق ١٧ ذي العقدة سنة ١٣٩٠ هـ بدارنا في محلة العمارة في النجف الأشرف، على مشرفه أفضل الصلوات والسلام.

*****

تم بحمد الله تعالى الفراغ من العمل على هذا الجزء

في ١٤ صفر سنة ١٤٤١ هـ

بجوار السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

وقد كان الشروع في العمل على الكتاب في ربيع الأول سنة ١٤٤٠ هـ

في بلدة الشويكة العزيزة بالقطيف المحروسة

مصادر التحقيق

ـ أ ـ

الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، مطبعة النعمان، الأولى، ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م، النجف الأشرف.

الاعتقادات في دين الإمامية: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي ـ دار المفيد للطباعة والنشر، الثانية ١٤١٤ هـ، بيروت.

أخبار الدول وآثار الأُوَل: أحمد بن يوسف القرماني، عالم الكتب، الأولى، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م، بيروت.

أدب الطف أو شعراء الحسين: جواد شبر، دار المرتضى، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م، بيروت.

أنوار البدرين: في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين: الشيخ علي بن الشيخ حسن البلادي البحراني، مكتبة المرعشي النجفي، الأولى، قم المقدسة، افست عن نسخة مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٣٧٧ هـ.

الأنوار القدسية: الشيخ محمد حسين الأصفهاني، مؤسسة المعارف الاسلامية، الأولى، ١٤١٥ هـ.

الأنوار النعمانية: المحدث السيد نعمة الله الموسوي الجزائري، الرابعة، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب: على بن الحسين المسعودي، انتشارات أنصاريان، الثالثة، ١٤٢٦ هـ، قم المقدسة.

الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، مجموعة مؤلفاته، دار المفيد، الثانية، ١٤١٤ هـ، بيروت.

إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل اهل بيته الطاهرين: الشيخ أبو العرفان محمد بن علي الصبان المصري، الناشر: سيد محمد شعراوي، ١٢٨١ هـ، مصر.

إعلام الورى بأعلام الهدى: أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، مؤسسة آل البيت، الأولى ١٤١٧ هـ، قم المقدسة.

إقبال الأعمال: السيد علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، مؤسسة الأعلمي، الأولى، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م، بيروت.

التهاب نيران الأحزان ومثير الاكتئاب والأشجان: العلامة الشيخ حسين العصفور البحرني، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

ـ ب ـ

بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، الثانية، بيروت.

بصائر الدرجات الكبرى: أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي، ١٤٠٤ هـ، طهران.

البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم التوبلاني البحراني، مؤسسة البعثة، قم المقدسة.

ـ ت ـ

تاريخ الأئمة: ابن أبي الثلج محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البغدادي، ضمن كتاب مجموعة نفيسة، مكتبة السيد المرعشي النجفي، قم المقدسة.

تاريخ الخلفاء: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار التعاون، عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٧، بيروت.

تاريخ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الرابعة ١٤٠٧ هـ، بيروت.

تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م، دار الفكر، بيروت.

تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: السيد شرف الدين الحسيني الاسترآبادي النجفي، مدرسة الإمام المهدي، الأولى، ١٤٠٧ هـ ـ قم المقدسة.

التبيان في تفسير القرآن: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، الأولى، ١٤٠٩ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

التتمة في تواريخ الأئمة: السيد تاج الدين بن علي بن أحمد

الحسيني العاملي، مؤسسة البعثة، الأولى، ١٤١٢ هـ ، قم المقدسة.

تصحيح اعتقادات الإمامية: محمد بن محمد بن النعمان العكبري (المفيد) ، مجموعة مؤلفاته، دار المفيد، الثانية ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، بيروت.

تفسير الصافي: المولى محمد بن مرتضى بن محمود المعروف بـ(الفيض الكاشاني) ، مكتبه الصدر، الثانية، ١٤١٦ هـ ، طهران.

تفسير العياشي (كتاب التفسير): محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي ـ المكتبة العلمية الإسلامية ـ طهران.

تفسير غريب القرآن: فخر الدين الطريحي، تحقيق وتعليق: محمد كاظم الطريحي، انتشارات زاهدي، قم المقدسة.

تفسير القمي: علي بن إبراهيم، مؤسسة دار الكتاب، الثالثة، ١٤٠٤ هـ ، قم المقدسة.

تفسير القرآن الكريم: السيد عبد الله شبر الحسيني، مراجعة الدكتور حامد حفني داود، الثالثة، مطبوعات السيد مرتضى الرضوي، القاهرة.

تفسير مقتنيات الدرر: السيد مير علي الحائري الطهراني، مؤسسة الكتاب الإسلامي، الأولى، ١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢ م، قم المقدسة.

تنزيه الأنبياء: الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي، دار الأضواء، الثانية، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م، بيروت.

-ج-

جامع الأسرار و منبع الأنوار: السيد حيدر الآملي، تصحيح هنري كربن وعثمان إسماعيل يحيى، انتشارات علمي و فرهنگی وابسته به وزارت فرهنگ و آموزش عالى (مؤسسة النشر العلمي والثقافي التابعة لوزارة الثقافة والعلوم العالية) ، طهران.

جامع السعادات: المولى محمد مهدي النراقي، تحقيق وتعليق السيد محمد كلانتر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

جعقر بن محمد، الإمام الصادق: عبد العزيز سيد الأهل، دار الشرق الجديد، الأولى، ١٩٥٤ م، بيروت. وأيضاً: طبعه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م، القاهرة.

جواهر العقدين في فضل الشرفين، شرف العلم الجلي والنسب العلي: علي بن عبدالله السمهودي الشافعي، الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.

-ح-

الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: الشيخ يوسف بن أحمد البحراني، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.

حلية الأولياء وبهجة الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت .

الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: الحكيم الإلهي صدر الدين محمد الشيرازي، مكتبة المصطفى، قم المقدسة.

ـدـ

دلائل الإمامة: محمد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي الشيعي، مؤسسة البعثة، الأولى، ١٤١٣ هـ، قم المقدسة.

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين البيهقي، الأولى، ١٤٠٥ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

الدين والإسلام، أو الدعوة الإسلامية: الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، المجمع العالمي لأهل البيت، الأولى، ١٤٢٩، قم المقدسة.

ديوان العلامة الجشي (المجموعة الشعرية): الشيخ علي بن حسن الجشي القطيفي، منشورات مؤسسة الهداية، الأولى، ٢٠٠٣ م، بيروت.

ـذـ

ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى محب الدين الطبري الشافعي، مكتبة القدسي ١٣٥٦ هـ، القاهرة.

الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آقا بزرگ الطهراني، دار الأضواء، الثالثة، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م، بيروت.

ـرـ

الروضة المختارة (شرح القصائد العلويات السبع): عبد الحميد ابن أبي الحديد المعتزلي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

روضة المسائل في إثبات أصول الدين بالدلائل: الشيخ أبو الحسن الخنيزي، مطبعة الحيدرية، الأولى، ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٤٩ م، النجف الأشرف.

رياض المدح والرثاء في مدح ورثاء النبي وآل بيته الأطهار: الشيخ حسين علي آل الشيخ سليمان البلادي البحراني، المكتبة الحيدرية، الأولى، ١٤١٦ هـ، قم المقدسة.

راحة الأرواح و مؤنس الأشْباح (فارسي) : الحسن بن الحسين بن سعيد السبزواري، نشر ميراث مكتوب، الأولى، ١٣٧٨ هـ ش، قم المقدسة.

روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: الشيخ محمد تقي المجلسي، مؤسسه كوشانبور، الأولى ١٤٠٦ ـ قم .

روضة الواعظين: محمد بن الحسن الفتال النيسابوري ـ الشريف الرضي ـ قم المقدسة.

الرياض النظرة في مناقب العشرة: محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

ـ ز ـ

زينب الكبرى: الشيخ جعفر النقدي، منشورات مكتبة المفيد، قم المقدسة.

ـ س ـ

سنن ابن ماجة: عبدالله بن ماجة الرُّبعي القزويني ـ دار المعرفة ـ بيروت .

سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي ـ الأولى ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٣٠ م ـ دار الفكر ـ بيروت .

سِيَر أعلام النبلاء: محمد بن أحمد الذهبي، التاسعة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م ، الرسالة، بيروت.

ـ ش ـ

شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المعتزلي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: الحافظ عبيد الله بن أحمد (الحاكم الحسكاني) ، الأولى، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، طهران.

ـ ص ـ

صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دار الفكر، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، بيروت.

صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت.

الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي، مكتبة القاهرة (شركة الطباعة الفنّية المتّحدة) ، مصر.

الصحيفة العلوية والتحفة الرضوية: الشيخ عبد الله بن صالح

السماهيجي البحراني، طبع سنة ١٣١٩ هـ، بمُبئي، الهند.

-ط-

طبقات أعلام الشيعة:

-ع-

علل الشرائع: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

علم اليقين (الكشاني): المولى محمد بن المرتضى (محسن الفيض) الكاشاني، منشورات بيدار، الأولى، : ١٣٧٧ هـ ش ـ ١٤١٨ هـ ق، قم المقدسة.

العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: محمد بن إبراهيم بن الوزير اليماني، مؤسسة الرسالة، الثانية، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م ، بيروت.

عيد الغدير، أول ملحمة عربية: بولس سلامة، مكتبة الروضه الحيدرية، الألى، ١٣٦٨ هـ ـ١٩٤٩م النجف الأشرف.

عيون أخبار الرضا: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي، الأولى، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م، بيروت.

عيون المعجزات: الحسين بن عبد الوهاب، طبعة ١٣٦٩ هـ ـ١٩٥٠ م، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

-غ-

الغدير في الكتاب والسنة والأدب: العلاّمة عبد الحسين بن أحمد

الأميني، الرابعة، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م، دار الكتاب العربي، بيروت.

غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، مكتب الإعلام الإسلامي، الأولى، قم المقدسة.

ـ ف ـ

الفتوحات المكية: ابن عربي، أبو عبد الله محمد بن علي الحاتمي الطائي، دار صادر، بيروت.

الفصول المختارة: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري، مجموعة مؤلفاته، دار المفيد، الثانية، ١٤١٤ هـ، بيروت.

الفصول المهمة في معرفة الأئمة: علي بن محمد بن أحمد المالكي، دار الحديث، الأولى، ١٤٢٢ هـ، قم المقدسة.

فضائل الصحابة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م، بيروت.

فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م، بيروت.

ـ ك ـ

كاشف الغمة في تاريخ الأئمة: محمد بن محمدرضا القمي، آستانه قدس رضوي، ١٤١٩ هـ، مشهد المقدسة.

الكافي: ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني البغدادي، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة، طهران.

الكامل في التاريخ: علي بن محمد بن محمد الشيباني المعروف بـ(ابن الأثير) ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت.

كتاب الغيبة: محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة المعارف الإسلامية، الأولى، ١٤١١ هـ، قم المقدسة.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ـ دار المعرفة ـ بيروت .

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

كشف الغمة في معرفة الأئمة: علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي، دار الأضواء، الثانية ١٤٠٥ هـ، بيروت.

كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، قم المقدسة.

كمال الدين وتمام النعمة: محمد بن علي بن بابويه الصدوق القمي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الأولى، ١٤٠٥ هـ ـ ١٣٦٣ هـ ش، قم المقدسة.

ـ ل ـ

لسان العرب: أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، نشر أدب الحوزة، الأولى، ١٤٠٥ هـ، قم المقدسة.

لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي، الثانية، ١٩٧١ م/ ١٣٩٠ هـ ، بيروت.

-م-

مجمع البحرين: فخر الدين بن محمد علي الطريحي، نشر مرتضوي، الثانية ١٣٩٠ هـ ش، طهران.

مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، الأولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، بيروت.

المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، المولى محمد بن المرتضى (محسن الفيض) الكاشاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الثانية، قم المقدسة.

المراجعات: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، تحقيق حسين الراضي، الجمعية الإسلامية، الثانية، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م، بيروت.

مروج الذهب ومعادن الجوهر: علي بن الحسين بن علي المسعودي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م، دار الهجرة، قم المقدسة.

مسارّ الشيعة: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، ضمن كتاب مجموعة نفيسة، طبع مكتبة المرعشي النجفي، الأولى، ١٤٠٦ هـ، قم المقدسة.

مستمسك العروة الوثقى: السيد محسن الطباطبائي الحكيم، مكتبة المرعشي النجفي، الثالثة، ١٤٠٤ هـ، قم المقدسة.

مسند أحمد: أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني البغدادي، دار الفكر، بيروت.

مشارق أنوار اليقين: الحافظ رجب البرسي الحلي، الأولى، مؤسسة الأعلمي، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م، بيروت.

مصباح الكفعمي: تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي العاملي، الثالثة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

مصباح المتهجد: الشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي، الأولى، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

مطالب السؤول: محمد بن طلحة الشافعي، تحقيق ونشر: ماجد أحمد العطيّة.

معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول و البتول: محمد بن يوسف الزرندي الحنفي، تحقيق ونشر: ماجد أحمد العطيّة.

معاني الأخبار: محمد بن علي بن بابويه الصدوق القمي، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ١٣٧٩ هـ ـ ١٣٣٨ هـ ش، قم المقدسة.

المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني، دار إحياء التراث العربي، الثانية، بيروت.

مفردات غريب القرآن: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، الثانية، ١٤٠٤ هـ.

مقاتل الطالبيين: أبو الفَرَج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأصفهاني، دار الكتاب، الثانية، قم المقدسة.

مكارم الأخلاق: رضي الدين الحسن بن الفضل الطبرسي، مؤسسة

النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.

المناقب: الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي ـ تحقيق الشيخ المحمودي ـ الثانية، ١٤١١ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.

مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، منشورات ذوي القربى، الأولى، ١٤٢٦ هـ ـ ١٣٨٤ هـ ش، قم المقدسة.

مناقب الإمام علي بن أبي طالب: ابن المغازلي علي بن محمد الواسطي الشافعي، منشورات سبط النبي، ١٤٢٦ هـ ـ ١٣٨٦ هـ ش، قم المقدسة.

منتظم الدُرّين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين: محمد علي بن أحمد التاجر البحراني، مؤسسة طيبة لإحياء التراث، الأولى، ١٤٣٠ هـ، بيروت.

الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الثانية، قم المقدسة.

ـ ن ـ

النظرة النفسية والأشعة القدسية: الشيخ منصور بن الحاج عبد الله البيات، دار كميل، الثانية، ٢٠٠٩ م، قم المقدسة.

النظرة الرشيدة في المباهلة السعيدة: الشيخ منصور بن الحاج عبد الله البيات، دار المحجة البيضاء، الأولى، ٢٠٠٢ م، بيروت.

نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين: محمد بن يوسف الزرندي الحنفي، مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة، الأولى، ١٣٧٧ هـ، أصفهان.

نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي الشافعي، منشورات ذوي القربى، الأولى، ١٤٢٦ هـ ـ ١٣٨٤ هـ ش، قم المقدسة.

-و-

الوافي: المولى محمد بن مرتضى بن محمود المعروف بـ(الفيض الكاشاني) ، مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام ، ١٤٠٦ هـ، أصفهان.

وفيات الأعيان: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الهكاري الأربلي الشافعي، دار الثقافة، بيروت.

-ي-

اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر: الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني الحنفي المصري، دار إحياء التراث العربي و مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

ينابيع المودة لذوي القربى: سليمان بن إبراهيم القندوزي البلخي الحنفي ـ تحقيق السيد علي جمال أشرف الحسيني ـ الأولى ١٤١٦ هـ، دار الأسوة، قم المقدسة.

فهرس مطالب الكتاب

كلمة السيد محمد جمال الهاشمي ٣

كلمة الخطيب الشيخ عبد الحسين محمد علي الخراساني ٥

خطبة الكتاب ٧

النظرة الأولى: في أن علمهم عليهم السلام لدنّي لا كسبي ٩

النظرة الثانية: في أعلمية أهل البيت عليهم السلام والدليل على ذلك من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في النهج وفيها تحقيقات انيفة في أن علمهم عليهم السلام لدني لا كسبي ٦٦

النظرة الثالثة: في مساواة الوصي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في الفضل إلا النبوة ورفع المنافاة بين ذلك وبين سببيته صلى الله عليه وآله وسلم لفضل ابن عمه عليه السلام وأن فضله عليه السلام منوّه به في كثير من الآيات كما اعترف به غيرنا ٥٧

النظرة الرابعة: في التعريض بحديث الدار يوم الإندار وتنقيح حديث الغدير ٩٢

النظرة الخامسة: في الاستدلال على مساوته عليه السلام له صلى الله عليه وآله وسلم ما خلا النبوة والكلام عن غزارة علمه عليه السلام في كل فن والاستدلال على ذلك واعتراف العظماء بالعجز عن معرفة حقائقه فضلاً عن مباراته ١٢٤

النظرة السادسة: التحقيق في كون علوم أئمتنا عليهم السلام لدنية وأن الإشرقات الإلهية عليهم كباراً وصغاراً ١٤٠

النظرة السابعة: البيان في بقية اللحاظ على سليم البشري من ناحية الأمة عليهم السلام والإلفات لمودتهم وعلو قدرهم وارجحيه مذهبهم عليهم السلام ١٥٧

النظرة الثامنة: في الإشارة إلى بعض ما خصهم الله تعالى ومنها إخيارهم عليهم السلام بالغيبيات ١٦٣

النظرة التاسعة: في بيان تأييد الله النبي بالعنايات الخاصة بالملائكة والوصي والتنوية بفضلهما وفي بيان بعض من هجرته صلى الله عليه وآله وسلم ١٦٧

النظرة العاشرة: قصة بدر الكبرى، وفيها دليل عظيم على عناية الله بعصمة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن أعدائه وتأييده له بالملائكة ووليه علي عليه السلام ١٨٧

النظرة الحادية عشرة: في إلفات القرّاء إلى منح الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم في مزاياه ومنها: شجاعته وبعض آياته في بدر، وأخلاقه، وكلماته الحكمية ٢٥٣

النظرة الثانية عشرة: في الإشارة إلى بعض علو مقاماته ﷺ ومقامات آله عليهم السلام وبعض من تشرف بخدمته ﷺ ٢٧٠